رگاء بر الحراث

وحصنارة الإسلام

بقلعر أمينه الصباوي به د.عبالعزيزشرف

> لاناک مکتبتهمیت ۳ شارع کامل کی-النجالڈ

وا		
	·	
		므
	بشب النيال خالخ بيث	및
	The state of the s	
	PONDATION CULTURELLE PRAMIQUE KINDLE KINDLE	
	جيف	
		H
	. العابسية 4/1/4/11 - 16-16-1	o
	البواهيق ٦٨٢/٧/٢ وم	
厄	شهادة اغبهار أسلام	
	ــ ان الدين عد اللبه الاملام ـــ	
	·	里
	ثمّ بعمل الله و توبُقت اشهار اسلام ماحب مدّه الشهادة سفى التُوسِيّة الثنافيّة الاسلاميّة أسـ في حديث جنيف يوم الجمعسة - وناريخ ١ ارتضان ٢٠ كالمواضق ٢ عولمو ١٩٨٢ (م	
	· ·	
	ام العائلية :ــجليوديالله	
Ä	1 - K-Ke. 1 - 41 - 11	
	من مؤاليد دينسة العارسيلية/غراسال بتايسنع الــــــــــــــــــــــــــــــــــــ	回
	tiple little	
æ	الهدة : كالمستود المستود المست	0
	· المالة الأجماعية : روزه-يسل وسيستان والمالية :	민
	المدران وسيست سي مست سيست سيست والماع : المدران الماع الماع : المدران الماع ال	
	رقر جواد السفر در جورست قر سادر في در خون الرسيدا بينام در المكالم	밂
	عاريع المعار الاسلام : ١١/٨/١٠ ١٤ الموامسي : ٢٠/١٨٩ أم	ቨ
	•	苘
	الدامد الأول الشامد الأول الشامد التابي ما سيدالمان المدة المسرور الدين العامد وجي جاوردي	
	and the second	
	المام السبعة المستحد المام السبعة المستحد المام السبعة المستحد المام السبعة المستحد ال	
	(IlAny need wints)	
	The Colle for - 1000 that temperature - 100"; what GREEN 37 (:	وموووو
		뷞
简		딞
	الله الربية في الأربية بين في في في في الأربية وي الأربية ويه مي بيد بيد بيد ميد بيد بيد بيد بيد بيد بيد بيد ا	-



الاجتداء

الى الحيارى الظامئين السائرين في بيداء الحياة وهجيرها ٠٠

نهدى رحلة جارودى ــ من الشك الى اليقين •••• والسلام على من اتبع الهدى ••

المؤلفسان

بسيم التدالرهم الأخيم تعب ديم

بقلم العالم الكبير فضيلة الشيخ

احمد حسن الباقوري

رئيس ومدير جمعية ومعهد الدراسات الاسلامية بالقاهرة والرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين العالمية

•• ذا كتاب جليل القدر عن الأستاذ الدكتور جارودى في حياته الحافلة بجلائل الأعمال التي لا ينهض بها الا أصداب العزائم •• ولا يصبر على لأوائها الا أحرار العقول الذين يؤثرون نرف العدل والانصاف على خسة الجور والميل والاعتساف •

وقد استعرضت الكاتبة الفاضلة الأستاذة أمينة الصاوى مع زميلها المفضال الدكتور عبد العزيز شرف ـ زاده الله عزة وشرفا ـ حياة العلامة الفيلسوف من بدايتها الى يوم الناس عذا ثم لم يفتهما مع ذلك الوقوف بقرائهما وقفة فاحصة مدققة ناقدة ـ حيال الرحلة الجارودية من حيرة الشك الى سكينة الايمان • كل ذلك في حرص من الكاتبين الفاقهين على استجلاء الحقيقة من مصادرها واستخراج النتائج من مقدماتها •

والذين يمرفون الكاتبة أمينة الصاوى لا ينبغى لهم أن يجهلوا السر الذى نشئاها تنشئة مهدت لها السبيل الى عنساية بالبحث وقدرة على المتعبير ذلك أن والدها الفاضل الشيخ مصطفى الصاوى ــ كان مدرسا

نلأدب العربى في معهد القاهرة الديني الأزهرى ... وقد أدرك بعاطفة الأب وحس الأديب أن ابنته أمينة تمتاز بالقدرة على البحث ومصابرة المشاق في الفراءة والاطلاع ، ولذلك عنى رحمه الله بتنمية هذه المواهب فيها ، حبا لأولاده أو حبا لنفسه في أولاده القادرين على أن يخلفوه في الناس ... مما كان يمتاز به من غزارة معرفة وسعة اطلاع .

ولم تخيب أمينة ظن والدها بها ولا كذّبت صدق فراسته فيها فاذ! هى على ذلك حكاتبة ذات رأى سديد فى شئون الاجتماع يظاهره بصر جديد بدخائل الأعلام الذين تترجم لهم أو تتحدث عنهم فى كتب أو مقالات أو تصورهم فى أعمال درامية تقدمها للناس من خلال التلفزيون والاذاعة والصحافة والمسرح • وأصدق شاهد لهذا الذى نقول حذ! الكتاب الذى تنفح به الغيارى على الصدق التاريخي والصدق التحليلي للأستاذ العلامه الفيلسوف جارودى حيثبه الله تعالى حماقة الحمقى وتربيص المتربصين •

والذين يعرفون أمينة الصاوى فى حرصها على الاستعانة بكبار الهمم فيما تخرج من أعمال كبار يشكرون لها ان استعانت برجل سوى الفطرة عميق النظرة حريص على احقاق الحق وابطال الباطل ومعرفة أقدار الناس ٥٠ أستاذ قد تخصص فى الأعلام — وراد فيه الدراسات الحديثة للاعلام الاسلامي والتى نسأل الله أن ينفع بها رجال الدعوة الاسلامية ٥٠

والذين يعرفون الدكتور عبد العزيز شرف لا يعرفون انه شاعر مطبوع نه من القصائد روائع تقف الى جوار دراساته النقدية للشعراء المصريين والعرب على قدم المساواة •

أما بعد ٥٠ فشكر الله تعالى للكاتبين أفاضلين ما بذلا من جهد صادق في اخراج هذا الكتاب عن رجل سبقه الى الاعتزاز بعرية الرأى وانصاف الحق سلفه العظيم دكتور جوستاف لوبون في كتابه « حضارة العرب » نم اقتفى أثره ونسج على منواله الأسستاذ موريس بوكاى في كتسابه « دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف العديثة » ٠

ولا ريب في أن الأستاذ جارودي ومن سبقه ومن سيأتي بعده ــ من الذين أنصفوا الاسلام في كتاباتهم ــ انما ردوا تحية الاسلام لهم بتحية مثلها •

ذلك أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قامت رسالته على احترام العقائد الدينية لمخالفيه ، وقد أضفى على السيح تكريما كريما فى مثل قونه الشريف ﴿ أنا أولى الناس بابن مريم فى الدنيا والآخرة • • ليس بينى وبيته نبى • • والأتبياء أخوة دينهم واحد وشرائعهم شتى » والله سبحانه وتعالى يقول الحق وهو يهدى الى السبيل •

مصر الجديدة في ع جمادى الآخرة عنه معنى الباقورى ٧ مارس ١٩٨٤ ٠

بسيسانيدالرمز الزحني

مقسدمة المؤلفسين

منذ سنوات أعلن جارودى أنه لم يعد يستطيع التزام الصمت ــ ذلك أنه لاحظ أن الحركة الشيوعية الدولية في أزمة • من مظاهرها ــ الانفصال الصينى ، غزو تشيكوسلوفاكيا في عام ١٩٦٨ ، مؤتمر موسكو في شهر يونيو عام ١٩٦٩ ، وتخلى الحزب الشبوعي التشيكوسلوفاكي ــ ذلك التخلي الذي فرض عليه فرضا •

ولم يلبث جارودى أن أعلن — المحقيقة كلها — فى كتاب يحمل هذا العنوان متجاوزا مراحل فكرية فى مسيرته الخصبة: ليواجه ما سماه حينئذ بالمشكلة الجوهرية التى تفرض نفسها على كل فرد منا فى نهاية القرن العشرين • وأن أدراك هذه المشكلة وشعور الشخص بأن المرء مسئول عن حلها يعتبران شيئا واحدا • ويتوقف على ذلك احتضار عالم أو يعثه من جديد •

هذه المشكلة الجوهرية في فكر جارودي هي التي قادته الي الاسلام •

ذلك أن جارودى قد نبه الى الطريق المسدود الذي تسير فيه الشيوعية وكان في مسيرته الفكرية حريصا على دراسة وسائل الخروج من هذا الطريق المسدود ... منذ أيقظته من غفوته « الستالينية » فضيحة « البيان السرى » الذي ألقاه خروشوف عام ١٩٥٦ ... وجعلته ... كما يقول ... ينطلق الى البحث عن ملاذ ليقينه من جديد ٥٠ فعل ذلك لا عن تصميم بألا يؤمن بشيء بعد ذلك بل تمسميم بألا يؤمن الا وعيونه مفتوحة ٥

وبهذه العيون المنتوحة استقرأ رروح عصره ، ومن استقرائه ذهب

الى أن التغييرات الكبرى المعاصرة يساعد ادراكها على اجتناب عدد من الأخطاء في ميدان الثقافة ، ومنها خطأ الاعتقاد بأن الظروف الاقتصادية والاجتماعية الشيوعية يؤدى بالضرورة الى قيام بنيتها الفوقية ٥٠ وأن الانسان سيتغير بصورة آلية ، ومنها خطأ الاعتقاد بأن الثقافة ليست أكثر من وسيئة لتحقيق الأهداف القصيرة الأجل في خطة اقتصادية أو مشروع سياسى ٠

ويرى جارودى فى انحسار الاستعمار عن قارتى آسيا وأفريقيا مغزى تاريخيا عميقا ، هو أن الغرب ـ أى أوربا وأمريكا الشمالية ـ لم يعد وحده مركز المبادرة التاريخية كما لم يعد وحده مبتدع القيم والحضارة والثقافة •

يقول جارودي في كتابه « ماركسية القرن العشرين » :

« المئن كانت شعوب آسيا وأفريقيا م تبدع علما تقنيا في مثل جدوى ما أبدعنا فلن يكون أقل قتلا لروح الانسانية في عصرنا من منعها على أن تستقصى وتحترم القيم التي أبدعتها شعوب أوقفها الاستعمار عن متابعة نموها وسلبها تاريخها » • • وهذا القول من جارودي في تقديرنا يمثل كشفا حقيقيا عن تمرده على الماركسية من جهة ، وبداية الانفتاح على المثقافة الاسلامية من جهة أخرى •

ذلك أن جارودى في هذه المرحلة السابقة على « مبشرات الاسلام ووعوده » الحقة ؛ أعان ثورته على أنصار السلبية الأحادية المتزمتة ، النتى نجد من أمثالها في « المعجم الفلسفي » المكتوب من وجهة النظر الشيوعية : موسكو ١٩٦٧ — أن الدين لا يزال « أفيون الشعوب » ولا تعرف هذه النظرة الماركسية عن الاسلام الا الهراء الذي سجله المعجم الفلسفي الشيوعي ، وهنا يتكشف لنا مغزى الثورة الجارودية على الماركسية ، والاقبال على الاسلام ثم اعتناقه ، ذلك أن القول الماركسي الهراء عن الدين هو أول وصف ينطبق على مذهب كارل ماركس بجميع معانيه ، ذلك أن « الشعور بالمسئولية والمسكرات نقيضان » ، على معانيه ، ذلك أن « الشعور بالمسئولية والمسكرات نقيضان » ، على

حد تعبير العقاد ، فما من دين الا وهو يوقظ فى نفس المتدين شعورا حاضرا بالمسئولية فى السر والعلانية ، ويجعله على حذر من مقارفة الذنوب بينه وبين ضميره ، ويوحى الى الفقراء والأغنياء على السواء أنهم لن يستحقوا أجرا من السماء بغير عمل وغير جزاء ،

ولذلك يؤكد جارودى بعد اسلامه أن « وعى الغرب بكونه مدينا للحضارات الأخرى هو الشرط الوحيد لانقاذه من الانقراض » • ويقول في الرد على القاموس الشيوعى الأحادى ونظائره ، بعد أن يفند الأكاذيب والمزاعم الخاطئة التي وردت به :

« ان الاسلام هو الحل الوحيد لانقاذ البشرية » التى تقف الآن على المنحنى الخطر في مواجهة المشكلة الجوهرية التى تفرض نفسها على كل فرد منا في نهاية القرن العشرين ، ويتوقف على حلها احتضار العالم أو بعثه من جديد •

وتأسيسا على تتبع الرحلة الجارودية العظيمة من بدايتها في دياجير الظلام الى منتهاها في عالم النور ، في رحاب الاسلام •

وقد اقتضانا المنهج العلمى لدراسة هذه الرحلة أن نقسم هذا الكتاب الى سسبعة أبواب ، تنساولنا فى الباب الأول منها : الفسكر الأوربى وعبقرية الاسلام ، حيث استعرضنا اتجاهات مفكرى العالم نحو الدين المحنبف ، وأرائهم المختلفة فيه وحوله ، وانتهينا منه الى دراسة الرحلة الجارودبة من الشك الى اليقين ، واستعرضنا أهم كتبه التى تمثل علامات مميزة على طريق الرحلة من القلق والضباب الى سكينة النفس ونور الامان ،

أما الباب الثانى ، فقد خصصناه لدراسة الماركسية ونقد جارودى لها ثم نقضه اياها • حتى بتسنى لنا أن نتعرف على « الحقيقة كلها » في الباب الثالث • وفى الباب الرابع ننتقل مع جارودى الى كشف جديد للقناع المزيف الصهيونية وأضاليلها استمرارا لمنهجه النقدى المستنير في كشف الحقيقة كلها •

ولقد خصصنا الباب الخامس لدراسة الفكر الاسلامى عند جارودى ، والذى أدى المتناعة به شكلا ومعتوى الى أن يؤكد أن « الاسلام هو الحل الوحيد » •

وختمنا الكتاب ببابين مستفيضين عن الاسلام ومستقبل الحضارة من خلال ما تكثف عنه الرؤبا الفكرية للمفكر الكبير جارودى ، الذى يؤكد لنا أن الاسلام فيه مستقبل العضارة الجديدة ، ذلك أن العضارة تنبع من الاسلام عقيدة ومنهج حياة ،

ولذلك يشير جارودى باعجاب الى الحديث النبوى الشريف « رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر » • ويعقب عليه جارودى بقوله : « بعد هذا الحديث النبوى الشريف درسا هاما لكثير من « الثوريين » الذين يحاولون تغيير كل شىء ما عدا أنفسهم !! » •

وهذه المضارة البحديدة هي مضارة الاسلام ، التي تتبع - كما يذهب الى ذلك جارودي - من القرآن الكريم والسنة الشريفة « فهذا الدين يتبذ الازدواجية المزيفة في شئون المقيدة أو السياسة أو المجد أو الدولة ، ولا شك في مقدرة الاسلام على السيطرة على الأزمة المضارية المعاصرة « حيث مصير المعمورة مرهون بالاسلام » •

لقد سعدنا في القاهرة بجارودى فيلسوف الحضارة الجديدة في رحاب الاسلام: ولا نملك في هذه المقدمة: الا أن نوجه اليه خطاب الأستاذ الامام محمد عبده الى تولستوى: آملين أن يجد فيه جارودى ما نكته كمسلمين لكل من ينصف الاسلام ؛ ويهدى الانسانية الى العضارة الجديدة • • حضارة الاسلام •

يقول الأستاذ الامام محمد عبده:

« أيها الحكيم الجليل مسيو تولستوى ٠٠

« سطع علينا دور من أفكارك ، وأشرقت في آفاقنا شموس من آر اتك ألفت بين نفوس العقلاء ونفسك ، هداك الله الى معرفة سر الفطرة التي فطر الناس عليها ، ووفقك الى المعاية التي هدى البشر اليها ، فأدركت أن الانسان جاء هذا الوجود لينبت بالعلم ، ويثمر بالعمل ، والآن تكون ثمرته تعبا ترناح به نفسه ، وسعيا يبقى ويربى جنسه ، وشعرت بالشقاء الذي نزل بالناس ، لما انحرفوا عن سنة الفطرة ، وحينما استعملوا قواهم التي لم يمنحوها الا ليسعدوا بها فيما كدر واحتهم ، وزعزع طمأنينتهم ،

لا ونظرت نظرة في الدين مزقت حجب التقاليد ، ووصلت بها الى حقيقة التوحيد ورفعت صوتك تدعو الناس الى ما هداك الله اليه وتقدمت أمامهم بالعمل لتحمل نفوسهم عليه ، فكما كنت بقولك هاديا للعقول كنت بعملك حاثا للعزائم والهمم ، وكما كانت آراؤك ضياء يهتدى بها الضالون كان مثلك في العمل اماما يقتدى به المسترشدون » •

وكذلك أنت أيها المفكر الاسلامي الكبير:

رجاء جارودي

مفكر الحضارة الجديدة ٠٠

حضارة الاسلام ••

حضارة الأمس واليوم والمستقبل ٠٠

واننا نقدم هذا الكتاب بالتعاون مع الأستاذ سعيد جوده السحار

صاحب مطبعة ومكتبة مصر نفع الله به الاسلام والسلمين ، فقد تحمس مشكورا لمضمونه ، وعمل على اخراجه في وقت قصير حتى تتعسرف الأجيال على رحلة من أعظم الرحلات الفكرية في التاريخ ٠٠ من الشك الى الايمان ٠

امينــة الصـاوى و عبد العزيز شرف

القاهرة في ع جمادي الآخرة ١٤٠٤ ه ٠ ٧ مارس ١٩٨٤ م ٠ بسيم النبالرمز الزحيم

(اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب) « صدق الله العظيم »

البايسيالأول

الفكر الأوربى وعبقرية الاسسلام

: عصيمة

• • أعظم الايمان ما نبع من القلب وأمَّن عليه العقل باقتناع وثقة — وأعظم المؤمنين هم أولئك الذين جمع الله لهم رؤية الحق وقوة الفهم ونفاذ البصيرة ونقاء الضمير وشفافية الروح وقوة الذاكرة فأخضعوا كل هذا لمعرفة المقيفة وفرضوا على أنفسهم التفكير الصارم الدقيق دون يأس أو ملل هتى وصلوا الى شاطىء اليقين واستقروا على مرفأ الايمان الصحيح • •

واليوم نقدم للقارىء المسلم أنموذجا من نماذج البطولة الشامفة السامقة في التفكير الانسانى ١٠ نقدم رجاء جارودى ١٠ الفكر الفيلسوف الأديب الناقد السياسى ــ الذى أنفق من عمره أكثر من ثلاثين عاما باحثا منقبا بين الأديان والعقائد والأيدولوجيات المختلفة ثم أنتهى به الطواف الى الاسلام حيث أعلن أنه الدين الحق للناس كافة في كل مكان وزمان وأن عقيدة التوحيد هي العقيدة المثلي التي لا يصل اليها الباطل ولا يستطيع النبل من قوتها مهما حاول ١٠ وأن مستقبل العالم يقطن في الاسلام ــ ثم أكد أن الحلول الاسلامية هي وحدها القادرة على انقاذ المجتمع الانساني من المشكلات العويصة التي تأخذ بخناقه والأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تتقاذفه بضراوة ــ وأن المنهج الاسلامي هو المنهج السليم الذي يتحتم على الانسانية أن

تنهجه وأن تسير على هديه لتحقق أملها غى الحياة الكريمة الآمنة القائمة على العدل والسلام •

لقد اهتم جارودى بالقضايا الانسانية وكان في كل منها صاحب موقف وكان موقفه ينبثق دائما عن عقيدة ــ ومن أهم وأبرزمواقفه دفاعه عن انسانية الانسان ومهاجمته للعنصرية بكل صورها ــ قديما وحديثا ــ ومطالبته بالمساواة مين البشر وتحقيق العدل والحرية من خلال منهج سليم يربط الأرض بالسماء •

مفكرو المالم يتجهون الى الاسلام

اتجه الى الاسلام قبل جارودى كثير من مفكرى المعالم ، والجميل الذى يشد الانتباه حقا هو أن معظمهم من بلد الحرية والاخاء والمساواة __ من فرنسا __ أول بلد عرف حقوق الانسان وأقرها وعمل على تعميمها وتطبيقها ، ولن نستطيع هنا أن نتحدث عن كل المفكرين العالميين أو الفرنسيين الذين بهرتهم عظمة الاسلام فتوفروا على دراسته سنوات طويلة ثم أعلنوا أنه الدين الأمثل وأهابوا بالانسانية أن تهتم به وتستدرك ما فاتها خلال الثلاثة عشر قرنا الماضية __ وقد دخل الاسلام عديد من هؤلاء المفكرين __ وقد كتب الجميع مؤلفات عظيمة القيمة ترجمت الى مختلف اللغات وانتشرت في أنحاء العالم كالفياسوف موريس بوكاى والدكتور جوستاف ليبون والماتب العالم كارليل والكونت هندى دي كاسترى واللورد هيدلى والفيلسوف رينيه جينو والفنان دينيه وزميله روبرت ولسلى والدكتور جرنييه ٠٠

لقد اندفع المفكرون الذين أسلموا الى الاسلام اندفاع الظهامىء الملهوف القادم من جوف الصحراء القاحلة وقت الهاجرة الى النبع العذب الصافى فارتشفوا من مائه البارد حتى سكن عطشهم ثم نهلوا منه حتى ارتووا فحمدوا الله أن هداهم الى هذا النبع بعد رحلتهم الطويلة المضنية •

أورد هيــدلي

يقول لورد هيدلى: « فكرت وابتهلت أربعين عاما لكى أصل الى حلى صحيح _ ولابد أن أعترف أن زيارتى للشرق ملأتنى احتراما للدين المحمدى السلس الذى يجعل الانسان يعبد الله حقيقة طول مدة الحياة لا في أبام الآحاد فقط وأنى أشكر الله أن هدانى للاسلام الذى أصبح حقيقة راسخة في فؤادى فقد التقيت بسعادة وطمأنينة لم أعرفها من قبل ٠٠ أصبحت كرجل فر من سرداب مظلم الى فسيح من الأرض تضيئه شمس النهار وأخذ يستنشق هواء البحر النقى الخالص ٢٠٠٠

ويشيد لورد هيدلى بالاسلام فيقول: « لا يوجد فى الاسلام غير الله واحد ، نعبده ونتقيه أنه أمام الجميع وفوق الجميع وليس هناك قدوس آخر نشركه معه ، وأن المدهش حقا أن تكون المخلوقات البشرية ذوات العقول والألباب على هذا القدر من الغباوة فيسمحون للمعتقدات والحيل الكهنوتية أن تحجب عن نظرهم رؤية السماء ، وؤية ربهم القاهر المتصل دواما بكل مفلوقاته سواء أكانوا عاديين أم أولياء مقدسين ، مفتاح السماء موجود دائما فى مكانه ويمكن ادارته بأقل المفلوقات دون مساعدة نبى أو كاهن أو ملك ، اله كالهواء الذى نستنشقه مجانا لكل خلق الله ، أما هؤلاء الذين يجعلون الناس يفهمون غير ذلك فهم أصحاب منفعة وما دعاهم الى هذا العمل الاحب الفائدة ، ليس غرضى الرئيسي أن أهاجم أى فرع من فروع الديانة لأبين جلال وسلاسة الديانة الاسلامية ـ ولكن الكثيرين قد افتروا على الاسلام ولا يسعنى الا أن أقول ان هؤلاء المفترين لم يتعلموا ـ حتى ـ ولا أول مبادى، دينهم والا لما جرءوا على أن بنشروا في جميع أنحاء العالم تقارير يعرفون جيدا أنها محض كذب واختلاق ،

ان تعاليم القرآن الكريم قد نفذت ومورست في حياة محمد

الذى _ سواء فى أيام تحمله الألم والاضطهاد أم فى زمن انتصاره ونجاحه _ أظهر أشرف الصفات الخلقية التى لا يتسنى لمخلوق آخر اظهارها _ فكل صفات الصبر والثبات فى عصره كانت ترى أثناء الثلاث عشرة سنة التى عاناها بمكة فى البداية دون أن تتزعزع ثقته بالله أو يتراجع عن تأدية واجبه بشمم وحمية ، كان صلى الله عليه وسلم مثابرا حامدا لا يخشى أعداءه .

لقد أثارت تلك الشجاعة التى لا تعرف الجفول _ نلك الشجاعة التى كانت حقا احدى مميزاته _ اعجاب واحترام الكافرين وأولئك الذين تمنوا قتله ومع ذلك فقد انتبهت مشاعرنا وازداد اعجابنا به بعد ذلك في سنواته الأخيرة عندما حقق الانتمار وأصبحت له القوة والمقدرة على الانتقام والأخذ بثأره فلم يفعل ١٠ بل عفا عن جميع أعدائه _ ولقد أدى هذا التصرف منه الى أن يفضل العديد من الكافرين دين الاسلام على معتقداتهم _ عفا عن الذين اضطهدوه وعذبوه وآوى الذين نفوه من مكة وأحسن الى فقرائهم وصفح عن أخطائهم بينما حياتهم في قبضة يده وتحت رحمته _ تلك الأخلاق الربانية التى أظهرها النبى الكريم أقنعت العرب بأن صاحبها لا يمكن أن يكون الا من عند الله وأن يكون رجلا على الصراط المستقيم حقا _ وتلك الأخلاق الربانية هي التى حولتهم من أشد البغض والكراهية الى الصداقة المتينة والحبة التي حولتهم من أشد البغض والكراهية الى الصداقة المتينة والحبة الصادقة » •

ويتحدث لورد هيدلى عن شخصية محمد بن عبد الله باعتبارها المثل الكامل فيقول « نحن نعتبر أن نبى بلاد العرب الكريم ذو أخلاق مثيئة وشخصية حقيقة وزنت واختيرت في كل خطوة من خطى حياته ولم نر فيه نقصا على الاطلاق — وبما أننا نحتاج الى نموذج كامل يفي بحاجاتنا في خطوات الحباة — فحياة النبى المقدس تسد تلك الحاجة — فهي كمرآة تعكس علينا التعقل الراقي والسخاء والكرم والشجاعة والاقدام والصبر والحلم والوداعة والعفو وباقى الأخلاق الجوهرية التي تكون الانسانية ونرى ذلك فيها بألوان وضاءة » •

كارليـــل

أما كارليل الكاتب الانجليزى الذى أغرم بالبطولة وتتبع أصحابها في مختلف المجالات فقد أودع كتابه « الأبطال » فصلا كاملا عن رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم طالب فيه المتحدثين من أبناء جيله أن لا يصغوا الى ما يشاع عن الاسلام من أكاذيب وما ينشر عن نبيه من المتراءات وادعاءات وطالبهم بأن يحاربوا هذه السفافات مؤكدا لهم أن الرسالة التي جاء بها محمد بن عبد الله « خلك سراجا منيرا أربعة عشر قرنا من الزمان للايين كثيرة من الناس » ثم يسألهم : « أمن المعقول أن تكون هذه الرسالة التي عاشت عليها تلك الملايين وماتت أكذوبة أو غديعة ؟ وهل رأوا رجلا كاذبا استطاع أن يخلق دينا وأن يتعهده بالنشر على هذه الصورة التي انتشر بها الاسلام ؟ » ثم يقول : « ما الرسالة التي أداها محمد الا الصدق والحق وما كلمته الا صوت حق صادر من العالم المجهول ٥٠ وما هو الا شبهاب أضاء العالم أجمع • ذلك أمر الله وذلك غضل الله يؤتيه من يشاء ١٠٠ لقد أحببت محمدا لخلو نفسه من الرياء والنفاق وبراءتها من التصنع والطمع وهب الدنيا ٠٠ لقد كان منفردا بنفسه العظيمة وخالق الكون والكائنات وقد رأى سر الوجود يسطع أمام عينيه بأهواله ومحاسنه _ وقد جاء صوته من قلب الطبيعة الصحراوية النقية الطاهرة لهذا دلف من الآذان الى القلوب واستقرت كلماته فيها ٠٠ لم يكن محمد متكبرا ولا ذليلا ولم يرض بالأوضاع الكاذبة ولم يتحرك خوف الأوهام الباطلة ومن مكانه المتواضع وثوبه المرقع خاطب الملوك والقياصرة والأكاسرة موجها ومرشدا ومنذرا أيضا لم يخش في الحق لومة لائم ولم يقبل ما عرض عليه من مال وجاه وسلطان وعاش زاهدا متقشفا مجتهدا في الله عاملا على نشر دينه غير عابىء بما يلاقى من أهوال وما يعترض سبيله من عقبات حتى مكن الله للدين الحق في الأرض فانتشر وازدهر ه

رينيسه جينيسو

ومن الذين أحدث اسلامهم ضجة كبرى في أوربا وأمريكا وكان سببا في دخول الكثيرين الى الاسلام وارتباطهم في جماعات وجمعيات الفيلسوف « رينيه جينيو » الذي تسمى بعد اسلامه باسم « عبد الواحد يحيى » *

يقول عنه الشيخ عبد الحليم محمود في كتابه أوربا والاسلام:
« لقد أراد أن يعتصم بنص مقدس لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فلم يجد بعد دراسة عميقة سسوى القرآن فهو الكتاب الوحيد
الذي لم ينله التحريف ولا التبديل لأن الله تكفل بحفظه وقد حفظه حقيقة « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » لم يجد رينيه جينيو سأو عبد الواحد يحيى سوى القرآن نصا مقدسا صحيحا فاعتصم به وسار تحت لوائه فغمره الأمن النفسى والسكينة الروحية في رحاب الفرقان ،

وقد ألف عبد الواحد يحيى الكثير من الكتب من بينها « أزمة العالم الحديث » الذى تحدث فيه عن المعاناة الرهيبة التى تعانى منها أوربا بعد أن انحرفت عن الجادة وابتعدت عن طريق الله فعرقت فى بحار المادية والالحاد والانحلال والدمار الخلقى •

ومنها كتابه « الشرق والعرب » الذى أشاد فيه بمكانة الشرق وبين أنه أصل الحضارة فى العالم ومنبع التفكير ومهد العلوم والفنون ومصدر المبادىء الانسانية الرفيعة ثم قارن بينه وبين الغرب وقام بتعرية المجتمعات هناك وأوضح ما هى عليه من خواء روحى وضراوة مادية أدت الى سحق الانسان وتدمير كل القيم والمثل فى نفسه •

. واذا كان الاستعمار قد دأب على نغطية أمجاد الشرق والحط من قدر الحضارة الشرقبة والتقليل من شأن كل الجماليات التي جاء بها

الاسلام خاصة فان عبد الواحد يحيى قد تعمد الكتابة في هذا مرات كثيرة قلب فيها الوضع رأسا على عقب وبين للشرقيين قدرهم وعرفهم بقيمتهم وأنهم منبع النور والهداية ومشرق الوحى والالهام ثم كتب في « الثقافة الاسلامية وأثرها في الغرب » وقال لولا علماء الاسلام وفلاسفتهم لظل الغربيون يتضطون في دباجير الجهل والظلام •

مایگل هسارت

وفى كتاب « الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله » الذى وضعه مايكل هارت وترجمه أنيس منصور ــ والمؤلف ليس مسلما ولكنه باحث أمريكى استعرض عظماء التاريخ جميعا ثم اختار منهم محمداً صلى الله عليه وسلم نبكون أعظم العظماء •

يقول المؤلف: « ان محمدا عليه السلام هو الانسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاها مطلقا في المجال الديني والدنيوى فهو قد دعا الى الاسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات وأصبح قائدا سياسيا وعسكريا ودينيا ورغم مرور ١٣ قرنا على وفاته فان أثره لا يزال قويا متجددا ـ وقد استطاع المؤمنون بدعوته أن يقيموا امبراطورية واسعة ممتدة من حدود الهند حتى المحيط الأطلسي وهي أعظم امبراطورية أقيمت في التاريخ حتى اليوم وقد نشروا الاسلام في كل بلد دخلوه ورغم انفصال بعض البلاد عن تلك الامبراطورية فان الاسلام بقى فيها واستقر وانتشر منها الى غيرها ٠

والرسول محمد صلى الله عليه وسلم هو المسئول الأول والأوحد عن ارساء تواعد الاسلام وأصول الشريعة والسلوك الاجتماعي والأخلاقي وأصول المعاملات بين الناس في حياتهم الدينية والدنيوية كما أن القرآن قد نزل عليه وحده ٥٠ وفي القرآن الكريم وجد المسلمون كل ما يحتاجون اليه في دنياهم وآخرتهم ٠

دكتور جرنييسه

أما الدكتور جرنييه فيقول عن سبب اسلامه: « انى تتبعت كل الآيات القرآنية التى لها ارتباط بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية التى درستها من صغرى وأعرفها جيدا فوجدت هذه الآيات منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة ٠٠ وقد اسلمت لأنى تيقنت أن محمدا صلى الله عليه وسلم أتى بالحق الصراح من قبل الف سنة دون معلم أو مدرس من البشر ـ ولو أن كل صاحب فن من انفنون أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلم كما فعلت أنا لأسلم بلا شك ان كان عاقلا خاليا من الأغراض ٠

الفونس اتيين دينيمه

أما ألفونس اتبين دينيه فهو واحد من كبار الفنانين المسورين العالميين – وقد اهتم بالحياة العربية وعكف على تصويرها حتى أطلقوا عليه اسم المصور العربى – وقد أسلم بعد سنوات طويلة قضاها مع المسلمين في الجزائر – ويذكر الشيخ عبد الحليم محمود أنه كان كثير التفكير جم التأمل يسرح بخياله في ملكوت السموات والأرض يريد أن يخترق الحجب ليصل الى الله ••

وقد اقترن فيه الفن بالدين فكان مثالا واضحا للانسان الملهم ٠٠ كان يفكر في لوحاته ويفكر في مصيره ويعمل جاهدا ليبلغ الذروة في الفن ويعمل جاهدا لازالة المظلمة المتكاثفة في دائرة اللانهاية ٠٠ والشك القاتل الذي يعصف بروحه في الديانة التي فرضت عليها ثم وقعت في يده نسخة من مجلة انجليزية فاذا فيها سؤال يقول: « لماذا صار بعض

الانجليز وغيرهم من الأوربيين مسلمين ؟ » واذا الاجابة: « ذلك لأنه ا كانوا بتلمسون عقيدة سهلة عملية في جوهرها ملائمة لأحسوال جميع الشعوب وعاداتهم وأعمالهم • • عقيدة دينية يقف بها الخالق أمام المخلوق دون وسيط » •

اهتم دينيه بما غرأ وأخذ يبحث الأمر ثم ساغر الى الجزائر واختلط بالمسلمين فيها وناقشهم وسمع منهم وتأمل وفكر ثم اهتدى وأصدر رسالته « أشعة خاصة بنور الاسلام » ثم « حياة العرب » فكتاب « السراب » فكتاب « ربيع القلوب » فكتاب « الشرق كما يراه الغرب » ثم كتابه الضخم عن السيرة النبوية وكتابه « الحج الى بيت الله الحرام » •

بقول دينيه : « العقيدة المحمدية لا تقف عقبة في سبل التفكير ٠٠ ند يكون الانسان صحيح الاسلام وفي الوقت نفسه حر التفكير » ٠

ويقول: « الدين الاسلامي لم يتخذ فيه الاله شكلا بشريا أو ما الى ذلك من الأشكال ــ ان ياهو الذي يمثل به اليهود طهارة التوحيد يجعلونه على مظاهر متهالكة وكذلك نراه في متحف الفاتيكان وفي نسخ الأناجيل المصورة ــ أما الله في الاسلام فقد حدثنا عنه القرآن ولم يجرؤ مصور أو نحات أن تجرى به ريشته أو ينحته أزميله ــ ذلك لأن الله سبحانه وتعالى لا صورة له ولا حدود محصورة وهو الواحد الأحد الفرد الصمد لم يكن له كفوا أحد » •

ويتحدث ذينيه عن الصلاة والنظافة فيقول:

« ان الحركات والاشارات في الصلاة الاسلامية هي ذات بساطة ولطاغة ونبالة ولم يسبق لها مثيل من نوعها في صلاة غيرها كما أنها لا تدعو الوجوه الى التظاهر والتكلف ولا العيون بالشخوص الى السماء واستنزال الدموع التي تذكرنا بالدموع الجلسرينية التي يفتعلها ممثلو السينما _ حقا أن الصورة الاسلامية خالية من تلك الأمور الشائنة ، والأقوال والحركات التي في الصلاة الاسلامية ذات دلالة على الرزانة

والهدوء والاطمئنان وهي خالية من مبالغات الورع وتكلف الخصوع والتظاهر بذلك ـ لأن الله سبحانه وتعالى عليم بذات الصدور وهو الغنى الحميد » •

وعندما أسلم دينيه اختار لنفسه اسم ناصر الدين وخصص حياته لنصرة الدين سياسيا وعلميا ، لأنه وجد أن عنصرين هامين من عناصر الشر يتألبان على الاسلام ويهاجمانه غى عرينه (رجال السياسة الاستعماريون ورجال الدين المتعصبون) ، ولما كان دينيه من غير محترفى السياسة فقد لجأ الى كل منصف من ذوى النفوذ واجتهد لكى يجعله يتبنى قضية الشرق المظلوم ، ومن أمثلة ذلك كتاب « استعباد الاسلام » لمسيو أوجين يونع وكبل حكومة التونكين الفرنسية سابقا ــ وهذا الكاتب معروف أنه من خيرة الفرنسيين وفى كتابه يقول : « اننا نهيىء من اليوم مقدمات حرب دينية شديدة الفزع والهول » ، ثم أظهر أن مصالح فرنسا الحيوية انما هى فى التفاهم والاتفاق الودى مع الاسلام •

كذلك أخذ دينيه ينشر ما يصحح فكرة الأوروبيين عن الشعوب الاسلامية وبين أنها بعيدة كل البعد عن الهمجية والتوحش – وأنها تمتاز بالوفاء وعرفان الجميل والكرم والشجاعة والفضائل المحمودة ويبين أن ماضيها المجيد خير نبراس يرسل أشعته على الفكرة الخاطئة الموجودة عند الغربيين •

ومن ألذع توجيهاته الفرنسيين في هذا الميدان أنه حينما ألف كتابه في السيرة النبوية أهداه لأرواح الجنود الذين استشهدوا في الحرب الكبرى وهم يحاربون في صفوف الفرنسيين •

هذا وقد أخذ يصول ويجول في ميدان الدفاع العلمي عن الاسلام باعتباره دينا سماويا ومما زاد من قيمة دفاعه تلك الموازنات الكثيرة الدقيقة بين الاسلام والمسيحية في كثير من الأصول وفي كثير من الفروع ولكنه كان يعلن دائما _ شأن كل مسلم _ احترامه للمسيح عليه السلام لأنه رسول الله ويعلن احترامه للمسيحية التي تحدث عنها القرآن ، كذلك

كان بعلن أن دين الله واحد وأن الاسلام جاء مصدقا لما سبقه مصححا لما ناله من تحريف وقد وعد الله بحفظ القرآن الكريم بقوله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ، فالقرآن الكريم في عصرنا الحاضر هو الكتاب السماوى الوحيد الذي لم ينله ولن يناله تحريف أو تبديك .

وظل دينيه يصحح الأخطاء ويرد هجوم أعداء الاسلام ويناضل عن المسلمين كشعوب الى عام ١٩٢٨ حيث قام بأداء فريضة الحج ووضع كتابه « الحج الى بيت الله الحرام » • وفى ديسمبر ١٩٢٩ توفى بباريس وصلى عليه جمع من المسلمين بمسجدها الكبير ثم نقل جثمانه الى الجزائر حيث دفن فى المقبرة التى بناها لنفسه فى بلدة (بوسعادة) •

تولســـتوى

ولابد لنا هنا أن نذكر تلك الكلمة التى دافع بها أديب روسيا وكاتبها الكبير _ تولستوى _ عن الاسلام عندما رأى سهام الظلم توجه اليه من كل جانب • • لقد كتب رأيه مؤكدا أنه قد أحب الاسلام وأحب رسوله وأنهما معا قد نالا اعجابه واكباره _ قال تولستوى :

« لا ريب أن هذا النبى من كبار المصلحين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة ويكفيه فخرا أنه هدى أمة برمتها الى نور الحق وجعلها تجنح الى السلام وتكف عن سفك الدماء وتقديم الضحايا ويكفيه فخرا أنه فتح طريق الرقى والتقدم وهذا عمل عظيم لا يفوز به الا شخص أوتى قوة وحكمة وعلما ورجل مثله جدير بالاحترام والاجلال » •

وقد كتب اليه الامام الشيخ محمد عبده يقول:

« أيها الحكيم الجليل مسيو تولستوى ــ لم نحظ بمعرفة شخصك ولكننا لم نحرم التعارف مع روحك • سلطع علينا نور من السكارك

وأشرقت في آفاقنا شموس من آرائك ألفت بين نفوس العقلاء ونفسك هداك الله الى معرفة سر الفطرة التي فطر الناس عليها ووفقك الى الغاية التي هدى البشر اليها فأدركت أن الانسان جاء هذا الوجود لينبت بالعلم ويثمر بالعمل ولأن نكون ثمرته تعبا ترتاح به نفسه وسعيا يبقى ويربى حسه وشعرت بالشقاء الذي نزل بالناس لما انحرفوا عن سنة الفطرة وحينما استعملوا فواهم التي لم يمنحوها الا ليسعدوا بها فيما كدر راحتهم وزعزع طمأنينتهم •

ونظرت نظرة في الدين مزقت حجب التقاليد ووصلت بها الى حقيقة التوحيد ورفعت صوتك تدعو الناس الى ما هداك الله اليه وتقدمت أمامهم بالعمل لتحمل نفوسهم عليه _ فكما كنت بقولك هاديا للعقول كنت بعملك حاثا للعزائم والهمم • وكما كانت آراؤك ضياء يهتدى بها الضالون كان مثالك في العمل اماما يقتدى به المسنرشدون • • وكما كان وجودك توبيخا من الله المأغنياء كان مددا من عنايته للضعفاء والفقراء _ وان أرفع مجد بلغته وأكبر جزاء نلته على متاعبك في النصح والارشاد هو هذا الذي سماه الغافلون بالحرمان والابعاد فليس ما حصل لك من رؤساء الدين سوى اعتراف منهم أعلنوه نلناس أنك لست من القوم الضالين _ فاهمد الله على أن فارقوك في أقوالهم كما كنت فارقتهم في عقائدهم •

هذا وأن نفوسنا لشيقة الى ما يتجدد من آثار قلمك فيما تستقبل من أيام عمرك وانا نسأل الله أن يمد في هياتك ويحفظ عليك قواك ويفتح أبواب القلوب لفهم قولك ويسوق النفوس الى التأسى بك في عملك والسلام.» •

بعد هذه الرحلات السريعة مع ذلك البعض من مفكرى العرب الذين أسعدهم الحظ فدخلوا رحاب الدين الحق واغتسلوا بأنوار هديه فأصبحوا الأوائل بين أقوامهم والطلائع المبشرة لهم بالخلاص من معاناة مريرة طال امدها واشتد ألمها •

بعد هذه الرحلات آن لنا أن نبدأ رحلتما مع المفكر الفرنسي جارودي . (جارودي)

من الشك الي اليقين

من يقرأ رواية جارودى المسماة ٠٠٠ (Qui dires — Vous que Je suis)

(من أكون في اعتقادكم)

من يقرأ هذه الرواية التي كتبها صاهبها بضمير المتكلم يشعر أن فيها شبيئا من نفسه ١٠٠ انه يتحدث عن تلك النفس خاصة في فترة الطفولة المبكرة ٠

يقول جارودى: « • • كانت المدرسة كما لو انها لن تنتهى أبدا • • فى البدء كانوا يعلموننا القراءة • • ليس فى الأشياء • • بل فى الكتب بحكايات بلهاء • • حكايات حيوانات لا تعنى لنا شيئًا • • الأرانب هى الموحيدة التى جذبت اهتمامى • • وكنت قد رأيت بعضها فى المتجر الكبير مغلفة بالسيلوفان وكنت أظن أن ذلك اللحم بلون الثمر كان ينبت على شجرة كالبرنقال أو الكريز • • وحين قال لى أبى أن الأرانب كانت تجرى غى المقول وأنهم قتلوها • • بكيت » •

طفل مرهف الحس رقيق الشعور فياض العاطفة ــ هكذا كان هارودى في طغولته ، ولنعد الى الرواية لنسمه يقول : « وكان هناك بعد ذلك درس اللاتينية ٠٠ لا شيء فيه يشبه حياتي ٠٠ ليس من انسان في هذه الكتب أستطيع أن أحبه » نقطة البداية في خط التمرد ١٠٠ لقد بدأ الطفل الصغير يعي ما يقدم نه من غذاء فكرى وبدأ يرفض الاقبال على ما لا يتلاءم وفطرته النقبة ، ولنتابع الروابة معه ٠٠ « ثم وضعوني في المدرسة الاكليريكية من غير أن يسألوني رأيي والحق أني لم أكن معارضا في البدء على الأقل ولكني كنت أطرح على نفسي العديد من الأسئلة وكنت المل أن يساعدوني في الاجابة عليها ٠ وقد بدأت المعامرة بداية جيدة مع معلم « المهد المجديد » الأب كريستوف ــ كان الاتجيل يشعذ أسئلتي

التى كنت أطرحها ولكن أالآخرين كانت لديهم الاجابة على كل شىء الا الأسئلة التى كنت أطرحها على نفسى _ وكانت لديهم مقدرة على معالجة الأمر جعلتنى في النهاية أحس بأنى مذنب حين أطرحها ٠٠ » •

لقد شب الصبى على الطوق وبدأت عقليته تنضج وتتفتح وازدادت فطرته التقية نفوراً من الواقع المحيط بها ورفضا له وهكذا ازداد خط التمرد وضوها وتعمقا عند جارودى ٠

ومرة أخرى نتابع الرواية مع جارودى « • • والأسوأ كان مدرس الفلسغة _ كان ابان آزمة _ هوس اللغة _ بكل ظروفها المضحكة • • فى أحد الأيام أحصينا احدى عشرة كلمة _ مقالة _ فى دقيقتين مقالة ماركس مقالة يسوع المقالة الشعرية • • المقالة اذ • • الد • • حتى ليحسب المرء أن العالم مصنوع من المقالات) •

قضى الأمر ١٠٠ أصبح الصبى فتى وأصبح التمرد أهم صفاته ١٠٠ ودرج نحو الشباب بنفس حائرة قلقة لا تجد من يهديها أو يضع حدا لحيرتها وقلقها ١٠٠ كان أبوه وأمه بلا دين ١٠٠ والبيئة التى يعيش فيها لا تعترف بالاديان ومع الأبام ازدادت حيرته وازداد قلقه ولم يلبث الضياع أن احتواه فعاش في دوامته سنوات أفاق بعدها ليجد نفسه قد أتم العشرين من عمره ويجد السحب الثقيلة السوداء تزحف على العالم ١٠٠ لقد سيطر هتلر على ألمانيا وأخذ يستعد للسيطرة على العالم ١٠٠ لقد سيطر هتلر على ألمانيا وأخذ يستعد للسيطرة على العالم ١٠٠

هنا اندنع جارودى الى المسيحية بمنتهى الحماس والقوة ٥٠ قد يكون ذلك تمردا على الأب والأم والبيئة ٥٠ وقد يكون رد فعل لسنوات الضياع أو رغبة في الانتماء الى شيء له صلة بالسماء ٥٠ وأخيرا قد يكون السبب رغبته في مواجهة النازية مستندا الى قوة الكنيسة التى تزداد في فترات الحروب والصراعات الدموية ٠

ومهما كان السبب فقد تصدى جارودى للنازية وعاداها معاداة كبيرة وتقاسبة ولم يكن في ذلك معاديا للفكر الثالماني ولكن معاداته قامت على

كراهية الفرنسى الوطنى لفكرة عنصرية تدعى أن المنس الآرى هو المجنس الأفضل والمتميز بين أجناس العالم ومن هنا يتضح لنا مدى كراهية جارودى للعنصرية أيا كان نوعها ومصدرها وهيه للعدل وحرصه على تيام المساواة بين الانسان وأخيه الانسان •

وأثناء الصراع الرهيب الذي كان دائرا بين النازية ودول أوربا كان هناك صراع رهيب آخر يدور داخل نفس جارودي ٠٠ لقد عادت تلك الأسئلة التي سألها وهو صبى ثم وهو فتى ـ عادت تلح في طلب الاجابة المقنعة ٠٠ بل ان أسئلة أخرى وقفت الى جوارها ٠٠ أسئلة أكبر وأخطر أثارها نضج فكره وازدياد وعبه بعد أن أصبح شابا يقترب من الثلاثين ويعمل في المجال الديني ٠

أعاد قراءة الأناجبل من جديد فلم يقع على بعيته واصطدم بأمور أكثر غموضا أثارت مزيدا من الأسئلة الملحة •• بلغ الصراع بينه وبين نفسه القمة فاستنجد بالعقل يستمد منه العون ولكن العقل لم يسعفه القد كان عاجزا ولم يستطع قيادته الى النور •••

هنا ٥٠ قرر جارودى حسم الموقف مع نفسه ٥٠ قرر أن يطلق المسيحية طلاقا بائنا وقد فعل وانطلق يعدو بكل قواه نحو الماركسية ٥٠ وهنا كانت النازية قد طعت وبعت وبطشت بطش جبار عنيد واعتلى هتار جبلا من جماجم ضحاباه وراح ينعق مؤكدا عظمة الجنس الآرى وتميزه وجدارته بأن يسود العالم ٠

دخل جارودى الحزب الشبوعى الفرنسى والعالم يعيش مأساة النازية وفى الوقت نفسه يوشك أن يختنق بالأزمة الاقتصادية التى أوصله اليها النظام الرأسمالي وكانت الشعارات الماركسية تبرق أمام الأعين في نلك الفترة مدعية أنها تستطيع انقاذ البشرية من كل الشرور وأنها صانعة المستقبل الأفضل للملايين الكادخة في مجتمع تتحقق فيه العدالة والمساواة والحرية والحياة الانسانية الكريمة بصفة عامة •

أصبح جارودى بعد ارتباطه بالحزب الشيوعى الفرنسي في مقدمة

المقاومين للنازية من أصحاب الفكر وكان مفكرو العالم قد اتحدوا ضدها وأخذوا يوجهون سهامهم اليها فقد كتب ألبير كامي كتابه عن الثورة وقرر غيه أن النازية قد هزمت أيدلوجيا قبل أن تهزم عسكريا وعلل ذلك بأنها ارتكزت على نظرة عنصرية محدودة الأفق ضيقة النفع وسلحت نفسها بأسلمة عسكرية ضخمة كانت من الأسباب الأولى لهزيمتها _ غالقوة القاهرة لا تحسم المواقف عندما يكون الصراع بين الحضارات أو المذاهب ولكن الحسم يتوقف دائما على طبيعة العضارة أو المذهب _ وقد كانت النازية عنصرية تعصبية حاكمة _ وكانت الماركسية في مظهرها الخادع انسانية تحررية تتجه الى العامل بصرف النظر عن وطنه _ وقد أصدر جارودي في هذه الفترة كتابه (التغير المادي لنظرية المعرفة) وازداد حماسه للماركسية وبدأ يجتهد ليحقق التطبيق الفعلى للماركسية ولكنه فوجىء بأمور لم يكن بتوقعها على الأطلاق ٥٠ فوجىء بافلاس الماركسية وعجزها عن تحقيق ما ادعته لنفسها من قدرة على اسعاد البشر وهلق مجتمع بلا طبقات كما فوجىء بأن القيادة الجماعية خرافة لا جود لها في الواقع وأن القيادة الماركسية قائمة على ديكتاتورية الفرد والحزب والأيداوجية وفي سبيل الاحتفاظ بها على هذا الوضع لابد من استعمال كافة وسائل الأرهاب والتعذيب والتجويع واهدار الكرامة الأنسانية .

فوجى، بأن العدالة والحرية كلمات جوفاء لا تحمل أى معنى وأن الظلم وسلب الحريات هما البديل لهما واكتشف جارودى أن الفكر الذى يرفض الدين فى قداسته ويحارب الكنيسة فى تمجيدها للمسيح هو نفسه الذى يضفى القداسة على زعماء الماركسية ويمجدهم ويفرض على الجميع أن يقدموا لهم فروض الولاء والطاعة العمباء والتسليم الكامل الشامل •

بل لقد اكتشف جارودى ما هو أدهى وأمر اكتشف أن هذا الفكر يحيط صاحبه بسياج من حديد ويرفض بمنتهى القسوة والعنف أن يسمح لواحد ماركسى أن يطلع على أى فكر آخر مهما كان ٠٠ أو يشغل تفكيره بطريقة أخرى غير التى اختطتها له الماركسية ومن يجرؤ على التفكير فالوبل ١٠ ثم الوبل ٠

أحس جارودى بخيبة أمل كبرى وبدأ يقكر فى الانسلاخ عن الحزب الشيوعى ولكنه تريث وأخذ يتلفت حوله باحثا عن مرفأ أمين لسفينته التى تتقاذفها الأمواج المتلاطمة من كل جانب • استدار الى التاريخ والحضارات الانسانية القديمة والأديان الثلاثة وراح يعيد فيها النظر والتأمل والتفكير • وقبل أن يصل الى نتيجة اشتبك فى خلافات مع بعض المذاهب التى طغت على السطح فى ذلك الوقت كالوجودية والمفوضوية وغيرها من مذاهب ذوى العاهات وما كاد يفيق من هذا حتى بدأت أزمته الكبرى داخل الحزب الشيوعى الفرنسى الذى كان قد استكمل مقوماته واستمد من مقاومته النازية قوة هائلة فتحت له الطريق الى الحكم •

وهنا ألف جارودى كتابه « التحول الكبير للاشتراكية » الذى قدمه بقوله: «لم يعد من المكن التزام الصمت • • ان الحركة الشيوعية الدولية في أزمة ومن الظواهر الواضحة على ذلك الانفصال الصينى ، غزو تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ ، مؤتمر موسكو في شهر يونيو عام ١٩٦٩ وتخلى الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي ـ ذلك التخلي الذي فرض عليه فرضا ـ عن الاحتجاجات التي صدرت في شهر أغسطس ١٩٦٨ •

هناك مشكلة جوهرية تفرض نفسها على كل فرد منا فى نهاية هذا القرن العشرين ، وان ادراك هذه المشكلة والشعور الشخصى بأن المرا مسئول عن حلها ، يعتبران شيئا واحدا ويتوقف على ذلك احتضار العالم أو بعثه من جديد ٥٠ وهذه المشكلة تفرض نفسها على المستوى العالم وهى لا تخص الشيوعيين وحدهم لأن ليس هناك انسان فى هذا العالم لا يهمه علها » •

ويستمر جارودى في تقديم انكتاب فيقول:

« ان نقطة بداية هذه التأملات هي ربيع ١٩٦٨ المزدوج – ربيع باريس وربيع براج ـ هناك أولا التنبه أني الطريق السدود الذي تسير فيه السياسة الفرنسية ودراسة وسائل الخروج من هذا الطريق المسدود

فليس أقل غرائب السياسة الفرنسية المالية أن تكون المعارضة فيها تمثل الأغلبية وتتسم بالعجز في الوقت نفسنه • • ولهذا فهي لا تستطيع غير احراز انتصارات سلبية دون أن تتوصل الى بناء المستقبل •

لقد هبت في شهرى مايو ويونيو عام ١٩٦٨ جميع القوى الحية في الأمة ـ أي قرابة عشرة ملايين كانوا في حالة اضراب تام وجموع من الطابة والمثقفين والموظفين ثم الفلاحين ـ وقد أدانت الحركة نظام السلطة الشخصية ورأس المال الذي هو تعبير عنها • وأجريت بعد بضعة أسابيع انتخابات أحرز خلالها الحزب الذي يجسد النظام نصرا كبيرا •

وقى عام ١٩٦٩ أجبر الجنرال ديجول بعد استفتاء حصلت فيه كامة « لا » على أغلبية الأصوات — أجبر على الانسحاب وبعد شهر أنتخب خليفته المباشر رئيسا المجمهورية — وهناك وضع غريب مشابه داخل المعارضة فالحزب الشيوعى يتمتع داخل هذه المعارضة بالأغلبية ولكنه يتميز بالعجز في الوقت نفسه — لقد حصل على النجاح في الانتخابات التشريعية وانتخابات الرئاسة وهو حزب المعارضة الوحيد الذي لم يتهدم وقد نجح في تدعيم مواقعه ولكنه وجد نفسه كقلعة معزولة بدون أي قوة منظمة خارجه أو الى جانبه فمن يستطيع هذا أن يأخذ المبادرات الضرورية المخروج من الطريق المسدود ؟ » •

ثم يستعرض جارودى أوضاع الشيوعية في مختلف البلاد فيقول:

« في أمريكا اللاتينية لم تنجح حتى الآن سوى ثورة اشتراكية واحدة في كوبا ولم يكن الحيرب الشيوعي _ على الرغم من قوته _ هو محركها

• وفي أفريقيا السوداء حيث الحركات الوطنية المناهضة للاستعمار _ في نضال مع الاستعمار الجديد بقوته وثرائه ودهائه _ لا توجد عمايا أحزاب ماركسية • وفي العالم الاسلامي تتخطى الحركة الوطنية وحتى الاشتراكية بدورها الأحزاب الشيوعية • ه أما في آسيا فتتخذ الشكلات طابعا مأساويا بسبب المواقف الارادية للحرب الشيوعية و المديني الذي يهدف الى تحقيق سيطرة عالمية للحركة الشيوعية و المديني الذي يهدف الى تحقيق سيطرة عالمية للحركة الشيوعية و الدرادية الحركة الشيوعية و الدرادية الحركة الشيوعية و المديني الذي يهدف الى تحقيق سيطرة عالمية للحركة الشيوعية و الدرادية الحركة الشيوعية و الدرادية الحركة الشيوعية و المديني الذي يهدف الى تحقيق سيطرة عالمية للحركة الشيوعية و المديني الذي يهدف الى تحقيق سيطرة عالمية المركة الشيوعية و المديني الذي يهدف الى تحقيق سيطرة عالمية المركة الشيوعية و المديني الذي يهدف الى تحقيق سيطرة عالمية المركة الشيوعية و المديني الذي يهدف الى تحقيق سيطرة عالمية المركة الشيوعية و المديني الذي يهدف الى تحقيق سيطرة عالمية المركة الشيوعية و المديني الذي يهدف الى تحقيق المديني الذي يهدف الى تحقيق المديني الذي يهدف الى تحقيق المديني الذي يهدف المديني الذي يهدف الى تحقيق المديني الذي يهدف المديني الدي المديني الدي المديني المديني الدي المديني المدينية الم

قضى على الحزب الشيوعى الاندونيسى والانقسامات ستقضى على الأحزاب الشيوعية الأخرى خاصة فى الهند واليابان • • ان أسمى تأكيد لحيوية الحركة يعطيه الشيوعيون الفيتناميون الذين يقفون بنجاح فى وجه أقوى امبرياليات العالم ولكن مقابل تضحيات لا حصر لها » •

ويستمر جارودى في النقد المرير ثم ينتقل الى التحذير فيقول الله ومن الواجب أن نحاذر من « نزعة النصر » التى نجدها وراء العديد من فقرات « الوثيقة » التى تمض عنها مؤتمر موسكو ثم يطلب معالجة المشكلات الحقيقة ليس فقط بالاعتراف وتحليل الأسباب العميقة للتناقضات القائمة بين الدول الاشتراكية بل بالبحث عن الأسباب التى تدفع بالعديد من القوى الثورية الى تخطى الأحزاب الشيوعية فقد أصبحت هذه « المراجعة الأليمة » ضرورية من الآن فصاعدا للشيوعيين وللمعادين للشيوعين وللمعادين للشيوعية ١٠٠ ذلك أنه يجب طرح المشكلة بكل عمومياتها بعد أن تزايدت امكانيات الانسان خلال عشرين سنة عنها خلال الكف السنين » ٠

ثم يتساءل جارودى - ماذا فعلوا في الدول الرأسمالية من أجل تكييف العلاقات الانسانية مع هذا التحول الضخم ؟ وماذا تم في الدول الاثنتراكية حيال الموضوع نفسه ؟

ثم يقرر جارودى أن الانتصار على « اللانهائيات » الثلاث قد قطع مرحلة حاسمة •

وفى ذلك يقول: «عند مستوى أصغر « اللانهائيات » فتحت السيطرة على الطاقة الذرية عهد التفتت المدروس للمادة الأمر الذى يتيح من الامكانيات قدرا تتلاشى معه المحدود أمام ثراء وسلطة البشر ٠

وعند مستوى أكبر « اللانهائيات » أتاحت اكتشافات الفضاء الأول أفاقا لا حصر لها للتغيرات الانسانية ٠٠ وربما لهجرتها عبر الفضاء ٠٠. اقد تحدى الحدود العالمية للجنس البشري ٠. وعند مستوى (أعقد اللانهائيات » حققت الثورة العلمية والتكنيكية أى ثورة العقول الالكترونية والتسيير الآلى للانتاج ــ فى خلال سنوات قليلة أكبر المساعدات فى ميدان الحسابات والتقديرات البشرية حتى ان عقل الانسان الذى تحرر من وظيفته الخلاقة قد انسعت آفاقه فجأة الى درجة أن قدراته الحقيقية تجاوزت ــ لفترة من الزمن ــ خياله الذى أصيب بالدوار أمام الاحتمالات المكنة ــ وأصبح المرء يشعر فى نفس الوقت أن كل شىء ممكن وأنه يوجد تخلف أليم بين الحياة التى هى فى طريق التكوين والحياة الحقيقية ــ ثم أن غالبية الطاقة الذرية تستخدم طريق التكوين والحياة الحقيقية ــ ثم أن غالبية الطاقة الذرية تستخدم فى تكديس وسائل التدمير ولبس فى وسائل الانتاج وأصبحت ملحمة فى تكديس وسائل التدمير ولبس فى ميدان العظمة مع ــ نيات عسكرية غير معلنة ــ بين الدول الكبرى » •

وفى ختام المقدمة يقول جارودى « قد تم نقد سلوك القادة السوفيت. الحاليين بدون تحفظ فى هذا الكتاب وليس فى هذا ما يمكن اعتباره عملا من أعمال المناهضة السوفيتية هذه ملاحظتى الأولى أما ملاحظتى الثائية فتنصب على علاقاتى الشخصية مع الحزب الشيوعى الفرنسى ١٠٠ ان القيام بالنقد الذاتى فى هذا الميدان — وأنا أقول النقد الذاتى لأننى أنتمى الى قيادة هذا الحزب منذ أكثر من عشرين عاما وأعتبر نفسى مسئولا عن سياسته ٠٠

واذا كنت اليوم مضطرا الى اذاعة هذا النقاش على الملا فان ذلك يرجع الى أن اقتراحاتي لم تستطح منذ أكثر من ثلاث سنوات اختراق سنتائر السرية التى تعلف أعمال المكتب السياسي واللجنة المركزية .

وكثيرا ما قيل لى خلال السنوات الأخيرة: ان لك مطلق المرية للتعبير عن وجهة نظرك بشرط أن بكون ذلك ـ داخل الحزب ـ ولكن هذا في حد ذاته يعتبر معالطة فالحزب ليس فقط المكتب السياسي واللجنة المركزية بل هو مجموع أعضائه المناضلين ومع ذلك فهم لا يسمحون لهذه القاعدة أي الأعضاء المناضلين ـ نتيجة للريبة والاحتقار ـ أن تتخذ حكما أو تناقش أمرا ـ انهم يعتبرونها كالقاصر الذي لا يستطيع أن يفرق بين

المصن والقديح • وليست هناك صحيفة واحدة من صحف الحزب سواء « لومانيتيه » أو « فرانس نوفيل » أو « كابيه دى كوميزم » تعمل على نشر الآراء التى تختلف ولو اختلافا طفيفا عن الخط الرسمى للحزب وهذا هو ما اضطرنى الى كتابة هذا المؤلف وجعل النقاش علنيا داخل الحزب وخارجه لأن الأمر يتعلق بمشكلات يتوقف عليها مستقبل حزبنا ومستقبل أمتنا • • نعم لم يعد من المكن التزام الصمت » •

وبعد هذا التقديم يتحدث جارودى عن ما هية الثورة العلمية والتكنيكية الجديدة وعن الولايات المتعدة ونتائج الثورة العلمية والتكنيكية الجديدة وعن الاتحاد السوفيتى كنموذج اشتراكى ـ وعن امكانية وجود نماذج آخرى للاشتراكية وعن احتمالات ومبادرات لمستقبل اشتراكى فرنسى _ وعن الثورة العلمية والتكنولوجية الجديدة والعلقات الدولية و

ويختم جارودى كتابه « التحول الكبير للاشتراكية » بقوله : « أن كل ما تم التفكير فيه حتى الآن - تبعا للدول المختلفة - هو التفكير بمقاييس سيطرة الأكثر قوة أو مقاييس اللحاق به من جانب الأقل قوة - وفي كلتا الحالتين فان ذلك يتم بمقاييس الكتل والمعسكرات المتجابهة سواء كمرحلة من المراحل المؤدية الى السيطرة أو كوسيلة لمقاومة المسيطرة واللحاق بالآخرين بقدر المستطاع •

وعلى هذا المستوى فان جميع المفاوضات التى تجرى حول المشكلات التى تتوقف عليها حياة أو موت احدى الحضارات مآلها الفشل أو العجز سواء كانت مفاوضات كبرى بشأن نزع السلاح النووى أو بشأن تقديم المساعدة الى الدول المتخلفة أو بشأن المسائل التى تتناولها الأمم المتحدة كمشكلة الشرق الأوسط التى تطرح خلالها المشكلة الأساسية للعلاقات بين النمو والتخلف وهذه المشكلة تطرح هناك بمقاييس بالغة التعقيد بصورة أكبر بكثير مما كانت تطرحها به الدول الكبرى في العصر الاستعمارى عندما كانت كل الأمور تسوى على حساب البلاد المستعمرة _ كما أن عندما كانت بهذا الشأن تشترك فيه هذه الكتلة وتلك وهكذا فانه ما يجرى الآن بهذا الشأن تشترك فيه هذه الكتلة وتلك وهكذا فانه

حتى اذا أمكن التوصل الى أى اتفاق على الورق ـ على الأقل ـ يصبح المجتمع الدولى عاجزا عن وضعه موضع التنفيذ ٠

ان كل معسكر يتحمل عبء الآثار الضارة للأيدولوجية التى يبرر بها النظام الأعمى الذى تسير عليه اقتصادياته وسياسته وقد حاولنا. خلال هذا البحث أن نطرح هذه المشكلة في كل دولة كبرى وبالنسبة لكل أتجاه •

وقد أوضحنا كيف أن الأيدلوجية المناهضة للشيوعية في الولايات المتحدة بوصفها المبرر لسباق التسلح وللحسرب في فيتنام ودعم الديكتاتورية بين العتاة في العالم بأسره انما تضفى تشويها عميقا للاقتصاد الأمريكي وسياسة سيطرة وقمع ، وعجزا عن حلل مشكلة الزنوج والبؤس وتنمية عمياء ممسوخة لم تقتصر على أنها منعدمة الأهداف الانسانية وانما تبدد امكانياتها عن طريق الاستخدام الجزئي لقوتها الانتاجية والاستخدام المتحيز لامكانياتها في البحث والخلق .

ثم أوضحنا كيف أن الاتحاد السوفيتى قد عمد نتيجة للرغبة الجامجة في اللحاق بالآخرين والتفوق عليهم الى أعمال متتابعة شوهت اقتصاده بالأعباء الجسيمة لسباق التسلح النووى وسباق الفضاء — الذى ينفق فيه أكثر مما تنفقه الولايات المتحدة نظرا لأن الدخل الوطنى فيه أقل من الدخل الأمريكى بكثير — كما اضطر الى تراجع أيدولوجى مخيف وبالتالى الى تخلف رهيب فى تطوير هياكله العليا إلى جانب مفهوم غير علمى وغير ديمقر الطى نلدولة وللحزب ترتب عليه أن أصبح من الصعوبة بمكان تحقيق الاصلاح الاقتصادى فضلا عن عرقلة الثورة العلمية والتكنولوجية — وهى شرط المتحقيق الكامل للاشتراكية والانتقال الى الشيوعية ،

وهناك ملاحظات يمكن تقديمها بصدد الصين والكثير من الدول الأخرى ــ ثم ينصح جارودى بقيام الحوار بين كل الذبن يحبون الستقبل فلم يعد من المكن النزام الصمت •



كان صدور كتاب التمول الكبير الاشتراكية صدمة كبرى للشيوعية الفرنسية بل للشيوعية الدولية في كل مكان • مصدمة اهتزت بسببها أسس أحزابهم وتداعت أركانها ـ وكيف لا وقد خرج عليهم أحد أقطاب الحزب الشيوعي الفرنسي وأعلن أن تطبيقاتهم فاشلة ولا تصلح للحياة بل قال في قوة وصراحة أن النظام الماركسي غير سليم ولا يساير التطور الانساني ثم أنه يرهق الانسان وينكر حرياته ويهضم حقوقه ثم لا يحقق له شيئا من تلك الشعارات البراقة التي يرفعها •

تحركت الرؤوس الكبيرة في الماركسية تبحث عن حل لهذه الكارثة و و كان أول ما فعلت أن حاولت احتواء الرجل ولكنها فشلت فأخذت في الضغط عليه ولكنها فشلت للمرة الثانية وأخذ جاروى يجمع نفسه وينسلخ عن الحزب و اسقط في يد القوم واحتاروا ماذا يفعلون به و مل يفصلونه ا هل يطردونه ا هل يرجونه ا هل المرب وكان العيد الشعسين للحزب الشيوعي الفرنسي على الأبواب فأعلنوا عن مؤتمر يعقد بهذه المناسبة لمناقشة العضو الذي سمح لنفسه أن (يحلم) يفكر تفكيرا الاماركسيا ـ أسموه مؤتمر جارودي ـ و

انعقد المؤتمر عام ١٩٧٠ ووقف جارودى في اللجنة المركزية يوجه انتقاداته اللاذعة الى الشيوعية ثم أعلن افلاسها وقال انه دخلها معتقدا أنها الأيدولوجية الانسانية الشاملة القائمة على تحرير الانسان في كل مكان وزمان بصرف النظر عن وطنه ولونه وجنسه وأنها القادرة على تعيئة الحياة الكريمة له ـ ولكنه لم يجد عندها ما يريد بل على العكس من ذلك وجد الجمود والزيف والظلم والقهر وكبت الحريات وتكبيل الفكر وتعييد العقل وتسلط طبقة الحزب وكل ما يؤدى الى مضاعفة فقر الفقراء وحرمان المحرموين وسفك دماء الأبرياء ،

قدم جارودى استقالته فى هذا اليوم وخرج من الحزب مرفوع الرأس متفتح الوجدان واتجه الى دراساته وأبحاثه التى يحاول فيها الوصول الى ضالته التى يبحث عنها منذ عرف كيف يفكر •

هكذا رفض جارودى الفكر الماركسى وهو قد رفض من قبل البقاء في المسيحبة كما رفض النظام الرأسمالي ٠٠ فلم يعد أمامه الا النهودية والاسلام ٠٠

الميهسودية والفرار الى الاسسلام

نظر جارودى فى اليهودية فوجدها تقوم على التوراة وهى مزيفة كتبها اليهود بعد أن فقدوا التوراة الموسوية وقد حملوها كل أهوائهم ومطامعهم وأحلامهم وأضالينهم حجلوا يهوه الههم يعطى ابراهيم وعدا بتفضيل الشعب اليهودى على جميع الشعوب حوجلوا لهذا الآله صفات لا يمكن أن يتصف بها اله حقو وحشى الرغبات شرير النزعات فاسد الخلق ميال لسفك الدماء حثم انهم قد برروا الغدر والنفاق والعشق والفجور ما دامت تحقق لهم ما يريدون و

ووجد أن تلمودهم قد نبع من هذه التوراة المزيفة وقامت فلسفته على ضرورة اذلال البشر واستعبادهم ونسف المدنيات والحضارات وعدم الاعتراف بأى ديانة تقوم بعد اليهودية لكى تتحقق على الأرض مملكة بنى اسرائيله •

ووجد أن كتابهم الأخير بروتوكولات حكماء صهيون الذى اجتمعت فيه تعاليم التوراة المزيفة والتلمود الملفق يدعو الى السيطرة على العالم ولو أدى الأمر الى ابادة البشر وتدمير القيم وافساد النفوس باشاعة الفسق والترف والانحلال والمبادىء الهدامة والاباحية والالحاد •

هنا تراجع جارودى فزعا وقد ربط بين الصهيونية والنازية ـ فكل منهما خركة عنصرية متعالية تفيض بكراهية العالم والمقد عليه وتفيض بالظلم لكل من غير يهودى •

وقد وضع كتابه العنون « أحسلام الصهيونية وأضاليلها » وفيه

يثبت أن الفلسطينيين العرب سلالة أقدم شعب سكن كنعان أى أرض

وهكذا وجد جارودى نفسه متجها الى الاسلام ٥٠ وهنا يقول : لقد درست الاسلام كدين وحضارة وقارنت بين القرآن الكريم وبين الاكتشافات العلمية الحديثة ٥٠ وكلما تعمقت فى الدراسة والمقارنة إزددت اقتناعا بأنه هو الدين الذى أبحث عنه ٠

الاسسلام ٠٠ وعود المسق

شرح الله قلب جارودى للاسلام بعد سنوات طويلة قضاها فى المدراسة والبحث والمقارنة والتمحيص • أعلن اسلامه فى شهر رمضان المبارك ١٤٠٢ ه الموافق ١٩٨٢ م ودخل الدين الحنيف مقتنعا بأنه الدين الحق وأنه النور الذى أرسله الله سبحانه وتعالى ليضىء الطريق أمام البشرية فينقذها من التخبط فى دباجير الظلام والضلال ويأخذ بيدها الى شاطىء الأمان •

وقد توج رجاء جارودى _ وهو اسمه بعد الاسلام _ توج اسلامه يكتاب قيم أسماه ** " Promesses de L'Islam "

... وملكاد هذا الكتاب يظهر في الأسواق حتى شنت عليه حرب شعواء وبنات مماولات كبيرة على كل المستويات في الغرب لمنع تداوله ورغم ذلك فقد أبعته اوادة العلى القدير الا أن ينتشر ويذاع ويترجم ويصل الى كل الذبين يحبون المعرفة ويريدون الوصول الى المقيقة •

... .. يقول المفكر الانساني الكبير رجاء جارودى في هذا الكتاب: « لا توجد المة تحمل كلمة الله بأمانة وصدق اليوم غير الأمة الاسلامية ولا يوجد كتاب سماوى يمثل كلمة الله بحق ودون تحريف أو ترييف الا القرآن ٠٠ ذالك لأن الكتب السماوية التي سبقته قد ضاع بعضها أو احترق أو عدل

وبدل ودخلت عليه اضافات بشرية نتفق مع أهواء ومطامع بل وأحلام الذين أضافوها _ ولو أنها كانت موجودة في عصرنا هذا وكانت سليمة تماما وكما نزلت فما كانت تصلح لنا فقد انتهى مفعولها بانتهاء زمانها الذي نزلت فيه _ والمعروف أن الانجيل قد جب التوراة وأن القرآن جب الانجيل وأن القرآن هو الكتاب الخاتم الخالد الذي نزل للناس كافة وسيظل الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظه وقال: « انا نحن نزلنا الدكر وانا له لحافظون » •

ثم يتجه المفكر الانسانى الكبير جارودى الى الغرب مهيباً به أن يقلع عن كبريائه الكاذب وصلفه وتعنته واصراره على تجاهل الاسلام وهو الدين الحق الذى يقوم على الوحدانية والسمو ـ راجيا اياه أن يفتح عيبيه على الحقائق وأن يجعل نظرته للأمور أوسع وأشمل وأن يستدرك ما فاته عندما أهمل كل ما هو غير أوربى وشوه عامدا متعمدا الحضارات الأخرى •

وينتقل جارودى الى المديث عن الثقافة الغربية فيقول أنها ثقافة مشوهة مبتورة بعيدة كل البعد عن الواقع الفعلى المعاش والجوهر الأساسى للحياة — وأنها استمدت بعض مقوماتها من الحضارة الرومانية والحضارة انفارسية والبعض الآخر من الديانتين اليهودية والسيحية وأنها أغلقت أبوابها ونوافذها الفعلية ما يزيد على الثلاثة عشر قرنا في وجه الاسلام وبذلك حرمت من نوره الوهاج — ولو أنها تركت أبواب ونوافذ عقلها مفتوحة لاستنارت واستراحت واستطاعت أن تصل الى الفهم الصحيح لمعنى الوجود الانساني والى معرفة الله الواحد الأحد والعمل بمنهج الحياة السليم — ولاستطاعت بذلك أن تجنب الملايين هذه الحياة التافهة التي يعيشونها بلا معنى ولا هدف •

وبطلقها جارودي صيحة مدوية :

« لا أمل في انقاذ الغرب من الانقراض والتلاشي الا بأن يعى دور المضارات الأخرى ويعترف أنه مدين لها ويعمل على تغيير موقفه العنيد المتعنت من الاسلام » •

ثم يذكر جارودى أن العالم في يومنا يعيش مأساة مروعة تتخف المنقسنها وجهين ١٠ الأول مادى وهو ما تعانى منه دول العالم الثالث ١٠ والآخر روعى وهو ما يعانى منه الغرب ١٠ الذى رفض روهانيات الاسلام وهو أحوج ما يكون اليها ورفض عقيدة التوحيد وهى العقيدة الضحيمة في فانتهى به الأمر الى خواء روهى وتمزق وضياع بين اليدولوجيات وخرافات وأوهام لا تغنى عنه شيئا ١٠

لقد عادى العرب الاسلام فأضر بذلك نفسه ٠٠ أساء اليها ٠٠ حال بينها وبين السعادة ٠٠ بل كتب عليها الشقاء ٠٠

ويتول جارودى: « الاسلام ليس كفرا كما صوره المغرضون القدامى في الحزوب الصليبية ، وليس ارهابا كما صوره المغرضون الجدد أثناء خرب تحريز الجزائر ، والاسلام ليس أثرا فنيا يشاهده المستشرق ثم يصدر علبه أحكاما مسبقة وظالمة ، انه الدين العالمي العملي الذي يقدم المنيسان نظاما كاملا شاملا لحياة انسانية كريمة بكل مقوماتها واحتياجاتها وليس مجرد عقيدة وجدانية منعزلة عن دنيا الناس ،

« وليس أدل على عالمية الاسلام من نزوله على نبيه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم في مكة التي ثبت علميا أنها سرة الأرض ومركز التقاء الشرق بالعرب والشمال بالجنوب — وعلى السرعة التي انتشر وينتشر بها فقد وصل الى الصين والهند وغطى ما بينهما من بلاد ثم أندة عتى أفريقيا وأوربا ومنهما اتجه الى أقصى بقاع الأرض في هدوء وسلم وسلام ولم يستعمل سلاحا ولم يرفع سيفا كما فعل الأوربيون ألذين غزوا الأمريكتين بأسلحة الدمار والهلاك وفرضوا مبادئهم على أهلها بالعنف والقوة » •

ويتعرض جارودى في كتابه الى عدد من القضايا الهامة كالعقيدة والنبوة والتصوف والفلسفة والحكمة والسياسة والعلوم والفنون وكذلك الشيير الإسلامي ثم يختم كل هذا بآرائه عن النبوة والأنبياء ودورهم في صنع الحضارات العالمية •

وقد تصدى جارودى في قوة وجرأة وموضوعية للرد على أولئك الذين ادعوا أن الاسلام استفاد من الأوضاع الاجتماعية المضطربة التي كانت سائدة قبل وأثناء البعث وما كان فيها من صراعات طبقية ونزعات قبلية لله فنفى ذلك تماما وأكد أن الاسلام قد استفاد وأفاد بالايجابيات التي يشتمل عليها هو ذاته لله كطبيعة الدعوة ومضمونها وانسانية أحكامها وانسجام تعاليمها مع العقل والمنطق والانفتاح على العضارات المختلفة والتسامح الذي لا مثيل له في دين آخر ثم رده كل الأمور الى الله وحده وحده فهو الأول وهو الآخر وهو القاهر فوق الجميع ولا حول ولا قوة الا به سيحانه ه

ويركز جارودى في كتابه « الاسلام ٥٠ وعود الحق » على سماحة الاسلام التي لا يعرفها دين آخر ، فاليهودية مثلا لا تعترف بما قبلها ولا بما بعدها وهي التي حملت نواء الدعوة الى القوميات والعنصرية والدماء والاعراق لتحطم وحدة الفكر القائمة على الدين ، وبينما يعترف الاسلام باليهودية والسيحية لا تعترف اليهودية ولا المسيحية بالاسلام ولا تعترف الأولى بالثانية ٥٠ بل ان اليهودية تنكر على المسيح نبوته وترميه بالكذب وتفترى على أمه رضى الله عنها وترميها بالفاحشة وفي المسيح يقول القرآن (يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلتم الناس في المهد وكهلا ومن المصالحين) • « آل عمران ٥٠/٤٤ » •

كما يقول (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيى الموتى باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم أن في ذلك لآية لكم أن كنتم مؤمنين ومصدقاً لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون أن بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون أن الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) • «آل عمران ٤٧/٥» (جارودي)

ويعترف بطهارة مريم ويقول : (ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ٠٠ يا مريم اقتستى لربك واستجدى واركعى مع الراكعين) ٠ « آل عمران ٤٢ » ٠

وستمر جارودى في تصوير سماحة الاسلام فيقول: « ان القرآن اعترف بأهل الكتاب _ أصحاب التوراة والانجيال _ وترك لهم حرية الاختيار بين ما هم عليه من معتقدات وبين الدخول في الاسلام كذلك فان الاسلام لم يقل « ان أفضل الناس عند الله السلم » بل يقول: (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) _ والرسول حسلى الله عليه وسلم يقول: « لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي الا بالتقوى ويتميزون بالعمل الصالح لا بالغني والجاه والنسب والحسب بالتقوى ويتميزون بالعمل الصالح لا بالغني والجاه والنسب والحسب والكل أمام الله سواء فليس في الاسلام طبقية أو أمم مختارة أو عناصر متميزة _ فهو دين الاخاء والتكافل الاجتماعي والمساواة في أجمل مصورها وهو ضد العنصرية الذميمة والتفرقة وظلم الانسان لأخيه

ويذكر التاريخ ان كثيرا من غير السلمين قد تقلدوا مناصب اسلامية لها قدرها وخطرها في الحكومات الاسلامية المختلفة _ كما يذكر أن المسلمين في كل العصور سمحوا لن يدينون بغير الاسلام أن يمارسوا شعائر أديانهم في حرية تامة ٠

وهذا يؤكد ما سبق أن غلناه أن الأسلام لم يكن في حاجة ألى القوة أو السلاح لكي ينتشر • • لقد مهدت له طبيعته وأحكامه وتعاليمه وسماحته الطريق ألى قلوب الناس وعقولهم •

وفى معرض الرد على الذين المتروا على الأسلام واتهموه بأن له مبادىء استعمارية واستشهدوا على ذلك بقوله تعالى (وجاهدوا لهى سبيل الله) « الحج ٧٨ » يقول جارودى ان الجهاد يختلف عن الحرب لمه و وحاربوا له الاجتهاد أو بذل الجهد ولو أن الله أراد الحرب لمقال « وحاربوا لهى

سبيل الله » وقد أثبتت الفتوحات الاسلامية الشهيرة والمعارك التى أدارها الاسلام أن لا أهداف استعمارية له وان كل أهداف تنحصر فى نشر المدعوة وارساء قواعد الدين وليس امتلاك الأراضى أو استغلال ثرواتها فالملك فى الاسلام لله وحده يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء وسوف يخرج الانسان من هذه الدنيا كما دخلها عاريا صفر اليدين •

وقد أشار جارودى الى الحديث النبوى الشريف الذى يقول « رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر » وهو جهاد النفس ضد أهوائها ونزعاتها ... كالأنانية والأثرة والضعف وحب المال والتكالب عليه •

ويقول « ويعد هذا الموقف النبوي درسا هاما لأولئك الثوريين الذين يحاولون تغيير كل شيء الا أنفسهم ٠٠ كان الصليبيون في القدس أثناء الحرب مع المسلمين وكانوا في أسبانيا خلال مطاردة المسلمين يرتكبون أبشع الجرائم وكان الأوربيون في أمريكا وهم يستعمرون أرض الهنود الحمر يقومون بتصرفات آثمة _ والجميع كانوا يدعون أنهم ينشرون النصرانية وهم أبعد الناس عنها وعن كل ما تدعو اليه النصرانية من رحمة وعدل » •

والمعروف عن اليهود أنهم يقولون للمحاربين: «أهلكوا الجميع ٠٠ لا تتركوا رجلا أو امرأة أو طفلا أو شيخا حتى الغنم والحمير لا تتركوها ٠ اقضوا على الجميع بحد السيف ٠٠ أحرقوا المدينة وجميع ما غيها بالنار » بينما يقول المسلمون للمحاربين « لا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ٤٠

وينتقل بنا جارودى الى الحديث عن الأنسان الغرسى والطبيعة ثم عنه وعن الانسان ثم عنه وعن الله ٥٠ وهو يتساءل فى البداية ٥٠ هل الانسان هو الذى ينتمى الى الطبيعة أم أن الطبيعة هى التى تنتمى اليه أثم يقول ان الانسان الذى يعتقد انه سيد الطبيعة ومالكها وما هى بالنسبة له الا مخزن للمواد الخام التى يحولها الى أدوات تدمير وتخريب وكان أولى به أن يتعايش معها ويعمل على حفظها وتعميرها ــ فالقرآن

الكريم يقول ان الانسان خلق ليكون خليفة الله على الأرض وما أظن هذه المخلافة تعنى التخريب والتدمير بعال من الأحوال ـ وانما هى خلافة تعمير واصلاح وعناية وحفظ •

ثم يتكلم عن الانسان الغربي فيقول ان الانسان الغربي ظل معزولا عن غيره من البشر منذ عصر النهضة حتى اعلان حقوق المواطن الذي يقرر « ان حرية الفرد تتوقف حيث تبدأ حرية غيره » ولكن هذا لم يقنع آحدا وانطلق الكل يمارس حريته على هواه وحسبما توجهه غرائزه وأهواؤه ... فانطبق عليه المثل الشائع الذي يقول أن الانسان « ذئب في مواجهة الآخرين » انه ينظر اليه وهو يسأل نفسه « كيف يقضى عليه كيف يخضعه ويستغنه » بينما يؤكد الاسلام اخوة الانسان لأخيه الانسان فيقول رسوله المريم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ويقول « المسلم اخو السلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره » ويقول « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » ويقول « المؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

وكل هذه الأحاديث الشريفة تشدير الى دستور عام ينبسغى على المسلمين أن يلتزموه في حياتهم باعتبارهم جماعة ذات أهداف كريمة على أسس قويمة لل في يصون حقوقهم فيما بين بعضهم البعض ويرمى الى قيام صداقة حقيقية ومحبة صادقة تقوى علاقة المؤمن بالمؤمن وتجعلهم بحضا و

ويصل جارودى الى علاقة الانسان بالله فيقول ان المسيحية لا تعيش في أرضها وان الانسان الغربى غير متشبث بالعقيدة والمسيحية ذاتها لم تساعده على الاحتفاظ بها أو بالبعد العالمي الذي يدعو اليه الاسلام خاصة بعد أن اندمجت المسيحية في الثنوية اليونانية في القسرن الرابع الميلادي .

ويعود جارودى الى الحديث عن الدين الاسلامى غيذكر أنه ليس دينا جديدا بل هو تصديق واستمرار وتجديد للرسالات التي سبقته فهو

بدأ بابراهيم عليه السلام ثم تجدد مع موسى وعيسى عليهما السلام ثم ختم بمحمد صلى الله عليه وسلم الذى بعث الى الناس كافة وأمر أن يجادلهم بالحسنى •

وليسمح لنا الفيلسوف والمفكر الكبير أن نقول ان الاسلام بدأ بآدم عليه السلام ثم نوح وهود وصالح عليهم السلام قبل ابراهيم ثم اسماعيل واسحق ويعقوب ويوسف وشعيب عليهم السلام قبل موسى ثم داود وسليمان ويونس ويحيى قبل المسيح عيسى بن مريم عليهم السلام • وكل هؤلاء الأنبياء والرسل دعوا الى عبادة التوحيد والتسليم القلبى والعقلى الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد ولكن الانسان ينسى هذا كلما تباعدت الحقب الزمنية • أو قل ينسيه الشيطان (ان الشيطان للانسان عدو مبين) « يوسف ٥ » (لقد أضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى وكان الشيطان للانسان اكفر فلما كفر الفرقان ٢٩ » وأخيرا (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين) « الحشر ٢١ » •

ويذكر جارودى الأركان الخمسة للاسلام فيقول:

بدأت اسلامى بالشهادتين (لا اله الا الله محمد رسول الله) وهذا هو ركن الاسلام الأول وفيه يسلم الانسان قلبه ويطوع عقله لاله واحد فوق الجميع هو المخالق والمدبر واليه المصير وهو الجدير بالعبادة وحده دون شريك (ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل لا تدركه الأبصار وهو بدرك االأبصار وهو اللطيف الخبير) « الانعام ۱۰۲ » •

وفي هذا الركن أيضا يشهد أن محمدا رسول الله المبعوث للناس كافة رحمة ونورا وهداية ٠

ويتحدث جارودى عن الصلاة فيقول انها تعبير جميل وعظيم عن الوحدة وصورة من صور اتصال الانسان بخالقه ـ فيها يقف المسلمون

في وقت معين صفوفا منتظمة متجهين الى قبلة واخدة هي بيت الله كعبته المشرفة في مكة بيت يقفون خاشعين خاضعين يناجون الله سبحانه وتعالى وقبل الصلاة يكون الوضوء وهو نوع من الطهارة الجسدية يتخلص فيه الانسان من كل دنس على جسده وثيابه تمهيدا للوقوف بين يدى الله •

ثم يتحدث عن الزكاة فيقول ان الدين الاسلامي لا يعتبرها صدقة تعطى للفقراء والمحتاجين بل هي حق لهم في أموال الأغنياء وقد حدد الاسلام مقدارها والفئات التي تدفع لها وهي احدى صور التكافل والتضامن الاجتماعي التي تجعل الأغنياء يشعرون بمسئولياتهم نصو اخوانهم في الانسانية وتزكى أموالهم كما أنها تعسل حقد النفوس الفقيرة وتدعم أخوة المسلمين وفكرة الزكاة في الاسلام هي التي قام عليها نظام التأمين الاجتماعي في أوربا منتصف القرن العشرين وعليها نظام التأمين الاجتماعي في أوربا منتصف القرن العشرين و

ويقول جارودى ان الحج يجمع السلمين فى صعيد واحد وهيئة واحدة وزمن واحد لميؤدوا مناسك واحدة وفق نظام واحد لا فرق بين كبير وصغير أمير وفقير رعاة ورعية وهذا يجعلهم يدركون أنهم أمام الله متساوون منحدون بلا تمييز طبقى وهو يشعرهم بعظمة دينهم وقوته ويعطيهم الاحساس بالترابط الوجدانى والأمن •

وعندما يتحدث جارودى عن الاقتصاد فى الاسلام يقول انه يرتكز على دعائم غير تلك التى يرتكز عليها نظيره فى الغرب بل وفى الشرق أيضا ، وهذه الدعائم هى:

- ــ التوازن في توزيع الدخل .
- ــ رفض الاحتكار بكل صوره •
- _ تنظيم الملكية الفردية واخضاعها لصالح الفرد والجماعة .
 - _ رفض سيطرة الآلة .
 - ــ اعتبار السوق وسيلة لا غاية •

وقبل هذا وبعده فان المسلم يجعل الله أمام عينيه ولا يسمح لنفسه أن يتعدى الحدود أبدا (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايناء الزكاة يخافون يوما تنقلب فيه القلوب والأبصار) • « النور ۲۷ » •

هذا في الاسلام أما في الغرب فان الهدف هو المزيد من الانتاج والمزيد من الاستهلاك بصرف النظر عن النوعية والصلحية والصاجات الانسانية وانهم ينتجون أكثر وأكثر والنتيجة ما نراه من تكدس البضائح وكسادها والمنافسة بين الدول المنتجة على الدول المستهلكة وما يترتب على ذلك من صراعات دولية رهيبة و

ويعتبر جارودى وضع المرأة في الاسلام هو الوضع الأمثل فقد رفع الظلم عنها وكرمها وقدم لها أفضل الأسس للحياة الإنسانية الكريمة ويقول ان المساواة بين الرجل والمرأة في المصدر الذي انحدرا عنه وفي المحقوق والواجبات هو أول وأهم ما قدم الاسلام للمرأة ـ والمعروف ان المرأة كانت في المجتمعات القديمة كما مهملا وقد عانت الأهو ال عبر القزون والأجبال ٥٠ كانت البنت توءد في معظم القبائل ٥ ومن تنجو من الوأد تصبيح ملكا لزوجها وللزوج أن يبيعها أو يقايض عليها أو يؤجرها أو يهبها لمن يشاء واذا مات ضميت الى التركة ليرثها من يرثه وكأنها عبد من عبيده أو ضيعة من ضياعه ٥ والويل لها أن وضعت بنتا أو ذكرا ضعيفا مشوها ، وكان التعدد شائعا حد فكان الرجل يتزوج عشرات النساء بل ان ديموستين الأثيني كان يفخر بأن له ثلاثة أنواع من الزوجات الشرعيات وغير الشرعيات وشبيهات الشرعيات و

والعجيب أن فلاسفة المجتمعات القديمة وأصحاب الرأى فيها قد أغروا هذا الوضع مسقراط لم يعارض في أن يقرض الزوج زوجته لمن شاء من الأصدقاء مسوراط لم يعارض قال في جمهوريته بتداول النساء ما سقراط فقد قرر أن الخير يوجد في المرأة والعبد وأكد أن المرأة أكثر ميلا للشر منها الى الخير •

وفى المجتمعات السابقة على الاسلام لم تحظ المرأة بالكثير _ وظلت تعامل كأداة للنسل _ وكان البعض ينظر اليها على أنها رجس من عمل الشيطان _ أما البعض الآخر فكان ينظر اليها على أنها مخاوق منحط لا يصل الى مستوى الرجل وليس لها عقل أو حس أو شعور •

ورغم أن المرأة قد حصلت على بعض الحقوق فى عصر روما الذهبى ورغم أنها وصلت الى العرش فى مصر القديمة وغارس ـ الا أنها اجمالا لم تعامل معاملة الرجال ولم تحظ بما حصل عليه من اهتمام وتقدير •

وظلت المرأة على هذا الوضع حتى جاء الاسلام فاهتم بها ورفع من قدرها وكرمها غاية التكريم _ فقد ذكرها القرآن الكريم في كثير من السور _ بل لقد جعل احدى السور باسم النساء وجعل أخرى باسم مريم رضى الله عنها •

وأول ما أكده القر. آن الكريم هو اتحاد المصدر الذى خرج منه الرجل و المرأة فقال تعالى فى سورة النساء « ١ » (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) •

وقال عز شانه في سورة الأعراف « ١٨٩ » (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها) .

وقال جل جلاله في سورة الروم « ٢١ » (ومن آياته أن خلق اكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) ولقد خاطب القرآن الكريم المرأة كما خاطب الرجل في سورة الأحزاب وقد سوى بينهما في الثواب والعقاب فقال في سورة النساء (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) « النساء ١٧٤ » •

وتساط جارودى عن المجتمع المثالي وقال انه غير موجود ــ وقال ان المجتمع المسلم الحالي هو أقرب الى المثالية ــ ومن الممكن أن يصبح

مثاليا بالفعل لو أن المسلمين لجاوا الى القرآن وجعلوه دستورهم ثم طبقوا تعاليمه وأحكامه واستفادوا بما فيه من قيم وجماليات فهو الدين العملى وفيه الحلول لكل مشكلات العصر •

والمعروف أن الاسلام قد جاء بتشريع كامل شامل ينظم العلاقة بين

المرأة والرجل ويكفل لهما معا الحياة الانسانية السكريمة ٥٠ وقد أعطى المرأة كثيرا من العقوق التى كانت محرومة منها كحق التملك وحق البيع والشراء وحق التصرف في المال بلا تدخل من الأب أو الزوج وجعل لها نصف حظ الرجل في الميراث بعد أن كانت هي نفسها بعض التركة وأعطاها حق التعلم والعمل وحق اختيار الزوج وحق طلب الطلاق ان أساء الزوج اليها واستحال عليها أن تعاشره و وفرض على الرجل أن يحسن معاملتها ولو كرهها _ قال سبحانه وتعالى في سورة النساء (وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الشة فيه خيرا كثيرا) لا النساء ١٩ » كما فرض على الرجل أن يقدم لها الصداق عند الزواج وحرم عليه أن يسترده كله أو بعضه بغير رضاها المداق عند الزواج وحرم عليه أن يسترده كله أو بعضه بغير رضاها فقال عز شأنه : (أتأخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا) لا النساء ٢١ » ٠

واحتفظ القرآن الكريم للمرأة بعد الطلاق بحقوقها في النفقة على - المتلاف أنواعها وقيد التعدد بشروط قاسية جعلته أقرب الى التحريم منه الى الاباحة •

وقد تحدث جارودى عن التعدد فسخر من أوضاعه الشاذة فى الغرب حيث يكون للرجل عدد من المعشوقات وعدد من الأولاد غير الشرعيين وحيث لا يعلقب الرجل اذا أخطأ بينما تعلقب المرأة اذا أخطأت ثم تساءل جارودى قائلا:

أيهما أفضل وأسلم وأعدل وأحفظ للأبناء وأصون لكرامة المرأة ٠٠٠ انتعدد الذي شرعه الاسلام أم العشق وانزنا والأولاد غير الشرعيين ؟؟

ثم انتقل جارودى الى الحديث عن الحجاب والزى الخاص بالمسلمات وبدأ حديثه بالسخرية من سيمون دى بوفوار التى فكرت يوما فى الذهاب الى ايران لتثير النساء هناك ضد الحجاب وتدفعهن الى نزعه فردت عليها احدى الكاتبات قائلة لها:

« وما شانك أنت ينا ؟ » فغيرت رأيها ولم تذهب (١) .

وقد استحسن جارودى الحجاب وبين مزاياه وقال ان الغربيات يلبسن الملابس الطويلة في السهرات والحفلات وان مظهرهن يكون في غاية الحشمة والوقار والجمال أيضا _ وحاول جاروديه أن يرد فكرة التحجب الى تقاليد الأمم وعاداتها فطلب أحد السادة العلماء الكلمة ورد عليه بكلمة شرح فيها رأى الاسلام في زى المرأة وكيف يحتم ستر الجسم تماما ما عدا الوجه والكفين وقرأ الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الخاصة بذلك •

ثم تحدث جاروديه عن المسجد والمرأة المسلمة وعن رسالة المسجد في حياة الأسرة ثم قال ان النساء المسلمات يقبلن على المساجد لتأدية الصلاة في الوقت الذي أهملت فيه نساء الأديان الأخرى التردد على دور العبادة •

ويقول جارودى ان السياسة فى الاسلام نقوم على العقيدة والمسلمون جميعا يعملون فى ظلام التوحيد من أجل السالح العام بل صالح الانسانية كلها .

كذلك فان العلوم والفنون على اختلافها وتنوعها تدور حول العقيدة الأسلامية وتستظل بهديها بل ان الدين الاسلامي يعتبر المعرفة لونا من ألوان العبادة وقد افتتح القرآن الكريم بلفظ اقرأ وذلك هو الدليل على

⁽۱) كان هذا الحديث ضبن محاضرة جارودى في جامعة الاسكندرية اثناء زيارته للقاهرة بمناسبة الاحتفالات بالعيد الألفى للأزهر .

أهمية العلم في نظر الاسلام وعلى اهتمامه وحرصه الشديد على أن يكون المسلم متعلما مثقفا مستنيرا فالقراءة تفتح أمام الجاهل نوافذ المعرفة وتطلعه على جواهر العلم وكنوزه •

وقد تحدث جارودى بعد ذلك عن المسجد ودوره في الاسلام وكيف أنه والمدرسة قد عملا على نشر الوعى التوحيدى ثم استعرض المساجد الكبرى والجامعات الاسلامية التي كانت ولا نترال مراكز اشعاع اسلامي يستضىء بها العالم كله _ وعاد جارودى الى الوراء • الى ما قبل النهضة الأوربية وصور حال أوربا اذ ذاك ثم قال انها أقامت نهضتها على أسس من الحضارة العربية والعلوم الاسلامية وقال ان أهم مميزات العلم في الاسلام انه يتجه الى أعلى في حركة نمو تصاعدى دائم •

وأنحى جارودى باللائمة على المستشم قين وقال انهم كانوا مغرضين وقد حاولوا جذب المسلمين الى النصرانية ولما غشلوا عاونوا الاستعمار وكانوا دعائم له فى استغلاله للشعوب _ ولم ينس جارودى نابليون غذكر موقفه من غزو مصر وقال انه أول من فتح باب « العصرية » التن تدعو الى تقليد الغرب وتبنى أفكارها المريضة وفى مقدمتها الوطنية _ والنظام البرلمانى الذى لا يتلاءم والمناخ فى العالم الاسلامى _ ولقد أدت العصرية هذه الى القضاء على روح المنافسة فى الدول الاسلامية وبقائها عالة على غيرها هذا فى المجال الاقتصادى أما المجال الثقافي فقد أدت الى اعتناق فلسفة الغرب بما فيها من سلبيات أدت بدورها الى انسلاخ المفكر العربى المسلم عن طبيعته وتاريخه وثقافته وربط مصيره بآخرين لا يكنون له الخير ولا يفكرون الا فى استغلاله ونهب طاقاته البشرية والطبيعية والمؤرن الالماء والمؤرن الالماء والمؤرن الالمؤر والمؤرن الالمؤرن الالمؤر والمؤرن المؤرن والمؤرن المؤرن المؤرن المؤرن المؤرن المؤرن المؤرن المؤرن المؤرن والمؤرن المؤرن المؤرن المؤرن المؤرن والمؤرن المؤرن المؤر

ولا يختم جارودى كتابه قبل أن يهيب بالدول الاسلامية المنتجة للبترول أن تتخلص من دورها كممونة بالمواد الأولية لغيرها ودورها كزبونة للمؤسسات الاقتصادية الأجنبية _ وأن تصبح منشئة لسوق مشتركة بين الدول الاسلامية والعالم الثالث ٠٠ وعندئذ يصبح الاسلام

كما كان بالماضى أهم مصدر يقتبس منه العالم ما يحتاج اليه فى كل المجالات كالاقتصاد والثقافة والعلم ــ والسلم جدير بهذا ، ولديه الاستعداد الطبيعى لتحمل هذه المسئولية فدينه دين التسامح والعدل والمساواة والعمل من أجل المصالح الانسانى العام ، وقد اعترف بالديانات السابقة عليه وأحترم أنبياءها خاصة المسيح بن مريم عليه السلام ــ فالآيات تقول (وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل تهيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين) « المائدة ٤٦ » •

ثم يهيب جارودى بالأمم الكبرى في الغرب أن تعمل على القامة ماهات تلتقى فيها الحضارات على نفس الأماكن التى قامت فيها تلك الحضارات من قبل وأن تشيد مراكز لبحث تكوين وتوزيع ما يحمله الاسلام من هداية للبشرية وعلم ونور وتعاليم تساعد على اكتشاف البعد العالى للانسان الذي يطوى في صدره مسئولية كبرى ٠٠ بل هي أكبر مسئولية في الوجود وهي التي تفسرها الآيات (ان عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان انه كان ظلوما جهولا) « الأحزاب ٧٢ » ٠

ولمو أن الغربيين فعلوا ذلك ولو أن المسلمين استجابوا كذلك فسوف تتحقق للانسانية وعود الحق سبحانه وتعالى ويتشكل على الأرض المجتمع الاسلامي المثالي الذي أراده الله وأسسه محمد صلى الله عليه وسلم وعندئذ تشرق الأرض بنور ربها ويسود فيها العدل والأمن والسلام •

المهالثاني

جـــارودي

الماركسية ٠٠ ونقد الماركسية

ليس من شك في أن جارودي يعد في مرحلة من مراحل حياته من أهم مفكرى الماركسية بعد ماركس وانجلز ، بل ليس من شك كذلك في أن فكر جارودي يعد من أهم ما حققته الماركسية من تطور في الفكر ، أدى أالي نقدها ٠٠ ثم نقضها في نهاية الأمر ، لأن جارودي الذي تمسل بقول نيرودا « نهذا لا أتوقع لنفسي عودة ، فلست من الذين يعودون عن النور » ، كان طرازا آخر من الذين درسوا الماركسية وأضافوا اليها ٠٠ انه كان يبحث عن النور الذي لم يجده في الماركسية أو بحر الظلمات ٠٠

ذلك أن جارودى في غمرة اعتناقه الماركسية ، كان يرى أن أشت الأمور ليس دائما أن نحل المعضلات ، بل هو _ أحيانا _ أن نطرحها ، الذلك كان يقول مع الأب « ديتريش بنهوفر » ينبغى أن « نجازف بقول أشياء معرضة للنقض ، شريطة أن يكون في هذا اثارة لقضايانا الحيوية » •

وهذا التفكير في الجوهري _ هو مفتاح شخصية جارودي _ الذي لم يجده لدى الماركسيين ، الأمر الذي يفرض على الباحث في أمر الشيوعية أن يبدأ بالحديث عن آخر تطوراتها لا عن أصل بداياتها و كما يقول رتشارد كتشام ، فقد اتخذت أساليب البلاد الشيوعية منذ عام ١٩٥٦ اتجاها قد يبدو جديدا خلابا لأنه يناقض تماما تلك الأساليب التي جرى ستالين على اتباعها وهو اتجاه بعتبر من هذه الناحية خطيرا ، لأن من السهل أن ينخدع به بعض الناس ، فيظنوا أن هذه الأساليب التي الجديدة انما هي تعبير عن تحول في السياسة الشيوعية وفرق بين أن

تتغير الأساليب وبين أن تتغير السياسة . وهذه نقطة من الأهمية تجعلنا على بينة تامة من ماهية الشيوعية وأهدافها ، ذلك أنه بينما يتشدق زعماء الشيوعية بالمديث عن السلام والتعايش السلمي نراهم يتهاشون المديث عن المذهب الماركسي نفسه وغلسفته وغاياته ؛ الأمر الذي يدل على أنهم أصبحوا يدركون حق الادراك أن مذهبهم وفلسفتهم ، وغايتهم لم تعد تلقى قبولا في نفوس الناس ، واسم تعد تضدع أحدا . بِل أن هــذا أمـر أدركه سـتالين في آخـر عهـده • فقـد تبين أنه يسير في طريق مسدود ، وأن الانتصارات التي أحرزتها الشيوعية أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها مباشرة ، انما كان مرجعها الى الحرب نفسها • وأدرك ستالين _ الذي لا نعرف أن كان قد مات ميتة طبيعية كُمَا أَعَلَن مَى الخامس من شهر مارس ١٩٥٣ ـــ أم مات مقتولا كما ورد في بعض الأنباء التي أذيعت فيما بعد ... أدرك هذا الدكتاتور العنيد الذى لم ينج من بطشه أى واحد ممن وقفوا في طهريقه ، أن ههذه الانتصارات ان تتكرر ، لأن دول العالم لن تسمح القوات الشيوعية بأن تتقدم ثانية نصو أى أرض خارج أراضيها • وأن كانت الشيوعية حتى اليوم تظهر على مسرح العالم كما تظهر المثلة على خشبة المسرح ، تغير ماكياجها ومشيتها وصوتها ، مرددة ببراعة تلك السطور التي تتمشى مع دورها ، وتتناسب مع الشخصية التي تقوم بتمثيلها • والواقع - كما يقول كتشام ... أن هذه القدرة من جانب الشيوعية على تغيير مظهرها بسرعة هتى يتلاءم والظروف المتغيرة هي مصدر ما ينتاب بعض الناس من جيرة وتخبط في أمر الشيوعية • ولهدا فان جارودي في مسيرته مع الماركسية ثم نقدها ونقضها يقدم للبشرية أعظم غدمة في تاريخها الفكرى ، كما ينبر الطريق. أمام الباحثين عن النور ، والذين حينما يصلون اليه ، أن يعودوا عنه أبدا .

ذلك أن الدارس المتعمق للشيوعية يتبين أنها تناقض المبادىء التى تعد بها اتباعها ، فهى تنزل بالبشر الى مرتبة الحيوان ، وتحرم الناس من الأمل والكرامة والتراث الروحى ، كما تقضى بضربة هائلة واحدة على ما قطعته المدنية من تقدم نحو جعل الحرية أساسا للمجتمع ،

ومن السخرية أن كل الاتهامات التى توجهها الشيوعية الى النظم الأخرى تنطبق عليها أكثر من غيرها • فالشيوعية تتهم الديمقراطية بالفشك في معالجة المسكلات الاجتماعية الكبرى ، ومع ذلك فالديمقراطية احدى الوسائل التى يستخدمها الشعب لاعلام الحكومة بحاجاته ، فى حين أن هذا ينتفى فى حالة الشيوعية • والشيوعية تبرر استخدامها العنف والقوة بانها تفعل ذلك فى سبيل حياة أفضل ، فى حين أن هذه الجرائم التى ترتكب فى حق البشر ليست لها على الاطلاق أية علاقة بتحقيق حياة أفضل • والانسان المعاصر فى بحثه عن ايمان يعيش به ، يتجه الى المبادى التى تهيى الحياته أحسن معانيها • ولقد اتجه كثير من الناس ذوى النيات الحسنة الى الشيوعية ، حاسبين أنها تحقق لهم آمالهم ، على أن هؤلاء الناس كلهم قد تبينوا خطأهم ، اذ وثقوا بالشيوعية ووعودها الجوفاء •

ولقد كان جارودي واحدا من هؤلاء ا

ماركسية القرن العشرين:

وفي كتابه « ماركسية القرن العشرين » يظهر الادراك المبكر في رؤيا جارودى الفكرية لعدم جدوى الماركسية ، التي كان يراها تطلقا طموحا بشرط أن يتم تجديدها وفقا لرؤياه هـو ، لا رؤيا الذين يريدون الماركسية فهما دوجماطيقيا ، ذلك أن جارودى كان يبحث في حركة التاريخ العميقة ، ويتشوف الى بناء المستقبل على أسس من الوعى ، ولكن جارودى رأى الماركسية في ذلك الحين أشبه ما تكون به «حسناء الغابة النائمة » ولكن هذه الحسناء النائمة تخثرت في خطواتها التجديدية مرة منذ ١٨٩٠ خلال مرحلة النمو السلمي نسبيا العالم الرأسمالي وتوثنت في خلال مرحلة النمو السلمي نسبيا للعالم الرأسمالي وتوثنت في «دوجماتية Dogmatique » انتهازية سرت اليها عدوى الوضعية «مارودى نفسه ، بمعنى اعتبار ما بلغته الماركسية من العلم أساسا تهائيا ومكتملا يحدد الماضي والستقبل على هديه دونما تطوير ممكن ،

ويرد جارودى على ما أصيبت به الماركسية من تفاسير تتذرع بالموضوعية نتجعل من التاريخ « العلمى » تاريخا « جاهزا » المستقبل فيه مكتوب منذ الأزل والانسان غائب عن صنعه ، ويستشهد في رده بما كتبه لينين في فبراير ١٩٠٧ « مقدمة الطبعة الروسية لرسائل ماركس » واستعرض اشارات ماركس الى ثورة ١٨٤٨ ، ثم جلد بسياطه « أدعياء الماركسية الذين يفكرون » كل هذا لغو أخلاقى ، ورومانسية ، وافتقار الى الواقعية » فأجابهم : » لا يا سادة ، انما هوا التوحيد بين النظرية الثورية والسياسة الثورية » وأضاف يقول : « ليست ماركسية ، تتلك النظرية التي تنتقل من تقرير واقع موضوعي الى تبريره كأمر واقع » •

ثم ينتقل جارودى الى « المعتقدية الستالينية » ، التى راكزت كلها فى عشرين صفحة خاطفة ، يفترض فيها ـ على حد تعبير جارودى أن تضم خلاصة الحكمة الفلسفية • يقول جارودى بأسلوبه الساخر العميق :

« وكما كانت هناك كتب تعلمك « اللاتينية بلا دموع » وأخرى تعلمك « اليونانية وأنت تضمك » ، كانت هذه الصفحات تضع الفلسفة في متناول المجميع وفي شلائة دروس • الدرس الأول في الأمور العامة « الأنطولوجيا » : مبادىء المادية الثلاثة • الدرس الثاني في المنطق « قوانين الجدلية الأربعة » • الدرس الثالث في فلسفة التاريخ : « المراحل المخمس لمراع الطبقات » •

وطوال العهد الذي سيطر عليه هذا الأسلوب من التفكير ، لم يكن هناك من فلسفة ، ماركسية ، بل هذر مدرسي ، يزعم أن عنده الجواب على كل الأمور دون أن يعرف طبيعتها من علم الحياة الى فلسفة الجمال ، مرورا بالزراعة والكيمياء • وما تم من انتصارات تحقق لا بفضل هذا اللاهوت المجديد بل على رغمه : في الفيزياء حيث أخرس « الفلاسفة » ليستطيع أن يعمل العلماء ، وفي التقنيات حيث كانت الضرورات العملية ليستطيع أن يعمل العلماء ، وفي التقنيات تلك السفسطة كوصفها علم حلصن الحظ - أقوى من أن تذل للعنات تلك السفسطة كوصفها علم « السوبرناطيقا » وكود وركووازي » •

ان هذا النحو من فهم الجدل ، والفلسفة بصورة عامة ، لم يكن عاجزا عن هداية البحث فحسب ، بل كان أيضا عائقا له » (١) •

وفى الحزب الشيوعى الفرنسى ــ كما يقول جارودى ــ كان « الكفاح ضد الدوجماتية الجبرية ظاهرة ثابتة فى آثار موريس توريز فى ١٩٣٤ • قال : « ان تحطيم الرأسمالية ليس بالأمر الحتمى » • وفى ١٩٥٠ قال . « الحرب ليست بالأمر الحتمى » وقال عام ١٩١٥ : « البؤس ليس بالأمر المحتمى » ، وذلك فى معرض دراساته حول الفقر ، حيث كان يعارض « الاعتقاد بوجود قانون حديدى ، وقدر محتوم يثقل كاهل الطبقة العاملة » • وهذا الموقف _ كما يقول جارودى _ هو الذى أتاح له اتخاذ مبادراته التاريخية ، الكبرى ، كالجبهة الشعبية ، و « اليد المبسوطة » نحو المسيحيين ، و « الجبهة الفرنسية » التى تحققت سلامة الأخذ بها غى المقاومة وفى تحرير فرنسا وانبعائها » (٢) •

ولكن هذه الحركة كما يقول جارودى أيضا قد دفعت الثمن غاليا لكى تتابع مسيرتها ، يتمثل ذلك فى التبديد الرهيب الوجود الانسانى، المتمثل بدوره فى محاكم التفتيش انشيوعية وأساليب الابادة والعدوان على الديمقر اطية فى الحزب وفى الدولة ، وهذا كله يرجعه جارودى الى « التصور اللاهوتى للعالم وللتطور التاريخى والفكر البشرى » (٣) ٠

ذلك أن هذه الدوجماتية الشيوعية قد استغلها البلشفيون في كل مناسبة لتبرير أعمالهم ، وبالرغم من ذلك فان هناك من يفرق بين الماركسية والشيوعية ، ويقولون أنه اذا كان لينين وستالين وزعماء الشيوعية الآخرون قد اهتموا بماركس اهتماما بالغا ، فما كان ذلك الالأنهم وجدوا في آراء ماركس ذخيرة من النظريات يمكن استخدامها في تبرير أعمالهم ، وبذا أنت النظرية في أعقاب التطبيق بدلا من أن تسبقه ، والدليل على ذلك أن

⁽۱) روجیه جارودی : مارکسیة القرن العشرین ، تعریب : نزیه الحکیم ، بیروت ، منشورات دار الآداب ۱۹۲۷ ، ص ۳۰ .

⁽٢) ، (٣) ألرجع نفسه ، ص ٣٦ ٠

الزعماء الشيوعيين الذين كان تفسيرهم لماركس مختلف عن تفسير سنالين ، قد أنهوا حياتهم في زنزانة المحكوم عليهم بالاعدام .

وعلى ذلك يمكن القول في ضوء الدراسات العلمية لمبادىء الشيوعية أنها لم توضع الا لسد حاجات الدكتاتورية ، وهذه المبادىء الدوجماتية ، كما هي معروفة ، تتضمن : أن البروليتاريا هي الطبقة المفضلة ، تأسيسا على نظرية « الطبقات » الماركسية ، وعلى تحليله التاريخي الذي يركز على العامل الاقتصادي والصراع بين الطبقات ، قائلا أن سلوك الفرد ليس الا انعكاسا لكانة طبقته ،

ويتحدث ماركس والشيوعيون عن « الاشتراكية العلمية » كأنما يستطيعون أن يؤيدوا فلسفتهم بالبراهين العلمية • وقد حدد ماركس اتجاه نظرياته الطبقية • اذ قال ان التاريخ يسير نحو هدف لا محيد عنه ، هو حكم الطبقة الكادحة ، وعلى هذا الافتراض قامت معظم النظريات الأخرى التى ابتكرتها الشيوعية •

ويشير جارودى فى كتابه الشهير « ماركسية القرن العشرين » للؤتمر العشرين للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى ، ويرى أنه « كان بداية الطريق الى ادراك مأساوى للحقيقة » ذلك أن خروشوف فى هذا المؤتمر تلا تقريرا سريا ذا أهمية بالغة ، لأن ستالين حكم روسيا زهاء عشرين عاما ، فكان لحكمه وسياسته أثر بالغ المخطورة فى جميع نواحى الحياة فى روسيا السوفيتية ، فاذا جاء خروشوف ب وهو السكرتير العام للحزب الشيوعى السوفيتى واستنكر هذه الحقبة الطويلة من عهد المخطورة ، ولقد تسرب تقرير خروشوف السرى الى الخارج ، وأمكن بعد دراسته أن نعرف أن النقرير يدمغ ستالين بالاجرام ، وينسب اليه أعمالا تفوق فى خطورتها كل ما كان يعرفه العرب عنه ، واذا كان ستالين مجرما _ كما ورد فى ذلك التقرير السرى _ فلا شك أن كلا من خروشوف السبب وبولجانين كانا شريكين فى ارتكاب هذه الجراثم ، وقد أرادا لهذا السبب وبولجانين كانا شريكين فى ارتكاب هذه الجراثم ، وقد أرادا لهذا السبب أن يجعلا من ستالين كبش الفداء ،

فالطريقة التى أزيح بها بريا ، تدل على أن الحكام الشيوعيين جميعا يتبعون الأساليب العنيفة التى سار عليها ستالين فقد بدأت الصحف السوفيتية فى فترة ما تحمل حملة قوية على بريا وأعماله ، ثم اختفى بريا تماما وانقطعت أخباره ، الى أن أعلنت صحيفة ازفستيا أن بريا وستة من مساعديه قد اعترفوا بالتهم التى وجهت اليهم فى المحاكمة السرية : وأنهم قد أعدموا جميعا بالرصاص ، واذن فقد فعل خروشوف ببريا ما فعله ستالين بتروتسكى ، واذن فقد استهل النظام الشيوعى الجديد أعماله بنفس الأسلوب الذى كان يسير عليه ستالين ، واذن فهناك حقيقة لا مفر من الوصول اليها ، وهى أن التطهير ، والمحاكمات السرية ، والاعدام ، كلها أساليب اقترنت بالشيوعية منذ بدأت فى التطبيق حتى اليوم ،

يقول جارودى:

« أمام هذه المفازى ، ودون أن أنسى لحظة واحدة . آغاق المستقبل المفتوحة على الآمال في الوقت نفسه ، حدث أن عدت الى قراءة المقطع المظلم التالى من كتاب « هيجل » في « علم ظاهرات الفكر » وكأنه رسالة شخصية موجهة الى كل منا •

« هذا الوعى انما عرف القلق لا بشأن هذا أو ذاك من الأشياء ، ولا خلال هذه أو تلك من اللحظات ، بل ائقلق على جماع ماهيته ذاتها ، لأنه استشعر الخوف من الموت ، السيد المطلق ، وفى هذا القلق انحل الوعى حتى صميمه ، واضطرب فى أعماق ذاته ، وارتج فيه كل ما كان له ثبات البقين » .

ذلك أن خوف الموت ، لدى النفس ، هو اشفاقها من أن تفقد ما تؤمن به من مبررات للوجود والعمل ، ونحن _ ولم لا نعترف بذلك ؟ _ فهمنا مدى لحظة على أثر المؤنمر العشرين ، ما يمكن أن يعنيه هذا الدوار الكيانى :

لا شيئًا لم نستشعره أبدا من قبل في السجون والمعسكرات » .

فالماركسية اذن دفعت بجارودى مرة أخرى الى منعطف الشك ، ولكنه فى رحلة البحث عن اليقين ، وقبل أن يتوصل الى الاسلام ، يبحث فيما وراء « منعطف الأحلام » مرة أخرى ، ولكنه كان مصمما على أن تظل عيونه مفتحة على حد تعبيره ، فأبدع ماركسية جديدة تختلف عن المقديمة تماما أطلق عليها ماركسية القرن العشرين ، ولكن الدوجماتيين من الماركسيين رفضوها ورفضوا صاحبها ، لأنها لم تعد ماركسية ماركس أو انجلز أو لينين وانما أصبحت ماركسية جارودى فى رحلته من الشك الى البقين .

ومن أجل ذلك فاننا ننظر الى هذه المرحلة فى فكر جارودى على أنها تمثل « القنظرة » بين مرحلتى الشك واليقين ، لأنها دفعته بعد ذلك الى البحث عن الأشمل والأكمل ، فلم يجد الا الاسلام • -

على أن هذا لم يحدث دفعة واحدة ، ولكنه حدث بعد تحليل عميق الأسباب الغشاوة السابقة ، والنظر الايجابي الواعي الى ما لدى الآخرين من جديد جدير بالنقاش ، كانت نواميس « الستالينية » قد أصدرت مراسيم تحريمه بتهمة « البورجوازية » أو « الرجعية » أو « الانحطاط » • ولم يكن من سبيل الى « العيون المفتحة » على حدد تعبير جارودى الا الحوار (۱) •

ومن ١٩٥٦ نرى جارودى فى حوار لا ينقطع • حوار ليس خصومه المفكريين والسياسيين على الضفة الأخرى فحسب ، بل أيضا مع من يمثلون خصومة ماضيه لحاضره : مع « الماركسيين الرسميين » أولئك الذين لا يبرحون حتى الآن بدعوى واجب الولاء الحزبى _ يخضعون عقولهم لتعاليم الحزب • فى وقت أصبح فيه واضحا أن العالم قد شهد من التطورات الجذرية ما يدحض مزاعم الماركسيين جميعاً •

⁽١) السابق ، ص ١٧ ــ المقدمة للأستاذ نزيه الحكيم .

ولقد استطاع جارودى في « ماركسية القرن العشرين » أن يكشف عن الكثير من جوانب القصور في الماركسية ، من جهة ، كما يكشف عن فلسفة انسانية عنده ، جعلته يضيق بهذا القصور ، ويبحث عن عقيدة تحترم الانسان ، وتؤكد على وحدة المجتمع والانسانية ، من جهة أخرى ، ذلك أن جارودى كشف في نقده الماركسية عن ايمان عميق بالمطلق وتشوف دائب الى الكمال ،

ويرتبط منهج جارودى فى نقد الماركسية بعدد من الظواهر فى السنوات الأخيرة من هذا القرن العشرين ، ويعيد طرح القضايا الحضارية من جديد منها :

- ١ _ التقدم البائغ السرعة في العلم والتكنولوجيا ٠
- ٢ _ انحسار الاستعمار عن قارتى : آسيا وأفريقيا •

وقد ، أى جارودى أن هذا التغير ليس تغيرا كميا وانما هو تغير كيفى ، وأكد فى نقده الماركسية أن الوعى المعاصر متخلف عن التاريخ ، فاذا « نحن أردنا أن نجد الوسائل لتعويض هذا التخلف فعلينا أن نكون مدركين له كل الادراك » يقول جارودى أيضا :

« وهذه في الواقع ظاهرة عامة : فكل تيارات الفكر الكبرى تعبر اليوم عن مثل هذه الحاجة ، وكل منها يشعر بتخلف الوعى عن الواقع التاريخي • والكاثوليكيون ليسوا المحتاجين الوحيدين الى مثل هذا التجدد » ، ذلك أن جارودي كان قد نشر بمناسبة « المجمع المقدس » كتابا بعنوان « من الحرمان الى الحوار » •

استعرض فيه وجوه تضاؤل امكانات التقارب على الصعيد النظرى والعمل بين الشيوعيين والمسيحيين ، ولا سيما في فرنسا ، مشيرا في انوقت نفسه الى خطوات التجديد التي أخذ بها « المجمع » ، فكيف اذن يطرح جارودي مشكلات العصر ؟يقول جارودي (١) :

⁽١) ماركسية القرن العشرين : السابق : ص ٤٤ وما بعدها .

« ان سلطان الاسمان على الطبيعة قد تضاعف خلال عشرين عاما أكثر مما تضاعف على مدى القرون العشرين الماضية •

وقد تم هذا الانقلاب الضخم نتيجة لعدد من الاكتشافات العلمية والتكنولوجية الكبرى •

وأكثر هذه الوقائع اثارة كان صنع القنبلة الذرية والحرورية النووية و غفى (هيروشيما) عام ١٩٤٤ ، لم يكن الأمر الا أمر وسيلة للتخريب أشد عنفا من الأخريات ، ولكن بعد عشر سنوات حدث تبدل كيفى : اذ أن مستودعات القنابل الموجودة حاليا ، والموزعة بصورة منهجية ، قد جعلت من المستطاع تكنولوجيا تدمير كل أثر للحياة على وجه الأرض و والملحمة الانسانية التي بدأت قبل مليون عام ، أصبح من المكن أن تنتهى و

والنتيجة الثانية لهذه الاكتشافات ليست أقل أهمية: وهى أن التاريخ البشرى قد اكتسب أبعادا بلا حدود ، فقبل ثلاثين عاما كان لا يزال من المكن تحديد الوقت الذى ستنضب فيه مدخرات كوكبنا من الطاقة ، فحما ونفطا ، أما بعد الآن فان تعميم القدرة على تحطيم المادة سيجعل للبشرية سلطانا وثروات بغير حدود ،

ولهذه الاكتشافات نتيجة ثالثة تتعلق بالمصير الشامل للانسانية و فلقد كان برود الشمس والأرض يجبل في مقدورنا أن نتصور نهاية لوجود النوع البشرى على كوكب يمسى غير صالح للسكنى و ولكن الغزوات الأولى للفضاء ، وما أصبح يحمله تفتيت المادة من احتمالات للاغتناء بالطاقة ، طريق مأمونة الى استبعاد هذه النهاية و والبشر ، بمكتسباتهم الجديدة يستطيعون أن يحلموا بخلود لنوعهم حقيقى و ثم أن هناك علما جديدا ، هو حصيلة الجمع بين دراسة ظاهرات « الانتظام الذاتي الا Autorégulation وبين حساب الاحتمالات ، ولد عام ١٩٤٩ بصدور كتاب « نوربرت وانير » ونين حساب الاحتمالات ، ولد عام ١٩٤٩ بصدور كتاب « نوربرت وانير » عن « السوبرناطيقا » وهو منذ ما لا يجاوز السنوات العشر قد طبق على نظاق واسع و وليس هذا تغييرا كميا فحسب وليس مجرد مرحلة جديدة على طريق استخدام الآلة و فحتى الآن ، منذ اكتشاف النار وتهذيب الصخر القطع حتى اكتشاف البخار والمحرك الانفجارى والكهرباء ، كانت مهمة المقطع حتى اكتشاف البخار والمحرك الانفجارى والكهرباء ، كانت مهمة

الأدوات ثم المكنات _ أيا كان مبلغ الارتقاء بها _ تقف عند حدود تضعيف قوة الانسان الجسدية ، والحلول محل العمل اليدوى ، وتعجيل هذا العمل وجعله أفضل أداء •

أما الآن فقد أصبح التغيير كيفيا ، لأن العلم الجديد أدى الى الاستعاضة عن بعض أشكال العمل الذهنى لدى الانسان • وشعدنا مثل هذا التغيير الكيفى فى جميع الميادين • كما شعدناه فى ميدان المواصلات والاتصالات اللاسلكية •

كان قد مضى ألفا عام لم يحدث خلالهما الا القليل من التغيير • فقد ظل نابوليون يحتاج نقريبا الى نفس الوقت الذى كان يحتاج اليه يوليوس قيصر لقطع الطريق بين باريس وروما ، تحدد ذلك سرعة الحصان وتنظيم رباط البدائل • ثم جاء البخار بالسكة الحديد فلم يحدث الا تغييرا كميا ، اذ ضاعف السرعة ثلاث مرات أو أربع مرات ، وبعده أحدث الطيران تغييرا كميا آخر ، بمضاعفة السرعة مرة أخرى سبع مرات أو أكثر ، ولكننا ، مع صواريخ الفضاء ، انتقلنا الى مقياس للسرعة من نوع جديد ، هو سرعة دورة الكواكب • فالصاروخ أسرع كثيرا من الأرض في دورانها ، والسرعة لم تصبح ئلاثة أضعافها أو تسعة أضعافها فحسب ، بل تضاعفت مائة مرة بل ألف مرة •

وكذلك وسائل الاعلام والاتصال بالجماهير ظلت دهرا طويلا تساير وسائل المواصلات والنقل ، اذ كانت سرعة البريد هي سرعة الحصان نفسه ، أما الآن فلدينا القدرة التكنولوجية على جعل الخبر يتواجد لحظيا على مدى العالم كله ، وقد أصبح هذا الأمر خلال السنوات الأخيرة ظاهرة جماعية بالتكاثر العاجل في عدد أجهزة استقبال « الراديو » و « التلفزيون » و أصبح لدينا « أوروفيزيون » و « موندوفيزيون » و « تلستار » وصور ملتقطة من سطح القمر ، وهذا الأسلوب في البث الاعلامي لم يحدث انقلابا عميقا في وسائل الدعاية السياسية فحسب ، بل أيضا في مناهج التعليم والثقافة » (۱) ،

⁽۱) جارودى: السابق ، ص ٢٦ .

ویذهب جارودی الی أن الأمر نفسه قد حدث فی علم الحیاة (البیولوجیا) فالجدید الذی اکتشف نیه خلال عشر سنوات یزید علی ما اکتشف منذ « أبو قراط » حتی کلود برنارد ، ویذهب کذلك الی أن الاکتشافات المؤدیة الی التحول الکیفی قد بدأت تظهر منذ عام ۱۹۰۶ ولنکن جایرودی یطرح تساؤلا هاما حول هذا التقدم العلمی : باسم أیه قبم سیتم اختیار ما براد وانماؤه من طاقات ؟ کما بیساعل حول مشکلة تعلیم هذه الکتسبات الجدیدة ، وتمثلها ، ونشرها ، والقدرة علی توجیه قیادها ، ویذکرنا جارودی بثلاث وقائع ، لاظهار مدی سیعة المسائل المطروحة فی عالم الیوم :

_ يوجد فى العالم اليوم عدد من العلماء الأحياء المبدعين يساوى مجموع من عرف التاريخ من علماء منذ بداية الانسانية • « من تقرير الأستاذ (أوجيه) الى شعبة البحوث العلمية فى اليونسكو » •

_ منذ ثمانى سنوات تضاعفت كمية معارف البشر • « حجم المنشورات العلمية ، وكتب البحوث والمجلات العلمية ، بصرف النظر عن كتب التيسيط » •

_ الزمن الذى ينقضى بين اكتشاف رئيسى وبين تطبيقاته العملية على نطاق واسع يتقاصر بنسبة كبيرة: فلقد احتاج التصوير الشمسى الى ١١٧ سنة والتليفون الى ٥٦ سنة ، بينما كانت خمسة أعوام كافية لتعميم « الترانزيستور » •

وهذه الأمثلة توضح مدى المسائل المطروحة - كما يقول جارودى -- فهناك :

مسألة فلسفية : كان انجلز يقول ان على المادية أن تغير من صورتها كلما ظهر اكتشاف رئيسى ، ظاهر الأثر في تاريخ العلوم • وقد بذل لينين جهدا كبيرا ليتمثل فيزياء عصره ونحن الآن في حاجة الى بذل

مجهود أكبر بلا حدود لنستطيع الارتفاع بالفلسفة الماركسية الى المستوى الراهن لتطور العلوم (١) •

وقبل أن نتطرق الى الحديث عن الماركسية والمادية ، ومعاداتها للدين ، وارجاع كل شيء حتى الدين والأخلاق والفكر والفلسفة والثقافة والقانون والسياسة الى انعكاسات للأحوال الاقتصادية والمصالح الطبقية ، ومد جذورها الى الظروف المادية للحياة ، قبل ذلك جميعا نجد جارودى بطرحه هذه المسألة الفلسفية قد كشف القناع عن زيف الماركسية وتخلفها ، وافلاسها في مواجهة العلم ، فلقد نقض « العلم » كل دعاوى الفلسفة المادية التى أكدت أنها مقررات علمية تنظر الى الوقائع المصوسة ولا تنبىء عن نتيجة من الأطوار الاجتماعية الا كانت حقيقة من حقائق الرياضة التي لا تقبل الاختلاف بين حاسب وحاسب ولا بين حين وحين • فقد أظهرت الدراسات « العلمية » للمادة أن المادة أخفى من الروح ، كما ظهر من الدراسات العلمية للأطوار الاجتماعية واتجاه تاريخ الأمم في العصر الحديث أن كل الحقائق المحسوسة التي أنبأ بها كارل ماركس انما هي أباطيل مصوسة لا يختلف فيها ماديان ولا مثاليان (١) .

هالماركسيون يذهبون الى أن اشتراكيتهم وحدها هي « الاشتراكية العلمية » دون غيرها ، لأنها _ فيما يدعون _ تنفرد بمزية لا يشاركها فيها غيرها من المذاهب الاشتراكية السابقة ، وهذه المزية المدعاة أنها تقوم على « العلم » وتلتزم « الواقع » ، مع أن « نبؤاتها » أكثر وأبعد تطوها في الخيال من جميع نبؤات المذاهب السابقة التي نعت عليها مجافاتها للعلم وتتكبها طريق الواقع • فان « الاشتراكية العلمية » - على حد تعبير العقاد ، قد تطوحت في نبوءات لا تنتهي الى آخر الزمان ، كما ادعت لنفسها أنها تفسر أسرار الكون وأسرار المادة في جميع ظواهرها . وأنها ترسم للتاريخ المقبل خطاه التي لا يحيد عنها ولا يزال مطردا عليها الى غير نهاية ، وهي نهاية أبعد في مجال الغيب من النهاية التي قدرتها

⁽۱) جارودی: السابق ، ص ۹۹ . (۲) العقاد: مذهب ذوی العاهات ، ص ۱۲۲ .

الأديان الغابرة ، فهى توغل فى الآباد المقباة ملايين السنين ، وتدعى باسم « العلم » — لا باسم الخرافة — أن الغيب المجهول لن يتمخض عن شى عنى حياة الانسان غير ما رسمه كارل ماركس وفرغ من التنبؤ به قبل منتصف القرن التاسع عشر ، وقبل أن يتقدم العلم خطواته الأولى فى عصرنا الحديث (١) •

والواقع أن المسألة الفلسفية التي طرحها جارودي في ماركسية القرن العشرين (٢) ، تكشف عن افلاس الماركسية ، فقد ظهر اليوم مع التقدم المذهل في العلوم أن « المادة نفسها غير مفسرة وغير مفهومة ، فهي من باب أولى لا تفسر ما عداها ولا نترال سرا يتطلب الفهم ولا يقربنا من فهم غيره ، أما « العلم » فقد انكشفت عنه فتنة غروره الأولى ، واضطر كارها الى التواضع في دعواه ، فعاية ما يدعيه اليوم أنه يصف ويسجل ، وأن ما كان يعرفه علماء العصر الذي نشأت فيه « الاشتراكية العلمية » لا يفسر ظاهرة واحدة من ظواهر زمنه ، فضلا عن تفسير الظواهر الطبيعية والتاريخية والنفسية عامة تامة من مبدأ الخليقة الى آخر الزمان ، أما الزراية بالعاطفة الانسانية فيقابلها في العصر الحاضر افراط في التعويل على خفاياها وتخريجاتها ، ودراسة لكل سر بمسبار العاطفة حتى الفلسفة المادية وبواعثها في نفوس الماديين (٣) ،

ولا محل لبيان التناقض بين دعوى « التقدمية » وبين الرجوع فى كل رأى الى فكرة انسان عاش فى أوائل انقرن التاسع عشر ، كائنا ما كان نصيبه من العلم والذكاء _ كما يقول العقاد _ فقد كان يجوز فى عصر ماركس أن يقال عن دعاوى الفلسفة المادية أنها مقررات « علمية تنظر الى الوقائع المحسوسة ولا تنبىء عن نتيجة من نتائج الأطوار الاجتماعية الا كانت حفيقة من حقائق الرياضة التى لا تقبل الاختلاف بين حاسب ولا بين حين وحين ٠٠ أما اليوم فكل الحقائق المحسوسة التى

⁽۱) العقاد: السابق ، ص ۱۲۵ .

⁽٢) جارودي : السابق ، ص ٢٩ .

⁽٣) العقاد: السابق ، ص ١٢٦ .

أنبأ بها كارل ماركس فهى أباطيل محسوسة لا يمترى فيها ماديان ولا مثاليان .

كان يقول ان أمم الصناعة الكبرى هى الأمم المعرضة لظهور الشيوعية فيها ، فاذا بالأمر ينقلب عن النقيض الى النقيض ، واذا بالشيوعية تظهر بين الأمم على قدر خلوها من الصناعة الكبرى ٠٠٠ وكان يقول أن الغاء رأس المال يقضى على أسباب الاستبداد ويمنع تعدد الطبقات ، فاذا بالغاء رأس المال في روسيا ينتهى الى استبداد يتحكم في السياسة والثروة العامة والخاصة ويتحكم في الأرواح والأقدار ، ويخرج للمجتمع طبقة من الحكام أقوى من الطبقة المعاصرة لها في كل أمة من أمم رأس المال ٠٠٠ وكان بقول أن الثروة تتجمع ولا تتوزع ، فاذا هي تتوزع وتنتشر حتى يعد الشركاء في المصنع الواحد بالألوف وكان يقول أن المطبعة والورق يعد الشركاء في المصنع الواحد بالألوف وكان يقول أن المطبعة والورق والمبارود والمدن التجارية هي عوامل التاريخ في الصضارة الأوروبية ، فاذا بهذه العوامل جميعا قد وجدت في الصين قبل وجودها في المعرب بالغي سنة ، وبين حضارة الصين وحضارة الغرب أبعد ما يكون من فارق بين حضارتين ٠

كذلك لم يظهر من حركات الشيوعية في العصر الحديث أنها حركات خاصة بالصناعة الكبرى أو بحالة دون غيرها من الحالات الاقتصادية أو الاجتماعية ، فان هذه الحركات قد ظهرت بين زراع اسبرطة وبين عمال روما وبين طوائف الزنج في البصرة ، ولم يكن لها من سبب في جميع هذه الحالات الا ازدهام المتذمرين في مكان واحد واغتنامهم للفرصة من ضعف الدولة على أثر هزيمة حربية أو كارثة داخلية ، فما حدث في روسيا بعد الحرب العالمية الأولى كان يصح أن يحدث فيها قبل ألف سنة كما حدث في غيرها ، وما كان حدوثه في روسيا لأنها بلاد صناعية ، ولا لأنها تطورت بالأطوار الاجتماعية التي قررتها الفلسفة المادية ، ولكنه حدث لأن الجيوش بالأطوار الاجتماعية التي قررتها الفلسفة المادية ، ولكنه حدث لأن الجيوش المنهزمة ثارت فاستولت على زمام الثورة فيها طائفة منظمة كالطائفة التي استولت على حركات النازيين والفاشيين بين الألمان والايطاليين » (١) .

⁽۱) العقاد: لا شيوعية ولا استعمار ، ص ١٨ .

وهذه المسألة الفلسفية التي يطرحها جارودي في ماركسية القرن العشرين ، تجعلنا نذهب مع « برتراند راسل » (١) الى :

« ان عناصر الفلسفة الماركسية التي استمدت من هيجل كلها غير علمية المعنى أنه ليس هناك أي سبب على الاطلاق اللاعتقاد بصحتها » •

وكذلك المسألة السياسية التى يطرحها جارودى تؤيد هذا المعنى فى ثنايا نقده نلماركسية ، والتى تتمثل فى « التزايد الرهيب فى السلطان التكنولوجى على الطبيعة ، والذى يضع بين يدى قبضة من الناس قدرا من المعارف ومن التنظيم يمنحهم سلطانا يثير الفزع ، وهذا الحاجز من السلطة انتكنولوجية بين القادة والجماهير » ،

ويمكن اقول أن المسيرة الفكرية لجارودى تتلخص فى سعيه نحو فكر نقدى ، قاده بالضرورة الى نقد الماركسية ثم نقضها ، هذا الفكر النقدى هو الذى أدى به الى كشف الطريق المسدود الذى تسير فيه الماركسية ، فقد كان يرى أن الماركسية يجب أن تكون أداة لاجتياد الوعى ومحركا للعمل الذى يعير به الانسان الأشياء ويعير نفسه ويبنى بيده تاريخه ، ولكن الفكر النقدى أثبت أنها عكس ذلك تماما ، لأن الماركسية زعمت أنها مذهب مكتمل ، كلى ، لم يلبث أن وقع فى صدام مع الواقع الدائم التغير ، وقد أدى ذلك _ فضلا عن اخفاق التجارب الشيوعية فى العالم الى ظهور ما يعرف الآن بالأورو _ شيوعية (١) وهى حركة بدأت العالم الى ظهور ما يعرف الآن بالأورو _ شيوعية (١) وهى حركة بدأت داخل الأحزاب الشيوعية فى أوروبا الغربية ثم انتقلت الى الأحـزاب الشيوعية فى بلاد أخرى غير أوروبية ، وتتمثل فى رفض عدد من جوانب النظرية الماركسية الدوجماطيقية ، كما تتمثل فى ترك الهدف القديم الذى كانت تلك الأحزاب الشيوعية تتوخاه أساسا ، وهو اقتفاء أثر المثـال

⁽۱) برتراند راسل: مقدمة حديثة للفلسفة ، لندن ۱۹۵۷ ص ٤٤٧ ، ٤٤٨ .

⁽۲) الأورو _ شيوعية Euro — Communism مصطلح مختصر لكلمتى : « الشيوعية الأوربية » European Communism طارق حجى : أفكار ماكسية في الميزان ، ص ٨ ، وما بعدها .

السوفيتى فى بناء الاستراكية ، ولا شك أن بعض الماركسيين يحاولون - بكل الجهود والطاقة - أن يفسروا ذلك بأنه « تطور » طبيعى فى النظرية ، وأنه تعديلات فى جوانب غير رئيسية فى الفكر الماركسى ، يمليها الواقع وتمليها التجارب فى كل بقعة من بقاع العالم (١) ،

وكان جارودى يمثل هذا الاتجاه ، غأبدع من خلال فكر النقدى « ماركسية جديدة » أطلق عليها « ماركسية القرن العشرين » كان يتصورها ذات رؤيا تركيبية يحتاج اليها العصر ، ولكنها باعترافه لم تفعل ذلك أبدا ، لأن الماركسيين كما يقول ـ لم يرتفعوا بوعيهم الفلسفي والتاريخي والأخلاقي والجمالي الى مستوى الظروف التي خلقوها هم أنفسهم ، وهذا ما كان انجلز صريحا في الالحاح عليه في دراسته عن « لودفيج فويرباخ » : « على المادية بالضرورة أن تكتسب صورة جديدة مع كل اكتشاف هام ، بادى الأثر في تاريخ العلوم » ،

ومنذ انجلز ، ما أكثر ما عرف العالم من تلك « الاكتشافات الهامة ، البادية الأثر في تاريخ العلوم »! ولو أردنا الاقتصار على علوم الطبيعة لعددنا من هذه الاكتشافات فيزياء « الكانتا » والنسبية في مطلع القرن ، وعلم « السوبرناطيقا » والتركيب الصنعى للخلايا وتغييراتها الموجهة في علم الحياة في منتصف القرن (٢) •

فهل حقق الماركسيون بشأنها برنامج انجلز 1

يقول جارودى:

« لقد فعلوا ذلك مرة واحدة ، ولكن بصورة نموذجية ، عام ١٩٠٨ ، بكتاب لينين : « المادية والتجريبية النقدية » ، قضى لينين ثلاث سنوات في جرد لأهم كتب الفيزياء المعاصرة : مؤلفات « ماكسويل » و « وروكر » و « وورد » و « بيرسون » في الفيزياء الانجليزية ، ومؤلفات « أرنست

⁽١) نفسه ، ص ٨ .

⁽٢) جارودى : ماركسية القرن العشرين _ السنابق ، من ٦٧ .

ماخ » و « هرنز » و « بولنزمان » في الفيزياء الألمانية ، بالاضافة الى التفسيرات الفلسفية التي قدمها « كوهين » و « فون هارتمان » ، ومؤلفات « هنري بوانكاريه » و « بيكويل » و « لانجفان » وتفسيرات « دوهيم » و « لوردا » في الفيزياء الفرنسية ، هذا عدا ذكر كتابات (المراجعين » الروس ،

ولو أننا قمنا اليوم باحصاء لما كتب في هذا الموضوع يقف عند عام ١٩٠٨ عام تأليف الكتاب ، لوجدنا أن لينين لم يهمل أى مؤلف جوهرى وهو قد أنطئق من هذه الذخيرة العلمية ليظهر لنا ما يمكن أن تكون عليه « الصورة الجديدة » للمادية ، المقابلة لتلك المرحلة من تقدم الفيزياء ، فأتى بفكرة مظرية كاملة الجدة ، هي فكرة عدم فناء المادة : « الالكترون لا ينضب ، شأنه شأن الذرة » و وهذه النظرية تحمل معها نتائج فلسفية جوهرية ، أهمها عدم جواز الخلط بين الصورة التي يكونها العلم عن المادة في لحظة من لحظات تطوره ، وبين المادة نفسها ، وما من ريب في أن هذا هو أكثر الاستنتاجات التي حواها كتاب لبنين » .

ويخلص جارودى من ذلك الى أن الماركسية لا ينبغى أن تكون فلسفة اعتقادية سابقة للنقد ، ذلك أن « المعتقدية ، فى الفلسفة ، تاريخيا ، هى نقيض النقد ، بالمعنى الذى كان « كانط » أول من أعطاه لهذه الكلمة ، ولو أنه فعل ذلك فى نظرة خارجة عن التاريخ ، وطلبا للتبسيط ، لنقل : أن وجهة النظر النقدية فى الفلسفة تعنى ادراكنا أن كل ما نقوله عن الواقع انما نقوله نحن ، أما المعتقدية فهى ، على العكس ، الوهم أو الزعم بوجودنا فى داخل الأشياء وبأننا نقول بشأنها الحقيقة المطلقة والنهائية ، والمثال النموذجى للمعتقدية هو المعتقدية الدينية » (١) ،

ويرفض جارودى صور المعتقدية الوضعية ، على نحو ما يتضح من. رفضه الآراء الماديين الفرنسيين في القرن الثامن عشر ، أولئك الذين أعطوا المادة تعريفا نهائيا انطلاقا من تصورات « ديكارت » المكنوية

⁽۱) نفسه ، ص ۸۸ ۰۰

Mécaniste ثم استقروا بأنفسهم داخل الأشياء يقولون لنا عنها المحقيقة المطلقة ويذهب جارودى الى أن الماركسية كذلك لا ينبغى أن تكون معتقدية ، ذلك أن كل التأويلات المعتقدية للماركسية تبدأ بالحط من شأن التراث الذى أخذته عن كانط وفيخته وهيجل ، وبالعودة الى فويرباخ وديدرو وسبينوزا وتنتهى بوضع الأيديولوجية في مقابل العلم كما كان الديكارتيون يضعون الحقيقة في مقابلة الخطأ و

وتأسيسا على هذا الفهم ، تتضح ملامح المنهج النقدى للماركسية عند جارودى ، وهو المنهج الذى يذهب الى أن هناك دائما نواة من حقيقة مطلقة ، اكتسبها العلم ولا يمكن أن تعود لتصبح موضع تساؤل من جديد ، ولكن مطلقة ، اكتسبها العلم ولا يمكن أن تعود لتصبح موضع تساؤل من جديد ، ولكن نواة الحقيقة المطلقة هذه « أى مجموع القوى الفعلية التى نتصرف بها ، وما يعنيه هذا من تشابه بين النماذج العلمية التى بنيناها ــ وبين الواقع » •

١ _ ليست أبدا مكتملة .

٢ ــ موجودة داخل مفاهيم ونظريات ونماذج خاضعة للمراجعة
 باستمرار نسبية باستمرار •

وعلى ذلك يذهب جارودى في نقده للماركسية ، التي ترعم العلمية وأنها تتمتع بنفس النوع من المقيقة التي يتمتع بها العلم • فيرى أن زعم الماركسية أنها حقيقة « مطلقة الاطلاق » لا مطلقة ونسبية معا » ، وأنها تمتاز بعدم الخضوع لتقلبات التقدم العلمي ، ينفي عنها صفة العلم ، ويجعلها في نظر أصحابها سرمدية المعتقد • ذلك أن شأن المعتقدية اللاهوتية أن تسد الطريق على جدلية الحقيقة النسبية والحقيقة المطلقة • والماركسية لا تستطيع أن تزعم في وقت واحد الانتساب للعلم وأن تطالب لنفسها بصفة الحقيقة التي لا تكون الا مطلقة ، شأن ما وراء الطبيعة واللاهوت (١) •

⁽۱) نفسه ، ص ۷۲ ·

ويذهب جارودى تأسيسا على ذلك الى أن كل الأخطاء المرتكبة خلال المناقشات الفلسفية حول العلوم ، على مدى ربع قرن ، هى نتيجة التجاهل المعتقدى لهذه الجدلية بين الحقيقة النسبية والحقيقة المطلقة ، سواء فيما يتصل بتصور المادية أو تصور الجدلية أو تصور المادية التاريخية ويضرب جارودى على ذلك مثلا : اذا نحن اعتبرنا الشكل الذى تأخذه المادية في لحظة من تاريخه! _ استنادا الى صورة معينة يعطيها العلم عن المادة _ حقيقة مطلقة ومكتملة ، فما أن يغير العلم هذه انصورة حتى نجد أنفسنا منقادين الى واحد من أمرين : الأول _ كما قال لينين في « المادية والتجريبية النقدية » _ أن نجعل المادية نفسها موضع تساؤل بالحديث عن « تلاشى المادة » ، لمجرد أن الصورة المجديدة موضع تساؤل بالحديث عن « تلاشى المادة » ، لمجرد أن الصورة المجديدة كيمائية ، وأن نصفها بالمثالية ، لأن الصورة المجديدة التى تعطيها عن المادة كيمائية ، وأن نصفها بالمثالية ، لأن الصورة المجديدة التى تعطيها عن المادة و عن المتمية لا تنطبق على السابقة ،

والخطأ نفسه يمكن أن يرتكب بشأن الجدلية: فاذا نحن اعتبرنا عددا من قوانين الجدل _ وهي في الواقع ، وفي كل عصر ، كشف المساب المؤقت دائما لانتصارات العقلانية ، وهي بالتالي حقيقة مطلقة بوصفها كشفا لانتصارات الماضي وحقيقة نسبية كطريق الى انتصارات مقبلة _ ، إذا اعتبرنا هذه القوانين حقيقة مطلقة ومكتملة ثم أردنا أن نحكم على نظرية علمية ما بأنها صائبة أو خاطئة ، حسبما تكون متوافقة أو غير متوافقة مع قوانين الجدل المعروفة اذ ذاك _ كما حدث مثلا بشأن علم الحياة _ فان هذه الصورة من الماركسية لا تمارس أبدا دورا تحريريا مخصبا بل تصبح كابحا دون البحث (١) .

ويوضح جارودى كذلك خطأ آخر فى المادية التاريخية: فاذا نمن اعتبرنا الرسم الخيالى المعروف باسم « المراحل الخمس للتطور التاريخي » _ الذى وضع انطلاقا من تجربة تطور المجتمعات الغربية ، اذا اعتبرنا هذا الرسم الخيالى حقيقة مطلقة ومكتملة ، وأردنا بأى ثمن

⁽۱) نفسه ٤ ص ٧٤ ٠:

أن ندخل فيه مثلا _ تطور بعض المجتمعات الافريقية أو الآسيوية فاننا بذلك نبتعد عن المناهج العلمية لنعود الى فلسفة للتاريخ نظرية معتقدية ، تشوه تفكير ماركس مفسه (١) ٠

غجارودى فى منهجه اننقدى الماركسية ومذاهب الفكر ، ينظر اليها على أنها مجرد فروض قابلة الصواب أو الخطأ ، ويرفض اعتبارها معتقدا من المعتقدات ، أو آنها تمثل وحدها الحقيقة المطلقة (٢) ، أو أن تكون ايديولوجية _ بالمعنى التحقيرى _ لأن هذه « الأيدلوجية » تتميز بمقدار ما تتعارض مع النظرية العلمية ، لا بالضرورة ، تعارض الخطأ مع الحقيقة ، أو الرأى مع المفهوم ، أو الخيال المعكوس المواقع مع صورته الحقيقية ، ولكن قبل شىء بأنها تتجاهل ينابيعها الخاصة وطابعها النسبى فالوهم الايدولوجي هوان نفسى أن كل « ايدولوجية » ككل نظرية ، قد ولدت من ممارسة ، وأنها قد ولدت فى التاريخ ، وليس هناك معرفة مطلقة ، تتساوى مع الشىء الذى نعرفه وتصبح واياه وحدة ، اذ المعرفة تصور أو اعادة بناء ، تهدف الى ايضاح الواقع _ واعادة البناء ، هذه هى دائما ولدرجة نمو المفاهيم التى وضعها الانسان وتقنياته وممارسته ، وادرجة نمو المفاهيم التى وضعها الانسان والموقتة فى كل حين ، و هنم « أيديولوجي » أن نرى فيها حقيقة مطلقة ونهائية حقيقية و فيائية حقيقية المكن أن توضع مبادؤها موضع تساؤل (٤) ،

ويخلص جارودى الى أن الماركسية المعتقدية ولا سيما فى انجيل ستالين التعس الشهرة « المادية الجدلية والمادية التاريخية « أصبحت » « كاتالوجا جامعا مانعا يضم « قوانين » و « خصائص » الجدل ذات، صحة مطلقة وكلية (٥) ا! •

هذه لا المعتقدية » التي يرفضها جارودي في الماركسية ، هي التي

⁽۱) نفسه ، ص ۷۶ ،

⁽٢) نفسه ، ص ٧٥ .

⁽٣) الدرالة في المنطق الصورى ، يتغير بتغير سواه ويتعين بتعيينه .

⁽٤) جارودي : السابق ، ص ٧٧ .

⁽٥) نفسه > ص ۸۲ .

تنكر كل شيء في الوجود غير المادة والماديات فليس للوجود عقل مدبر ولا روح ملهم ، ولكنه مادة في مادة ، ومن مادة الى مادة ، بين الأزل والأبد بغير ابتداء ولا انتهاء • « وقد اهتم ماركس وانجلز وغيرهما باثبات هذه الدعوى قبل اهتمامهم بأى اصلاح وأى تحسين في أحوال المطبقات • ولهذا سمى مذهبهم بالفلسفة المادية الجدلية أو الثنائية وانصرفت جهودهم قبل كل شيء الى التفسير المادى للتاريخ •

فالأديان كلها من وجهة النظر الماركسية ان هى الا حبالة منصوبة التغليب مصالح الأغنياء على مصالح الفقراء • وهذا مع العلم بأن الأديان جميعا تتضمن من النواهى للأغنياء أضعاف ما تتضمن من النواهى للأغنياء أضعاف ما تتضمن من النواهى للفقراء ؟ والفنون الجميلة وما احتوته من الآداب والبدائع ليست الا تمثيلا اقتصاديا لأهواء الطبقة الغالبة فى المجتمع ، بقوة الاستغلال (١) » •

الماركسسية والدين:

كتب العقاد في سنة ١٩٤٩ عن الاسلام والشيوعية يقول (٢):

« جاء في أنباء العاصمة الانجليزية أن التقارير التي تلقاها مؤتمر الشرق الأوسط الذي ينعقد فيها الآن تدل على أن الشيوعية تبدى في البلدان العربية نشاطا لا نظير له في البلدان الأخرى ، وأن أصحاب تلك التقارير يميلون الى استبعاد الرآى القائل بحصانة البلاد الاسلامية من التسيوعية ، لأن الاسلام والشيوعية لا يتققان ، فان الشيوعيين كثيرا ما استعلوا الجماعات الاسلامية الدينية في بث التعاليم التي تناهض الغربيين الملاحدة من عباد الدينار ،

أما ان الشيوعية تخص بلاد العرب والسلمين بنصيب ممتاز من دعايتها فنيس بالخبر الجديد و لأن الواقع يظهره والكل يتوقعه ما دامت بلاد العرب والسلمين ملتقى القارات من جهة ومركز الامامة لمحات الملايين في آسيا وأفريقية من جهة أخرى •

⁽۱) العقاد : مذهب ذوى العاهات ص ٢٥٠

۲) جريدة الأساس ٢٥/٧/٢٥ .

كذلك ليس بالجديد أن الدين الاسلامي يمُعرَّق الشيوعية عن نشر دعوتها أو الترويج لأغراضها •

فان الدين الاسلامي يعوق الشيوعية ، بل هو أكبر عائق في طريقها على تقدير واحد ، ليس هو مع الأسف بالتقدير الصحيح ٠

ان الاسلام أكبر عائق في طريق الشيوعية اذا كانت هذه الشيوعية مذهبا محترما يعتمد على الاقناع بفكرة لا محيد عنها •

ففى هذه الحالة تصطدم الشيوعية بعقائد الاسلام فى كل عقيدة منها ويتعذر على الداعى الشيوعى أن يواجه المسلم بفكرته وهو عالم بأحكام دينه •

ولكن الواقع أن الشيوعية « مؤامرة ترمى الى تنفيذ جريمة كبيرة » لهدم المضارة القائمة ، وليست هى بدعوة محترمة تعتمد على أفكار واضعة لا تحيد عنها •

هى مؤامرة يتوسل أصحابها بكل وسيلة لتنفيذ الجريمة التى يدبرونها ، فلا يبالون خداع الناس عن عقائدهم ولا يتورعون فى تصوير مذهبهم على أية صورة تضمن له القبول عند طائفة من الناس ، ولو اتخذوا له صورتين متناقضيتين تختلفان مع اختلاف الزمن أو اختلاف البلاد ٠

فالشيوعيين يكفرون بالوطنية ويعتبرونها حيسلة من حيل أصحاب الأموال لتسخير العمال ، ولكنهم ينفخون في جذوة الوطنية كلما حاربوا دولة من الدول التي تينازعونها • كما صنعوا في الصين قبل الحسرب العالمية وما زالوا يصنعون فيها الي زمن قريب ، حين تطبت كفة الشيوعيين هناك على كفة « الوطنيين » •

وقد صنعوا مثل هذا في فلسطين قبل نهاية الانتداب البريطاني وبعد انتهائه • فكان اتباعهم في فلسطين يسمون حركتهم بحركة « التحرير الوطني » حتى استغنوا عن التبشير بالوطنية فعدلوا عنها الى محاربة الأوطان العربية جميعا باسم الطبقات •

وهم يجرون في خداعهم وتوميههم على هذه السنة كلما احتاجوا الى محالفة الأديان بين من يعتقدونها •

وقد يخلقون الجماعات الدينية التي تظهر غير ما تبطن وتعمل لنشر الشيوعية والتمهيد لها ، وهي تتراءى للناس في مظهر الغيرة على الدين والجهاد في سبيله ٠

وعندنا نحن شاهد قريب على هذه المضادعة الدينية من تلك العصابة التى قامت على نظام العصابات الشيوعية في أساليبها ووسائلها وتلقت منها العدة والعتاد وعملت على خدمتها باشاعة الفوضي ونشر الفتنة والقلق والاضطراب •

فالدعوة التي تقوم على فكرة تقف في سبيلها الفكرة ، وتقف في سبيلها العقيدة .

أما الدعوة التى تتحول الى مؤامرة مصرة على تنفيذ جريمتها الكبرى بكل وسيلة والاحتيال لها بكل حيلة والتمثل من أجلها في كل صورة ، فانما تحارب كما تحارب المؤامرات .

انما تتحارب بقوة القانون ويقظة الساهرين على استمرار النظام .

واذا قيل ان محاربة الشيوعية بالقانون وحده لا تكفى فيجب فى هذه الحالة أن نفرق بين الشيوعية نفسها وبين الدعوة الى الشيوعية •

فمحاربة الشيوعية نفسها انما تكون باصلاح المعيشة ونشر الرضا والطمأنينة ومنع أسباب الشكوى والامتعاض بين الطبقات الفقيرة على الخصوص •

فلن تحارب الشيوعية نفسها بسلاح أمضى من هذا السلاح ، ولن يفلح سلاح آخر في محاربتها ولو تضافرت على تأييده جميع القوانين •

أما الدعوة إلى الشيوعية فان يمنعها اصلاح المعيشة بل يزيدها ويثير أصحابها ويستحثهم أبدا الى مضاعفة الجهد واختلاق أسباب جديدة للتحريض والتهييج •

فلا يطلبون اذن صلاح حال الفقير بل يعمدون الى صاحب المعاش المضمون ويثيرونه على من هو أرفه منه معاشا ليحسده وينقم عليه • ولن تستغنى المجنمعات عن سلاح القانون فى محاربة هـؤلاء المفسدين ، لأنهم متآمرون على تنفيذ جريمة وليسوا بدعاة الى فـكرة يحترمونها ولا يقبلون الخداع فيها •

على أن الساسة الذين يبحثون اليوم فى مكافحة الشيوعية ، ويتلقون التقارير من بلدان الشرق الأدنى عن نشاطها فيها يحق لهم بل يحق عليهم ب أن يستوفوا تلك التقارير بعض الاستيفاء ليعرفوا مدار الدعوة الشيوعية فى هذه البلدان أن أرادوا أن يعرفوها حق عرفانها •

ان مدار الشيوعية في بلدان الشرق الأدنى هو مواقف أولئك الساسة. أو هو الطمع الأشعبي الذي يعميهم عن مواجهة الحقيقة ويصيبهم أحيانا بما هو شر من العمى المطبق وهو العمى على هسب الشيئة والاختيار • يبصرون ما يرضيهم ويعمضون عما لا يرضيهم ، وتفتح الشيوعية عيونها جميعا لما يرضى ويسخط على اللهواء •

وان الشيوعية لتفقد نصف وسائلها على الأقل اذا شاء الساسة الذين يبحثون اليوم عن مكافحتها ١٠٠٠ وانهم ليشاءون ويستطيعون ، فهل يفعلون ؟ » •

ويحلل جارودى عنصر الالحاد في الماركسية وعداوتها للدين في كتابه الشهير « ماركسية القرن العشرين » ، ذلك أن الالحاد الماركسي لا يعتبر الدين خديعة فحسب ، اصطنعها المستبدون ، أو مجرد وهم ولده الجهل ، كما يزعم الماركسيون ، بل أن ماركس وأنجاز ، يزعمان أن الأديان هي في وقت واحد « انعكاس لشقاء فعلى واحتجاج على هذا الشقاء » (١) !!

⁽۱) جارودي ، السابق ، ص ١٤٥ .

أولا _ موقف الاسكلم:

يقول الامام الغزالى الذى اشتهر بحجة الاسلام فى كتابه « المستصفى من علم الأصول »: « ومقصود المشرع من الخلق خمسة ، وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم ، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة ، وهذه الأصول الخمسة وحفظها واقع فى رتبة الضرورات ، فهى أقوى المراتب فى المصالح » ،

واذا راجعنا ما خلفه فقهاء المسلمين من آثار على مستوى كافة المذاهب الفقهية ، لوجدنا أن فقها، المسلمين قد أوردوا هذا الذي قاله أبو حامد الغزالي ، وربما بعبارات مشابهة لعبارات أبى حامد الغزالي ،

والذى نقصده بهذا ، ان كل من انكب على دراسة الشريعة الاسلامية قد وقف على حقيقة مقاصد ومرامى الشارع الاسلامي ، فقد اكتشف كل من اهتم بدراسة هذه الشريعة أنها تتوخى بأحكامها الحفاظ ـ أساسا _ على خمسة أصول هي : الدين والنفس والنسل والعقل والمال •

وقد أطلق فقهاء المسلمين عليها مصطلح « الأصول الخمسة » ، لأنهم اعتبروها بمثابة الأصول أو الدعائم أو العمد التي تنهض عليها الجماعة الاسلامية كما أراد لها الشارع الاسلامي أن يقيم الجماعة الاسلامية على دعائم ثابتة ، ورأى أنه بتوافر هذه الدعائم تقوم الجماعة الاسلامية ، على دعائم ثابتة ، وانه بالحفاظ عليها تستمر في الوجود والتقدم وينصلح حالها في طريق الصلاح والنجاح ،

وبعبارات أخرى ، فان الشارع الاسلامى رأى انه لوجود الجماعة الاسلامية فى أحسن حال ولضمان بقائها « جماعة اسلامية » تسير فى طريق المخير الذى أراده لها وبها فانه لابد من ضمان ما يلى (١):

⁽۱) طارق هجى المرجع السابق ص ٥٣ وما بعدها وقد اعتمدنا على كتابه القيم « المركسية والأدبان ٤ في الجزء التالي لكثنف المخطط الشيوعي ضد الاسلام .

- _ سلامة الاعتقاد لأفرادها من كل اعتقاد فاسد .
- _ سلامة أرواح وأبدان أفرادها من كل عدوان عليها •
- _ سلامة الوحدة الاجتماعية الأساسية في الجماعة وهي الأسرة وحمايتها من كل عدوان يقوض دعائمها ويفرط عقدها •
- _ سلامة عقول أفراد الجماعة الاسلامية من كل آفة تصيب هذه العقول فتجعل أصحابها عالة على الجماعة وتساوى بينهم وبين الحيوانات باعتبار أن العقل هو السمة الميزة للانسان عن سائر الحيوان •
- _ سلامة أموال الأفراد ، حيث أن الاسلام يدعم الملكية الفردية المال وان كان ينظمها تتظيما دقيقا ، فالانسان ينشد لنفسه ولأهله من زوج وأبناء والحوة وغيرهم أهدافا عديدة لا تتحقق عادة الا بالمال ، لهذا فهو يسعى بالعمل المتنوع الأشكال لجمعه ليحقق لنفسه ولأهله الضمان في الحال والمال ، لذا فقد رأى الشارع الاسلامي أن يحفظ حق الناس في مالهم من كل عدوان على هذه الأموال .

تلك اذن الأصول التى أجمع فقهاء المسلمين على وجوب حمايتها وحفظها وصونها ووقايتها من شتى صنوف العدوان والاهدار والاضاعة • اذا ، فقد أوجب على الحاكم المسلم أن يحمى هذه الأصول ، وأعطاه أدوات الحماية وسبل الوقاية والرعاية والصيانة :

- ــ فمن أجل حماية الاعتقاد الدينى السليم حرم التلاعب بالأديان وقرر حد الردة •
- ومن أجل حماية الأرواح والأبدان قرر القصاص في النفس $^{(k)}$ في القتل العمد $^{(k)}$ وفيما دون النفس $^{(k)}$ أي في الجروح $^{(k)}$
- __ ومن أجل حماية النسل قرر حماية الأسرة من أكرر معول يعمل على تقويض دعائمها ونسف أساسها ألا وهو الزنا فقد رأى أن الزنا بين غير المتزوجين دافع محرض على عدم الاقبال على الزواج الذى هو أساس الجماعة الاسلامية لأنه مصدر الأسرة التي لها المكانة العظمى في

التشريع الاسلامي بوصفها الجماعة الأساسية في المجتمع التي تخرج أجيالا مؤمنة صالحة عاملة من أجل خير الجماعة ونفعها • وقد أثبت زمننا هذا أن الزنا قد حقق ما توقعه الاسلام بين غير المتزوجين ، حيث عزف الرجال عن الزواج وصارت المجنمعات الصناعية المتقدمة تعانى معاناة شديدة من مشكلة عدم زواج الملايين من النساء والرجال • أما الزنا بين المتزوجين فهو اعتداء لا مراء فيه على الحياة الزوجية وعلى قدسية العلاقة بين الرجل والمرأة المتزوجين واخلال صريح بما يجب على طرفى العلاقة الزوجية من احترام وصيانة وحفظ •

لذا فقد شرع الشارع الاسلامي حد الزنا ليردع من تخامر عقولهم فكرة الجرم عن اتيانه ، فان أتاه نفر قليل منهم كان العقاب الصارم الذي بنزل بهذا النفر منعا وردعا فعالا للكافة ،

وادراكها ، فماذا يساوى انسان بلا ادراك و تمييز ؟ وأى نفع يعود على وادراكها ، فماذا يساوى انسان بلا ادراك و تمييز ؟ وأى نفع يعود على البشرية من غياب عقول أفراد الجماعة ؟ • • وكم هى أشكال وضروب العدوان التى ترتكب من أفراد ضاعت عقولهم ؟ • • وكم دفعت الأسر ودفع الأبرياء من ثمن باهظ من جراء غياب عقول بعض أفراد الجماعة ؟ • • • لذا كان لزاما أن يحفظ الشارع الاسلامي عقول أفراد الجماعة الاسلامية ، وأن يعقاب بشدة وصرامة على كل ما من شأنه أن يفقدهم تلك السمة التى كرمهم ألله وميزهم بها عن سائر الموجودات الا وهى سمة العقل والادراك والتمييز •

__ ومن أجل حماية المال ، شرع الشارع الاسلامى حدى السرقة والحرابة « قطع الطريق » ليأمن الناس على أموالهم وليتحقق شيوع الاستقرار وذيوع الطمأنينة بين الأفراد ، فلا يضيعون جهودهم فى الاحتراز والحرابة ، ولا توجل قلوبهم خوفا وهلعا من عدوان على ما لهم ولا يضيع عمل عامل ، ولا تحصل يد على مالا تستحق ••

تلك اذن أصول الجماعة الاسلامية كما استخلصها فقهاء المسلمين من كتاب الله ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، تلك هي سبل حماية

هذه الأصول كما وضحها كتاب الله وكما بينتها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشارحة والمتممة والمكملة لكتاب الله •

وقد كتبنا كل هذا لنقول في النهاية أن معيارنا في تقييم المذاهب من وجهة نظر اسلامية انما يختلف عن كل ما كتبه المؤلفون والباحثون المعاصرون عن المذاهب المختلفة وعن موقف الاسلام منها •

فنحن لا نصف مذهبا من المذاهب بأنه مذهب هدام ولا بأنه مذهب بناء استنادا الى رأى شخصى فى هذا المذهب أو ذاك ، وانما نحن نستند الى معيار واضح لا لبس فيه ولا غموض ، معيار نعرضه فى هذا المجال على العقول العربية لأول مرة ، أما هذا المعيار فتلخص فيما يلى :

انه لكى يتيسر للباحث المسلم أن يبت فى طبيعة وكنه مذهب من المذاهب أو دعوة من الدعوات أو تيار من التيارات ، وهل هو مذهب أو دعوة أو تيار بناء أو هدام ، لكى يتيسر له ذلك بشكل قطعى لا يكتنفه غموض ولا تشوبه شائبة ، فان عليه أن يعرض هذا المذهب أو تلك المعوة أو ذلك التيار على الأصول الخمسة للجماعة الاسلامية ، الدين والنفس والنسل والمعقل والمال ، فان وجد هذا المذهب لهذه الأصول حافظا صائنا ، فهو مذهب لا غبار عليه من وجهة النظر الاسلامية ، أما اذا وجده مضيعا ومهدرا لأصلأو أكثر من تلك الأصول، فعليه بداهة أن يصنفه تحتطواء المذاهب الهدامة التى تناقض الاسلام ويناقضها الاسلام ، والتى تسعى لتقويض الاسلام ويسعى هو أبناؤه لدهضها .

وييقى السؤال الهام ألذى يعنينا في هذه الدراسة أن نرصد اجابته للقارىء بوضوح تام :

وماذا عن الشيوعية أو الماركسية ٢

ونجيب بأننا لن نجيب على هذا السؤال بعد كل ما قلنا الا بعرض المذهب الماركسى أو الشبوعى على المعيار الاسلامى الذى بيناه فى هذا المجال لنرى _ بعد العرض _ الجابة السؤال واضحة تقرض نفسها على المنطق السليم غير ذى العوج وعلى العقل المستقيم غير ذى الأمت • •

موقف الذهب الماركسي من أصول المجتمع الاسلامي :

ان المطالعة المتفحصة المدققة لكل ما خلفه دعاة الماركسية وأقطاب دعوتها أمثال كارل ماركس وفردريك انجاز ولينين وتروتسكى وستالين وغيرهم توضح لنا أن موقف الماركسية من هذه الأصول انما مجمل فيما يلى من نقاط:

أولا _ بالنسبة لأصل الدين:

فأن ألماركنية صريحة في موقفها من الدين ، فهي تسميه بأفيون الشعوب وتعتبره مخدرا يتلهى به المظلومون والمستغلون لينسوا الدرك الأسفل الذي فيه يحيون ، كما أن الماركسية لم تخف أبدا أنها تسعى للقضاء على الدين والفكر الديني والمتدينين ، وليس صحيحا بحال من الأحوال أن موقف الماركسية من الدين قد تغير في الوقت الراهن ، ويكفى أن نطالع ما جاء في الجزء الأول من دائرة المعارف السوفيتية التي طبعت منذ سنوات قليلة لندرك هذه الحقيقة ،

فقد جاء في الصفحة السابعة والأربعين من الجزء الأول من دائرة المعارف السوفيتية التي نشرتها وكالة نوعستي للأنباء في موسكو باللغة العربية في منتصف الستينات ما يبي :

« هل يمكن قبول عضوية مندين في الحزب الشيوعي ؟ • • كلا لا يمكن ذلك ، فإن فلاديمير لينين مؤسس الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي كتب في عام ١٩٠٥ يقول « نصر على اعتبار الدين مسألة خاصة فيما يختص بالدولة ولكننا لا نستطيع أبدا أن نعتبر الدين مسألة خاصة بالنظر الى حزبنا » •

وتمضى الدائرة فتقول: « وتعارض الفلسفة الماركسية المادية التى يعتنقها الشيوعيون أساسا الفلسفة المثالية والتعاليم الدينية ولهذا فليس هناك شيوعيون في الاتحاد السوفيتي يؤمنون بالله » ، ثم تكمل دائرة

المعارف السوفيتية حديثها تحت عنوان «كيف تسير الدعاية ضد الدين ؟ » فتقول: « وتحتوى جريدة (العلم والدين) التى تصدر فى موسكو مقالات تثبت ضرر الظلم الدينى وأفلاس الفلسفة الدينية والخطر الأدبى على الثبعب • وتكرس جمعية زنانى جزءا كبيرا من نشاطها واهتمامها للدعاية الالحادية وتنظم محاضرات عامة معادية للدين » •

وتنهى دائرة المعارف السوفيتية كلامها فى هذا الموضوع بقولها : « ويجب أن نوضح أن الأغلبية العظمى من الشعب السوفيتى ملحدون » • هذا ما يقولونه بأنفسهم وعن موقفهم من الدين •

وقد وضح الأستاذ طارق حجى فى كتابه المسار اليه ، ما فعله الشيوعيون مع الدين والمؤمنين به فى كل مكان قيض لهم فيه أن يقبضوا على مقاليد الأمور ، وكيف ترجموا — فى مواقف عملية — موقفهم النظرى من الدين ، عندما أغلقوا دور العبادة وحولوه! الى قاعات للألعاب الرياضية أو مراكز للحرب الشيوعى أو لجمعيات الالحاد العلى أو لمتاحف! قو وعندما جعلوا الدين حائلا يحول بين المواطن المؤمن وبين المناصب العليا والوظائف المرموقة ، وعندما وظفوا رجال الدين والقائمين على التعليم الدينى فى المزارع الجماعية وفى المصانع ٠٠٠ وعندما أعطوا الضوء الأخضر لوسائل اعلامهم الأحادية اللون اتنطلق فى حملات دعائية ضد الدين والمؤمنين مستخدمة أحط وسائل الدعاية العدائية لمتحقق غرضها وتصور الدين بمثابة شر مستطير وصنو ملاحق وملاصــق للاســتغلال والعبودية والظلم والسرقة ا ٠٠ وعلى القارىء أن يقلب صفحات هذا والعبودية والظلم والسرقة ا ٠٠ وعلى القارىء أن يقلب صفحات هذا المجال ،

ثانيا _ بالنسبة لأصل النفس:

حقيقة أنهم لم يدعوا صراحة لازهاق الأرواح والى التقتيل واباحة الأنفس الا أن أعمالهم ــ لا أقوالهم ــ انما تؤكد أنهم أصحاب دعوة كلفت البشرية من الضحايا ما لم تكلفه لها أية دعوة منذ خلق الانسان وحتى يومنا هذا .

ونحيل القارىء الى أعداد جريدة الفيجارو الفرنسية الصادرة ما بين ١٩٠ و ٢٥ نوفمبر ١٩٧٨ ليعرف الحقائق المذهلة عن ضحايا الشيوعية والشيوعيين ،

كما نحيله أيضا الى مقال قيم بعنوان « ضحايا الماركسية المائة وثلاثة وأربعون مليون قتيلا » الذى كتبه فاندر أليست ونشرته جريدة الديلى تلغراف بعددها انصادر يوم الاثنين ١٩ /٣/٣/١٠ •

وباختصار شدید فانه فی حین بلغ ضحایا النظام القیصری فی روسیا ۱۸۲۱ و ۱۹۰۸ م « ۱۹۷۷ » ضحیة فان عدد الذین قتلوا من معارضی لینین ما یین ۱۹۱۷ و ۱۹۲۳ م فقط بلغوا ملیون وثمانمائة وواحد وستون قتیلا « ۱۹۷۸ م ۱۹۲۸ » !!

وقد رجع البروفيسور كوغانوف فى دراسة له الى مصادر سوفيتية نشرت فى جريدة نوفى روسوكى سلوفا فى ١٩٦٤/٤/١٤ م تثبت أن ستة وستين مليون روسى قد أعدموا ما بين ١٩١٧ و ١٩٥٩ م •

كذلك فان دراسة سيرجى جروسو التى نشرت عام ١٩٧٥ م • تثبت أنه يوجد حاليا فقط أكثر من مليونين من الأشخاص فى معسكرات الاعتقال السوفيتية التى وصف الروائى الروسى العبقرى سولجنتسين مأساة الحياة غير الآدمية فى روايته العظيمة « يوم واحد فى حيان ايفان دينيزوفيتش » •

وباختصار فان الدراسات المعاصرة تؤكد أن ضحایا الشیوعیة منذ عام ۱۹۱۷ وحتی الوقت الراهن قد بلغت ۱۶۳ ملیون قتیل منهم ۱۹۱۷ ملیون قتیل فی الاتحاد السوفییتی ما بین ۱۹۱۷ و ۱۹۰۹ م و ملیون قتیل فی نفس البلد منذ ۱۹۰۹ م وحتی الوقت الراهن ، و ۱۹۳۸ ملیون قتیل فی الصین الشعبیة ، و ۳ ملیون قتیل ألمانی علی ید الروس بعد انتاه، الحرب العالمیة الثانیة و ۱۳۷۵ ملیون قتیل فی کمبودیا وحدها ما بین ۱۹۷۰ و ۱۹۷۸ و ۱۹۷۸ و ۱۹۷۸ ملیون قتیل فی آماکن آخری من العالم ،

ثالثا _ بالنسبة لأصل النسل:

فالماركسية تدعو صراحة لبلوغ المرحلة العليا من الشيوعية التى تكون الأموال والنساء فيها على الشيوع ، فلا يختص رجل بامرأة ولا تختص امرأة برجل ، كما أن الدولة هى التى تعنى بتنشئة الأطفال دون أن ينسبو! لأ بمعين أو لأم معينة ٠

واذا راجعا فقط كتاب فردريك أنجلز « أصل العائلة والدولة والمكية الخاصة » لعرفنا رأى المركسيين الحقيقى فى الأسرة وكيف أنهم يرون أن استئثار رجل معين بامرأة معينة انما هو من توابع الملكية الخاصة للمال ، فمالك المال يريد أن يتأكد من ذريته التى سيورثها ماله ، فاذا ألغيت الملكية الخاصة زال مبرر النسب والزواج والأسرة واستئثار الرجل يزوجة خاصة له !! •

رابعا _ بالنسبة لأصل العقل:

النظم الشيوعية توفر الخمر لشعوبها كالماء تماما لتنشغل العقول عن تأمل المأساة التى يرزح أصحابها فيها • ولم يزر زائر البلدان الشيوعية الا ولاحظ الانتشار الكبير للخمور بين شعوبها التى يحسن أن تشرب التنسى المأساة التى وضعها فيها حكامها الشيوعيون •

خامسا _ وبالنسبة لأصل المال:

فلا ينكر أحد أن هدف الماركسية الأكبر هو القضاء على الملكية الفردية للأموال التي يعتبرونها مصدر كل المظالم •

•. •.

وهم يقولون أنه في المرحلة الشيوعية العليا ستنعدم الأموال وستنعدم الملكية الخاصة تماما للمال في كل صوره وأشكاله •

هذا هو موقف الشيوعية من الأصول الخمسة للجماعة الاسلامية : وهدم صريح لثلاثة منها وهدم واقعى ـ وان لم يصرح بذلك ـ للأصلين الباقيين •

وهكذا يقودنا المعيار الاسلامي القاطع والصريح والحاسم الى الجواب القاطع والصريح والحاسم حيث نقف بجلاء على موقف الاسلام من المذهب الشيوعي بوصفه رأى قائمة المذاهب الهدامة ، فهو مذهب يتوخى تقويض وهدم جميع أصول الجماعة الاسلامية ، فلا يسع الباحث المسلم اذن الا أن يدمغ دعوة هذا المذهب بأنها دعوة هدامة تناقض الاسلام وتناقض جورهه وأهدافه ومراميه ، وأنها دعوة يجدر بالباحث والمثقف والدارس المسلم أن يحاربها أشد الحرب وأن يجاهدها أقوى جاهد وأن يناهضها بكل السبل وشتى الوسائل وفي مقدمتها وسيلة العقل الراجع والحجة الساطحة « وجادلهم بالتي هي أحسن – صدق الشر المظيم » .

ثانيا: وجهة النظر المسيحية

أما اذا أردنا أن نقف على وجهة النظر المسيحية من الماركسية فيكفينا ــ دون تطويل ــ أن نلمح للتناقض الجوهرى بين الماركسية والمسيحية حسول « العنف » فبينما نجد أن المسيحية هى دعوة دينية بالمحبة والتسامح وعدم التشاهن والتباغض والتلاعن ، فاننا نجد أن الماركسية ـ على النقيض ـ هى مذهب يدعو جهارا لتطوير الصراع الطبقى ولتنمية شعور الطبقـة العمالية بالمقد الطبقى ، لتزداد وعيا بهذا الصراع وذاك الحقد ، حتى يصل حقدها يوما الطبقى ، لتزداد وعيا بهذا المراع وذاك الحقد ، حتى يصل حقدها يوما الماركسية العمال بأن يقوموا فيها بتحطيم الطبقات الأخرى والاجهاز عليها الماركسية العمل دموى عنيف ، ورا على أقاويل ماركسية بتبدل وجهة النظر الماركسية بضصوص العنف » نحيل أنقراء الى كتاب انجلز « نظرية العنف » الذى ترجم للعربية ونشر في بيروت منذ سنوات قليلة ،

« الحقد والعنف الماركسيين » وعما يكمن فيهما من تناقض وتباعد لكان

ذلك كافيا لكل ذى عقل سئيم ومنطق مستقيم ، ليرى أن الدعوتين ضدان لا يلتقيان ونقيضان لا يجتمعان •

ومع ذلك فما أكثر مواطن الخلاف الجوهرى الأخرى بين السبيحية والماركسية و

فالسيحية دين يؤمن بوجود اله خلق العوالم كلها ، كما أنها دين يؤمن معتنقوه بوجود حياة أخرى ، دين يدعو المؤمنين به للخلود في نعيم هـذا العالم الآخر عن طريق أتباع تعاليم السيد المسيح عليه السلام ، وعن طريق الاقتداء وبالرسل والقديسين ، وما أشد حملة الماركسية والماركسين على هذه المعتقدات ، سواء ارتدت رادء المسيحية أو أي دين آخر ،

والحق الذي يعلمه الذين طالعوا ودرسوا كل ما كتبه ماركس عنا الدين ، أن حملته وان كانت على الدين كفكرة فقد انصبت أيضا وبشكل واضح على المسيحية بالذات فقد استعمل في كتاباته عن السيد المسيح والسيدة مريم والقديسين المسيحيين ورجال الدين المسيحي أهط الأوصاف وأسوأ النعوت وأشد التعبيرات بذاءة ٠

ولا ريب أن «كارل ماركس » لم يستطع يوما أن يرى فى رجال الدين المسيحى الاحلفاء وشركاء للمستغلين « بكسر الغين » والحكام الظالمين • • على شاكلة راسبوتين الذى جاء من بعده •

ومما لا ثبك فيه أيضا أن ماركس في حديثه عن المسيحية والمسيح كان قصير النظر الى أبعد حد ، وكان سوء نيته من وراء قصر نظره هذا ، فقد خلط بين السيد المسيح عليه السلام والمسيحية كديانة وبين شطط البعض من رجال الكنيسة في القرون الوسطى • غالمسيح كان رجلا فقسيرا التف حوله نفر من الفقراء والمظلومين ، كما أنه كان بلا ريب ضد _ لا مع _ أثرياء اليهود في أيامه ••

وما غطه الشيوعيون بالمسيحية والمسيحيين فى روسيا وشرق أوروبا معروف للكافة ، فقد هدموا الكنائس وصادروا أموالها وحولوا أساقفتها وقسيسيها الى عمال بالمزارع الجماعية والمصانع ، وشنوا على الكنيسة ورجالها حربا شعواء الصقوا خلائها بالمسيحية ورجالها أحقر الصفات والسجايا • • وكانت اهانة رجال الدين قصدا مقصودا وراء كل هذا ، عندما حولت الكنائس لمقار لجمعيات الالحاد العلمية ! •

وخلاصة القـول، أن ما بين الدين، أى دين، وما بين الماركسية لا يمكن الا أن يكون هو العداء السافر والرغبة المتبادلة في اجهاز أحدهما على الآخر، وكل تصوير للعلاقة بين الأديان والمركسية على خلاف ذلك هو من قبيل ارتداء الأقنعة على الوجوه لطمس حقيقة النوايا المضمرة حتى يحين الحين ا •

وثيقة هامة تفضح حقيقة النوايا الشيوعية تجاه الدين:

منذ حوالى أربعة عشر سنة أعدت الجهات المعنية فى الاتصاد السوفيتى بمحاربة الدين وثيقة تضمنت توجيهات للشيوعيين فى سائر أرجاء العالم التى لا زال للدين بها قدسيته ونفوذه وتأثيره على نفوس الشعوب ، وبالذات فى البقاع الاسلامية ، وقد تسربت تلك الوثيقة الى أيد غير شيوعية ، فتلقفها الأستاذ طارق حجى وترجمها ونشرها ، ومنها مجلة « كلمة الحق » فى عددها الصادر فى شهر محرم من سنة ١٣٨٧ هر أبريل ١٩٦٧ م » والوثيقة التى أحيطت بقدر هائل من السرية فى الاتحاد السوفيتى ، الا أنها تسربت رغم ذنك ، وثيقة بالعة الخطورة والأهمية ، ولا تحتاج لأى تعليق أو شرح فهى تظهر بنفسها وبوضوح تام بحوانب التكتيك الشيوعى الراهن فى التعامل مع الدين والمؤمنين به فى وقتنا هذا ، ولا سيما فى البقاع الاسلامية والمسيحية فى العالم الثالث ،

تقول الوثيقة الهامة ، الى أبعد حدود الأهمية ، فى مستهلها : « برغم مرور خمسين سنة تقريبا على الاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى وبرغم الضربات العنيفة التى وجهتها أضخم قوة اشتراكية فى العالم الى الاسلام فان الرفاق الذين يراقبون حركة الدين فى الاتحاد السوفيتى صرحوا كما تذكر مجلة « العلم والدين » الروسية فى عددها الصادر فى أول يناير سنة ١٩٦٤ بما نصه : اننا نواجه فى الاتحاد السوفيتى تحديات داخلية فى المناطق الاسلامية وكأن مبادى الينين لم تتشربها دماء السلمين » •

«وبرغم القوى اليقظة التى تمارب الدين فان الاسلام ما يزال يرسل اشعاعا وما يزال يتفجر هوة بدليل أن ملايينا من الجيال الجديد في المناطق الاسلامية يعتنقون الاسلام ويجاهرون بتعاليمه مع أن قادة الشعوب ومفكرى المذهب لا يعيب عنهم خطر يقظة الاسلام في المناطق الاسلامية بالاتحاد السوفيتي الذي أشار في « دائرة معارف الثقافة الشيوعية » الى خطر الاسلام •

وتمضى الوثيقة في غيها فاضحة مكنون ما يضمره الشيوعيون (جارودى)

للأديان بوجه عام وللاسلام بوجه خاص ، وهو ما يثبت زيف دعسوات الائتلاف التي يطلقونها ، تمضى الوثيقة قائلة :

« ومن هذا المخطط أن يتخذ الاسلام نفسه أداة لهدم الاسلام نفسه ، وقد قررنا ما يلى :

- إ __ مهادنة الاسلام لتتم الغلبة عليه ، والمهادنة لأجل حتى نضمن أيضا
 السيطرة ونجتذب الشعوب العربية للاشتراكية .
- ٢ ــ تشويه سمعة رجال الدين والمكام المتدينين واتهامهم بالممالة
 للاستعمار والصهيونية •
- ٣ ـ تعميم دراسة الاشتراكية في جميع المعاهد والكليات، والمدارس في يجميع المراحل ٥٠ ومزاحمة الاسلام ومحاصرته حتى لا يصبح قوة تهدد الشتراكية ٠

وتقــول الوثيقـة:

- الحيلولة دون قيام حركات دينية في البلاد مهما كان شأنها ضعيفا ،
 والعمل الدائم بيقظة لمحو أي انبعاث ديني ، والضرب بعنف لا رحمة فيه لكل من يدعو الى الدين ولو أدى الى الموت .
- ومع هذا لا يغيب عنا أن للدين دوره الخطير في بناء المجتمعات ولذا وجب محاصرته من كل الجهات وفي كل مكان ، والصاق التهم به ، وتنفير الناس منه بالأسئوب الذي لا ينم عن معاداة الاسلام .
- ٨ ــ تشجيع الكتاب الملحدين واعطاؤهم الحرية كلها في مهاجمة الدين والشعور الديني والضمير الديني والعبقرية الدينية ، والتركيز في الأذهان أن الاسلام انتهى عصره ، وهذا هو الواقع ، ولم يبق منه اليوم الا العبادات الشكلية التي هي الصوم والصلاة والحج وعقود المزواج والطلاق وستخضع هذه العقود للنظم الاشتراكية .

أما الصوم والصلاة فلا أثر لهما في الحياة الواقعية ولا خطر منهما ، أما الحج فمقيد بظروف الدولة ويمكن استخدام الحج في نشر الدعوة الاشتراكية بين الحجاج القادمين من جميع الأقطار الاسلامية ، والحصول على معلومات دقيقة عن تحركات الاسلام لنستعد للقضاء عليها •

• أ ـ قطع الروابط الدينية بين الشعوب قطعا تاما ، واحسلال الرابطة الاثنتراكية محل الرابطة الاسسلامية التي هي أكبر خطر على اثبتراكيتنا العلمية •

١٠ ان غصم روابط الدين ومحو الدين لا يتمان بهدم المساجد والكنائس ، لأن الدين يكمن في الضمير ، والمعابد مظهر من مظاهر الدين انخارجية ، والمطلوب هو هدم الضمير الديني ، ولم يصبح صعبا هدم الدين في ضمير المؤمنين به بعد أن نجحنا في جعل السيطرة والحكم والسيادة للاشتراكية ، ونجمنا في تعميم ما يهدم الدين من القيصص والمسرحيات والمحاضرات والصحف والأخبار والمؤلفات التي تروج للالحاد وتدعو اليه وتهزأ بالدين ورجاله وتدعو العلم وحده وجعله الاله المسيطر ،

11_ مزاهمة الوعى الديني بالوعى العلمي ، وطرد الوعى الديني بالوعى العلمي .

١٢ خداع الجماهير بأن يزعم لهم أن المسيح اشتراكى وامام الاشتراكية فهو فقير ، ومن أسرة فقيرة ، وأتباعه فقراء كادحون وقد دعا الى محاربة الأغنياء •

« وهكذا يمكننا استخدام المسيح نفسه لتثبيت الاستراكية لدى المسيحيين •

ونقول عن محمد : أنه امام الاشتراكيين فهو فقير وتبعه فقراء وقد حارب الأغنياء المحتكرين والاقطاعيين والرابين والرأسمالين

وثار عليهم وعلى هذا النحو بجب أن نصور الأنبياء والرسل ، ونبعد القداسات الروحية والوحى والمعجزات عنهم بقدر الامكان لنجعلهم بشرا عاديين حتى يسهل علينا القضاء على الهالة التى أوجدوها لأنفسهم وأوجدها لهم أتباعهم المهووسون •

- 17 فى القرآن والتوراة والأناجيل قصص ، ولئلا نصطدم بشعور الجماهير الدينى ونثيرهم ضد الاشتراكية يجب أن نفسر تلك . القصص الدينية تفسيرا ماديا اشتراكيا ، فقصة يوسف على سبيل المثال _ يمكن تفسيرها تفسيرا ماديا تاريخيا ، وما فيها من جزئيات يمكن أن نفيد منها فى تعبئة الشعور العام ضد الرأسماليين والاقطاعيين والنساء الشريفات والعكام الرجعيين •
- ١٤_ اخضاع جميع القوى الدينية للنظام الاشتراكي وتجريد هذه القوى تدريجيا من وجدانها ٠٠٠ النخ ٠
- 10- اشغال الجماهير بالشعارا تالاشتراكية وعدم ترك الفرمسة لهم للتفكير واشغالهم بالأناشيد الحماسية والوطنية والأغانى الوطنية والشئون العسكرية والتنظيمات العزبية والمحاضرات المذهبية والوعود المستمرة برفع الانتاج ومستوى المعيشة والقاء مسئولية التأخر والانهيار الاقتصادى والجوع والفقر والمرض على الرجعية والاستعمار والصهيونية والاقطاع ورجال الدين •
- ١٦ تحطيم القيم الدينية والروحية باظهار ما فيها من خلل وعيوب وتخدير للقوى الناهضة •
- ١٧٠ الهياف الدائم ليل نهار وصباح ومساء بالثورة ، وأن الثورة هي المنقذ الأول والأخير للشعوب من حكامها الرجعيين والهتاف للاشتراكية بأنها هي الجنة الموعودة بها جماهير الشعوب الكادحة •
- ١٨ نشر الأفكار الالجادية ، بل نشر كل فكرة تضعف الشجور الديني

والعقيدة الدينية ، وزعزعة الثقة في رجال الدين في كل قطر السلامي •

١٩ لا بأس من استخدام الدين لهدم الدين ، ولا بأس من أداء الزعماء الاشتراكيين بعض الفرائض الدينية الجماعية للتضليل والخداع على ألا يطول زمن ذلك لأن القوى الثورية يجب ألا تظهر غير ما تبطن الا بقدر ويجب أن تختصر الوقت والطريق لتضرب ضربتها غالثورة قبل كل شيء هدم القيم والمواريث الدينية جميعها ه

١٠ الاعلان بأن الاشتراكيين يؤمنون بالدين الصحيح لا بالدين الزائف الذي يعتنقه الناس لجهلهم ، والدين الصحيح هو الاشتراكية والدين الزائف هو الأفيون الذي يخذر الشعوب لتنساق وتسخر لخدمة طبقة معينة ، والصاق كل عيوب الدروايش وخطايا رجال الدين بالدين نفسه ، وترويج الالحاد واثبات أن الدين غرافة ، والخرافة عكمن في الدين الزائف لا الدين الصحيح الذي هو الاشتراكية •

٢١ تسمية الاسلام الذى تؤيده الاشتراكية لبلوغ مآربها وتحقيق غاياتها بالدين الصحيح والدين الثورى والدين المتطور ودين المستقبل حتى يتم تجريد الاسلام الذى جاء به محمد من خصائصه ومعالمه ، والاحتفاظ منه بالاسم فقط ، لأن العرب الا اللقيل مسلمون بطبيعتهم ، فليكونوا الآن مسلمين اسما اشتراكيين فعلا ، حتى يذوب الاسلام لفظا كما ذاب معنى •

٢٢ الأخذ بتعاليم لينين ووصيته بأن يكون الحزب الاستراكى خصما عنيدا للدين ، ويحارب فكرته في المنتظر ما بعد الموت بالفردوس الذي تحققه الاشتراكية العلمية التي تحقق العدالة الاجتماعية التي هي الفردوس ، واذا وجدنا من الضروري مهادنة الدين وتأييده ، وجب أن تكون المهادنة لأجل ، والتأبيد بحذر على أن يستخدم التأييد والمهادنة لحو الدين .

وتقول الوثيقة:

٥٧_ الاهتمام بالاسلام مقصود منه _ أولا _ استخدام الاسلام في تحطيم الاسلام ٠٠ ثانيا _ استخدام الاسلام للدخول في شعوب العالم الاسلامي ٠

ومع أن القوى الرجعية في العالم العربي والاسلامي قوى يقظة الا أن الخطة التي اتخذناها ستضعف هذه القوى حتى تجردها من عناصر احتفاظها بمقوماتها فتذوب على مر الأيام •

7٦ وباسم تصحيح المفاهيم الاسلامية وتنقيتها من الشوائب وتحت ستار الاسلام يتم القضاء عليه بأن نستبدل به الاشتراكية •

وتفصح الوثيقة عن أسرار رهيبة فتقول :

وفى المحيط العربى كله يعمل أنصارنا بجد وقد استطاعوا أن يثبوا الى المناصب الرئيسية فى الوزار!ت والادارات الجكومية والشركات والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية ، ووفقوا حسب تعليماتنا للسيطرة التى وان كانت فردية الا أن توفيقهم للوصول الى تلك المناصب يعد من الأعمال الناجحة ، كما أن لقاء الأفراد بعضهم مع بعض يجعل اللقاءات في صورة اللقاء الجماعى •

« ولئن كان من المتعذر جدا توقيت التحرك الا أن التمهيد له ينتهى في وقت غير بعيد ، ويزداد على مر الأيام عدد أنصارنا الذين يتولون المناصب ذات الأثر الفعال في خلق الجو الصالح للتحرك الثوري وحسب تعليماتنا لهم جعلوا من الوزراء والمسئونين الذين لا يشك في اخلاصهم نلنظام الرجعي الحاكم المعادي للاشتراكية واجهة يقفون وراءها ويعملون تحت ستارها ما يريدون في أمن وطمأنينة مع اليقظة والحذر دون أن تحوم حولهم الشكوك لأنهم يتسترون بأولئك المسئولين •

وأنصارنا منبثون في كل الوزارات والادارات والقطاعات الحكومية

والعسكرية والشعبية والرسمية والأهلية واتسعت دائرة نفوذهم التي تزداد اتساعا ويزداد تغلغلهم على مر الأيام ٠

كانت تلك كلمات الوثيقة التى تفضح حقيقة آراء الشيوعيين ونواياهم تجاه الدين ، وهى حقيقة ما اكتت تحتاج للدليل عليها فما من دارس للشيوعية متابع لأصولها ومسيرتها فى مجال التطبيق والنشاط العلمى الا ويدرك للصدراك ادراكا كاملال تلك الحقيقة بكل أبعدها ولكن ركون الشيوعيين للأقنعة وأخذهم للمنه السنوات الأخيرة لفى اعلان غير ما يضمرون ، واسترسالهم فى الكذب والبهتان ، مع الاعادة والزيادة المعهودة فى فنون الدعاية الشيوعية (۱) ، كل هذا أوجد جيلا جديدا أمكن خداع بعض اليافعين فيه وغير ذوى الدراية والتعمق فى معرفة الشيوعية ، فتسربت لعقول هؤلاء قناعة لا أساس لها من الصحة بأن من المكن التعايش بين الدين وخاصة الاسلام وبين الاشتراكية ! • وهى قناعة تبرهن على نجاح المخطط الشيوعي الراهن فى خداع وتضليل البعض ليساق فى النهاية الى حتفه ، وأى حتف أسوأ وأحط هوانا وعبودية وذلا وفقرا ونكدا من حتف الشيوعية ؟ !! •

ويذهب جارودى الى أن القـول بأن الدين فى كل زمان ومكان ، يصرف الانسان عن العمل والكفاح ، يتناقض تناقضا صارخا مع الواقع التاريخى •

⁽۱) راجع الفصل المعنون بـ « الدعاية الشيوعية مى ميزان الحقيقية » مى كتاب الاستاذ طارق حجى : « المكار ماركسية مى الميزان » .

الباب الثالث جسسارودي

والمقيقسة كلهسا

يتُصدر جارودى كتابه الشهير Toute la Véritè أو « الحقيقة كلها » بقول القضاة في قضية دريفوس » •

« ان السؤال لن يطرح » • وعمد ذلك طرح السؤال وأجاب عنه التاريخ » •

وكأنما أراد جارودى بهذا القول أن يجسد موقفه تجاء المركسية والحزب الشيوعى ، ولا سيما بعد خلافاته مع قيادة الحزب الشيوعى الفرنسى وهى الخلافات التى انتهت الى اقصائه عن المكتب السياسى وعن اللجنة وأخيرا فصله من الحزب الشيوعى ، ولم يعد الأمر الآن هو التساؤل عن حقيقة هذا الخلاف كما أثير فى ذلك الحين ، وانه ابتعد عن الماركسية اللينينية ، واتهم بأنه بات يمينيا وتحريفيا وانقساميا ، وانما أصبح الأمر يمثل خطوة من خطوات التطور الفكرى فى رحلة جارودى نحو النور ، والتى انتهت به الى اعتناق الاسلام ، واكتشاف عبقرية الفكر الاسلامى ، التى دفعت به فى محنته مع الحزب الشيوعى الى أن يقول : « ان الواجب الذى يقع على كاهلنا هو انقاذ الرجاء ، ولن يتحقق لنا ذلك بالسكوت ، بل بالوضوح » وقد مثل هذا القول مفتاح حياته كلها ، ولذلك ننظر الى الوثائق الني نشرها في كتابه على أنها تتضمن أجزاء من رحلة البحث عن الحقيقة كلها ، ولذا قال جارودى :

« أعرف أن رفاقا كثيرين سوف يتألمون جين يقرأون هذه الأشياء

وانى لأفهمهم . • أيحسبون أنى لا أعيش نفس التمزق ونفس المأساة ؟ لكن اذا كنا لا نريد أن نيأس من المستقبل ، وأن نفاجاً من جديد بمثل صباح براغ ، فيجب ألا نهدهد أنفسنا بالأوهام أو الأساطير أو الأكاذيب •

« ان ثقة جديدة في القضية التي هي مبرر حياتنا لا يمكن أن تبنى الا على الحقيقة • • ليس السكوت مساعدة • ان هذه السكوت ينتهى لأن يشابه اليأس » •

وحينما نقدم في هذا الباب وثائق « الحقيقة كلها » ، فاننا نستهدف أمرين :

الأول: التعرف على مرحلة هامة من رحلة جارودى نحو البحث عن الحقيقة • • والتي انتهت به الى الوصول الى نور الاسلام •

الثانى: كشف حقيقة الشيوعية بوثائق لا تتأتى الا عن طريق فكر مستنير كفكر جارودى يؤيد موقف الاسلام من الشيوعية والمذاهب الهدامة •

ذلك أن المقائق الأساسية للمذهب المادى تؤكد أن الحق والعدل الأزليين ليسا فى ذاتهما قيمة موضوعية ولا هما جديران بأن يسعى وراءهما الانسان ومثلهما بطبيعة الحال كل ما يتصل بهما من نبوات وعقائد ، ومشاعر دينية أو فنية : انما الحقيقة الأزلية الواحدة عند أصحاب هذا المذهب هى الاقتصاد •

وهكذا ينفون الدوافع النفسية الأصيلة ، فضلا عن الدوافع الروحية ، وهم لا ينفون وجودها في الجدل النظرى ، ولكنهم يقولون أنها ليست شيئا قائما بنفسه ، ولا صادرا بصورة تلقائية من الكيان البشرى ذاته ، وانما هي نتائج للأحوال الاقتصادية ، وتلك هي القوة الوحيدة القائمة بذاتها ، خارجة عن نطاق الاسان ، ومؤثرة فيه من الخارج (١) ، والرحلة

1 12

⁽١) محمد تطب: الانسان بين المادية والاسلام ، ص ٥٨ .

الفكرية لجارودى تميزت بالرؤيا النقدية للحضارات ، على أفضل نحور تتميز به العقلية المفكرة في كل العصور ، ولذلك لم يبلغ مفكر من المفكرين في هذا العصر الذي نعيش فيه مكانة جارودى ونفوذه الفكري فقد تخطى جارودى مرحلة كسب المعرفة في ظل الفلسفات التقليدية ، لأنها معرفة أشبه بالحلية التي تضاف الى الشيء لتكسبه رونقا فيصلح للزينة ، الى مرحلة من المعرفة تريد تغيير العالم ، وتجعل للانسان دورا في هذا التغيير ، حيث لا تطلب المعرفة لذاتها ، ولا لأنها تفضى الى الاستنارة وتبديد الجهل ، بل لأنها تحقق الا من حين ترسى قواعدنا على شاطىء اليقين ،

ويمكن تلخيص الرحلة الفكرية لجارودى اذن في أنها بدأت من شاطئ « اللا يقين » وانتهت الى شاطئ « اليقين » ، ومر بين الشاطئين بأمواج تدفعه أحيانا الى الاقتراب من « اليقين » ثم بأخرى تحاول اقصاءه عن هذا الشاطئ المنشود ، فاتسم فكر جارودى منذ بداية اشتغاله بالقضايا العامة في الثلاثينات ، بأنه مفكر صاحب موقف وعقيدة ، ووصل الى الاسلام العظيم بعد رحلة فكربه طويلة اتسمت بالعناء والجهاد الفكرى المتصل ،

ومنذ بداية حياته الفكرية كان جارودى من أشد أعداء النازية ولم يكن عداؤه سياسيا فقط ولم يكن انكارا للفكر الألمانى أو كراهية للشعب الألمانى ، وانما كان عداء لنظرية ضيقة الأفق هى « قرية الملامح » Proviciale التى تزعم انقسام الانسانية ، وتفارت الحضارات وتقسيم العالم على أساس اللون والعنصر ، ذلك أن النازية الضيقة الآفاق والتى دججت بالقوة ، والسلاح ، وبالحرب العصرية الشاملة ، كانت سببا في خراب أوربا ، وتعاسة أجيال كاملة فأشعلت حربا مدمرة ، وبقدر ما هدمت وقتلت ودمرت فقد هزت الضمير الأوربى والانسانى ،

وغى مواجهة هذا الخطر الكبير على الانسانية ، كان موقف جارودى المقاوم والمجاهد يمثل المفكر حينما يصبح ضميرا للانسانية ، فقد فطن

جاروى الأخطار تلك الأيديولوجية العنصرية ، وبلغ على مدى ثلاثين عاما مكانة «أرنولد توينبى» و «جان بول سارتر» و «جورج برنارد شو» ، وزاد من مكانته أنه تميز بموسوعية نادرة ، ونضال من أجل أفكاره وحساسية خاصة لأحداث عصره وجيله ، وصراحة وصرامة في الفكر •

وبدأ جارودى فى تناول فضل المضارة العربية على الثقافة الانسانية منذ عام ١٩٤٧ و واهتم مبكرا بابن خلدون وبالفكر الاسلامى خلال ثلاثين عاما متصلة وليس هناك شك فى أن تحليله لنهضة الاسلام وفكره وفنونه وقوانينه ، يجعله من أكثر المفكرين العالميين الذين أنصفوا الاسلام، وقد تنفوق على الأكثر من هؤلاء ، لأنه توفر بدأت وجهد على دراسة الاسلام تاريخا ، وفنا ، وشعرا ، وقيما ، واجتماعا ، وقانونا ، ومعمارا ، فاذا به يخرج من مقارنات عميقة فى الملكية والقانون والزكاة والحياة الاحتماعية والصلاة والفن ماكتشافات جديدة علما توفرت لكاتب معاصر كتب عن الاسلام بأية لغة من اللغات ،

وخلال رحلته الفكرية النقدية الطويلة الخصبة النبيلة ، انتهى جارودى الى أن الرأسمالية لابد أن تؤدى الى الاستهلاك والاحتكار والتأف ، وأن الشيوعية لابد أن تنتهى الى انتهاك الحرية واهدار الآدمية الانسانية .

ولقد كلفته تلك النزعة للحرية واحترام تفرد الانسان ومواقفه النقدية للنظام الشمولى قرارا بفصله من الحزب الشيوعى الفرنسى الذى كان من اشير أعضائه ، بل كان المفكر الذى تعتمد عليه النظرية الماركسية بعد ماركس وأنجلز ، كما تقدم ٥٠ ومنذ ذلك الوقت فان الكوادر البيروقراطية المتشددة أيديولوجيا فى ذلك الحزب لا تكف عن الهجوم عليه ووصفه «بالمراجعة والانشقاق » وقبل أن نواصل فى فصول الكتاب دراسة فكره الاسلامى الذى توصل اليه بعد رحلة عناء ، جعلته يؤمن أن الاسلام هو الدين الانساني الذى أسس حضارة قامت على الحرية ، وان عصرا جديدا للانسانية سوف يبدأ اذا تنازل الأوربيون عن أسطورة تفوق الحضارة الأوربية ، والغاء بقية الحضارات ٥٠ واذا خرج الأوربيون من نظرتهم القروية الضيقة ، للاعتراف ببقية الحضارات ، ولذلك وجدنا «جارودى »

فى كتبه الأخيرة عن «حوار العضارات » و « ووعود الاسلام » و « الاسلام فى مستقبلنا » يصل الى قمته ، تلك القمة التى أدت به الى شباطى اليقسين ، والذى بلعه بعد رحلة طويلة من الفكر والمثابرة والعناء والبحث والنقد حتى أصبح هذا المفكر العظيم واحدا من الأعلام الشامفة المستنيرة وضميرا لانسانية الانسان .

وفي هذا الباب ، نعرض لمرحلة من هذه الرحلة الفكرية ، تمثل أخطرها جميعا ، ونعنى مرحلة نقده الماركسية وفصله من الحزب الشيوعي ، كما نقدم وثائق من « الحقيقة كلها » ، لأن هده المرحلة تؤكد ما يهذهب اليه الفكر الاسلامي من أن الشيوعية لا تلتقى مع الأصول الانسانية الاسلامية ، ولن يستطيع مجتمع مسلَّم يملك النظام الأفضَّل ، أن يعدل عنه إلى الشيوعية أو غيرها من النظم كالرأسمالية والاشتراكية المادية ، لأن الله تجالى يقول في كتابه المسكريم : (ومن لم يحسكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) « المائدة ٤٤ ، ولم يقل : ومن لم يحكم بمثل ما أنزل الله أو بشبيه ما أنزل الله (١) ولذلك يرفض الاسلام ما يروجه الشيوعيون. مؤخرا من أن لا تعارض بين أن نكون شيوعيين ثم نظل مسلمين فالشيوعية قائمة على فلسفة مادية بحتة ، لا تؤمن الا بما تراه الجواس فقط وكل مالا تدركه المحواس مهو خرامة لا ووجد لها ، أو على إلاقل شيء سالقط من الجساب . يقول انجلز « ان حقيقة العالم تنحصر في هاديته » ويقول الماديون : « ان العقل ما هو الا مادة تعكس الظواهر الخارجية » ويقولون كذلك أن ما يسمونه الروح « ليست جوهرا مستقلا وانما هي من نتاج المادة » وهكذا تعيش الانسانية مع الشيوعية في جو مادى خالص يسخر بالروهانيات ويعتبرها حقائق غير علمية • والعقيدة الاسلامية تأبي أن تنحصر في هذا المعيط المبيق الذي يعبط بكرامة الانسان ، ويحوله من كائن رفيع يسير على الأرض بجسمه وهو يتطلع الى السماء بروحه وفكره، الى كائن مادى حيوانى كل همه اسباع « المطالب الأساسية » التي حددها كارل ماركس بالغذاء والمسكن والأشباع الجنسى !

⁽١) محمد تطنب : شبهات حول الاسلام ص ٢١٠٠٠

« ولا يقولن أحد : أننا غير مقيدين بهذه الفكرة المادية ، ولا ملزمين بها اذا أخذنا الاقتصاد الشيوعي ، اذ ستظل لنا عقائدنا ، والهنا ورسلنا وروحانيتنا ، والاقتصاد منفصل عن كل هؤلاء ، لا يقولن ذلك أحد ، لأن الشيوعيين أنفسهم هم الذين قرروا استحالته ، اذا ربطوا ربطا وثيقث بين النظام الاقتصادي وبين المقائد والأفكار والفلسفات المصاحبة له ، على أساس أن ب النظام الاقتصادي هو الذي ينشىء المقائد والأفكار والفلسفات ، واذن فلا يمكن لنظام اقتصادي قائم على فلسفة مادية صريحة والفلسفات ، واذن فلا يمكن لنظام اقتصادي قائم على فلسفة مادية صريحة (كما يقرر انجاز وماركس) أن ينشىء فلسفة روحية أو ينسجم مع فلسفة روحية » (١) ،

وفي تقديرنا أن هذا الفهم هو الذي أدى بالفكر النقدى عند جارودى الى البحث في أفضل صيغ الاشتراكية قبل أن يهتدى الى الاسلام ، ولا سيما قيامه بمحاولة وضع علاقات جديدة بين الاشتراكية والمسيحية ، أذ لاحظ جارودى أن الماركسيين والمسيحيين في حاجة الى حوار متبادل « حيث لا تستطيع بلدان أوربا وأميركا الشمالية أن تزعم بعد الآن أنها المراكز الوحيدة للمبادرة التاريخية والخالقة الوحيدة للقيم ، ولسوف يتخذ هذا الحوار طابعا « اقليمين » _ اذا لم يتحول الى « حوار حضارات » مع آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية » (٢) ،

يقول جارودى: « أن أحد شروط النجاح الرئيسية لهذه اللقاءات الانسانية هو أن يعرف كل واحد كيف يعترف بالآخر ويفهمه وأن يميز في الوقت نفسه في الآخر ما هو في حالة الولادة ، وما يتغير وما هو جديد .

« وانه لما يناقض مبادىء الماركسية الأساسية أن نقبل على هذه المشكلة ونحن نتحدث عن « المسيحيين » على الخصوص وعن « الدين » على الخموم : لأنه اذا كان صحيحا كما يفكر الماركسيون أن الوجود هو

٠ ٢١٢ ص ٢١٢ ٠

^{·(}٢) روجيه جارودي : « من سبيل نموذج للاشتراكية » .

الذي يقرر الوعى وليس العكس ، فانه لا يمكننا الحديث اذن عن « الدين » كما لو كان نوعا من الفكر الأفلاطونية التي لا تتعرض لأى تعير في جميع الأزمان وفي جميع الأماكن ، ولا عن المسيحيين كما لو كانوا كتلة متجانسة يتقاسمون كائنة ما كانت طبقتهم الاجتماعية ، وبلدهم ، وعصرهم _ تصورا للعالم والله متماثلا بصورة جازمة •

سن « ان المسيحة في فرنسا عام ١٩٦٨ هي حقيقة معقدة جدا حيث يتجاور عويختلط أحيانا بصورة لا خلاص منها ، الماضي والمستقبل ، الأفضل والأسوأ ، وكما رأى ماركس انعكاس عالم والاحتجاج ضده ٠

« وانه ليخص الماركسيين أن يحاولوا غك رموز هذه الحقيقة أن يعيزوا ماهو من بقايا الماضى الذى في سبيله الى التلاشى ، وما هو تعبير عن النتاقضات الحالية ، الفعلية ، وأيضا ما هو في سبيل الولادة والنشوء ،

« أن في الكنائس ، بادىء ذي بدء ، ثقلا رهيبا من الماضي : رابطة أصبحت نقليدية منذ خمسة عشر قرنا مع الطبقات السائدة ، مع جمسيع الالتواءات الأيديولوجية الناجمة عن هذا الموقف الطبقى والساعية الى تبزيره • ان التعليم السيحى الذى ارتبط بالتتالى مع قسطنطين الى نظام عبودى ، ثم مع الأمراء في العالم الاقطاعي ، ومع البورج وازية تحت لواء الرأسمال ، يحمل طابع الأيديونوجيات المتتالية التي كانت تسعى ألى تبرير التمايز الى طبقات وتراتباتها ، وابه لذو مغزى على سبيل المثال أن الأيديولوجيات السيحية قد استضافت في جميع العصور الفلسفة الإغريقية المتطفلة عليها بحبث انتهى الأمر الى اعتبار المفهوم الأفلاطوني عن خلود النفس ، والازدراء الأفلوطيني للأرض والأجسام والرغبة في الانفصال عنها ، والتراتب الأرسططالي للكائنات وجميع الأمور المتناقضة بصورة جذرية مع الايمان التوراتي بوصفها جـزءا مكملا من التصـور المسيحى للعالم • وحين ترجمت هذه الأشياء الى العقيدة الشعبية فقد اتخذت شكل تعاليم ومواقف عادت بفائدة هائلة على الطبقات السائدة: ازدراء هذا العالم الذي لم يكن الشيء الأساسي ، لأن الشيء الأساسي هو التهيؤ للحياة الأبدية في عالم . آخر بالاستسلام لعذابات هذا العالم

الأرضى ، وتمثل الارادة فى تحويل العالم الواقع فى الخطيئة ، هذه المخطيئة المخوذة المخطيئة التى كانت تتعرّف على أنها كبرياء وعصيان ، والكنيسة المأخوذة بعين الاعتبار كغاية فى ذاتها وكصورة مسبقة عن الديار السماوية » (١) •

ويذهب جارودى الى أن « قيام النظام الرأسمالي في عصر النهضة وتطور العلوم ، والنزعة الفردية ، والدول القومية ، ارتبط به ظهور موضوعات جديدة احتفظت بعسم كبير من ميراث الاقطاع الأيديولوجي والأخلاقي ، وكانت هذه الموضوعات مرتبطة بمتطلبات البورجوازية وأيديولوجياتها: التشديد بصورة وحيدة الجانب على التقوى الشخصية على حساب المسئوليات الاجتماعية وتصور عن الله وأسراره غرضه سد الْمُرْ اعْأَلْتُ المؤقَّلَةُ التي يعاني منها عالم في ملء التوسع ، وارتباط الكنائس مع الدول « القومية » وعقيدة « اجتماعية » قائمة على أساس الفكرة القائلة ان الملكية الخاصة ، بما في ذلك منكية وسائل الانتاج ، هي أفضل ضمانة لكرامة الشخص الانساني (٢) • ويخلص جارودي من ذلك الى أن « هذه الأيديولوجية بأسرها هي انعكاس ابنيات اجتماعية وتاريخية محددة ، وتضنع من الدين أداه النزعة المحافظة « أغيونا للشعب » كما كان ماركس يقول في أيام الحنف المقدس ، وكما يظل هذا صحيحا اليوم حيث لا تبرح مسيحية من هذا النمط الاقطاعي هي الاتجاه المتعلب للتراتب في البرتغال ، وأسبانيا ، وأميركا اللاتينية ، وحتى ايطاليا وحيث شكل رأسمالي أكثر نموذجية للتكيف مع سلطة الطبقات السائدة يتظاهر في الولايات المتحدة ولمي فرنسا • انه لأمر ذو مغزى أيضا أن أسقفية بعض البلدان الاشتراكية ، وأسقفية بولونيا بصورة خاصة ، قد مثلت في المجتمع المقدس للفاتيكان في الجناح المتوجه كليا نحو الماضي (٣) ويقول جارودي :

« نحن لا نستطيع ، اذ نعانج علاقات الشيوعيين مع السيعيين أن

⁽۱) نفسه ، ص ۲۶۲ .

⁽۲) نفسه ، ص ۳۶۲ .

⁽٣) نفسه ، ص ٣٤٣ .

نغض النظر عن هذه الحقيقة الاجتماعية ، ألا وهى الدور المحافظ اجتماعيا الذي يلعبه التراتب الكاثوليكي في غالبيته الساحقة •

« ونحن لا نستطيع كذلك أن نعمض عيوننا عن ولادة الجديد ، عن التحولات العميقة الجارية في الجماهير السيحية ، هذه التحولات التي تجد تعبيرا لها ، واعيا وموسعا ، في تفسير اللاهوتيين الكبار ، وتعبيرا ملطفا لكنه أكيد في فئة من الأكليروس ، في التراتب نفسه ، حتى أنها لتنمس في ذلك نصوص المجمع المقدس وبعض مواقف البابوات (١) •

ولقد استخلص جارودی من قبل (٢) ، أسباب بدایة التمزق فی الفکرة الشیوعیة وتطبیقها فی النصف الثانی من القرن العشرین ، وظواهر النماذج المتعددة للاشتراکیة ، وانتحرر الوطنی للشعوب التی کانت مستعمرة حتی ذلك الحین ، ونمو العلوم والتصفیات بنسق لم یسبق له مثیل ، وذهب جارودی فی مرحلة من مراحل هذه الرحلة الفكریة الی التوفیق بین المسیحیة والشیوعیة ، حیث ذهب الی أن « کارل بارث » یشکل « بدایة زمنیة فی تجدد اللاهوت البروتستانتی » و وکانت الصدمه قاسیة کان کارل بارث یؤکد التسامی فی شکنه الأکثر جذریة ، وکان یعید قالی الأذهان الشیء الأساسی فی رسالة اوثر التی طمستها اللبیرالیة ،

« وبعد ما اتخذت الأبعاد حيال المعاولات الرامية الى ارجاع المسيحية الى عقلانية صغيرة أو انسية مجردة ، فقد كانت الرحلة الثانية تقوم فى ملاقاة محتوى الايمان من جديد ، فى المجابهة الكيركجاردية « بين الذاتية والتسامى ، أن هذه اللحظة « الوجودية » للاهوت البروتستانتى مسبوقة عند « بولتمان » بمسعى منهجى يعمل على « نزع لاهوتية » الإيمان ، يعنى مسبوقة بجهد يرمى الى استخلاص ما هو أساسى فى الايمان من الأشكال الثقافية أو المؤسسية التى اتخذها الدين فى مختلف مراحل

⁽۱) نفسه ، ص ۳٤۳ ۰

⁽٢) روجيه جارودي : من الحرمان الى الحوار ، منشورات بلون ، ١٩٦٥

تاريخه • ولقد قادت هذه الأعمال ، على الصعيد التاريخي ، الى التمييز في العقائد المسيحية بين ما هو تورائى ، وما هو هليني (١) •

ويذهب جارودى كذنك الى أن « الأزمة العظمى للمرب الهتارية أذ طرحت على بساط المناقشة أساس جميع انقيام ، قد أدت الى تعميق الاهوتى ، فقد عمد القس ديتريتش بولهويفر ، قبل أن ينفذ النازيون حكم الاعدام فيه ، الى فحص للوجدان اللاهوتى هو أحد مصادر التيارات الرئيسية الحالية ، وليس المقصود نزع الاهوتية الايمان فحسب ، بل نزع الأيديولوجية عنه أيضا ، تخليصه من « الدين » ، من الأيديولوجية التى تعكس مجتمعا أو عصرا ،

ان هذه « المسيحية بلا دين » هى الانتقال من التنافر الى الاستقلال الذاتى فى عالم أصبح بالغا ، يعنى عالما ينظم قضاياه العلمية والسياسية والخلقية من غير ايمان بالله •

ويتابع القس هرومادكا في براغ تأملا من المرتبة نفسها ، وهو لا يسعى مطلقا الى مصالحة من النمط الليبرالي بين المسيحية والشيوعية ، بل ينطلق مثله بارت وبونهويفر ، من لاهوت خاص بالأزمة (٢) .

وهكذا ، تلمس جارودى للسيوعية مخرجا من مأزقها المادى الجدلى في محاولة للتوفيق بينها وبين المسيحية ، ورأى في اجتهادات هولاء وأولئك ما يمثل تناقضات اقسمت بها الشيوعية من جانب والمسيحية من جانب آخر ، من أهمها أن الانسان في الفلسفة الشيوعية أو عند معتنقي المسيحية كائن سلبي لا ارادة له ازاء قوة المادة وقوة الاقتصاد ويقول كارل ماركس : « في الانتاج الاجتماعي الذي يزاوله الناس تراهم يقيمون علاقات محدودة لا غني عنها وهي مستقلة عن ارادتهم و ليس شعور الناس هو الذي يعين وجودهم ، ولكن وجودهم هو الذي يعين مشاعرهم

⁽١) روجيه: في سبيل نموذج فرنسي للاشتراكية السابق ، ص ٣٤٤ .

٠ (٢) نفسه ، ص ١٩٤٥ .

أما « مجددوا المسيحية المعاصرون ، فقد رأوا أن اللاهوت المسيحى يقف عقبة دون « أن يحيا الانسان ويكبر » على حد تعبير الأسقف روبنسون (١) ويتضح ذلك فيما تردد منذ انعقاد المجمع المقدس في ١٩٦٧ ، والمطالب التي صيعت في مؤتمر العلمانيين في روما ، وفيما جاء على لسان البابا نفسه ، بأن الكنيسة نيست غاية في داتها . وبأنها أبعد ما تكون عن الادعاء بامتصاص العالم أو اخضاعه ، بل هو بالأحرى في خدمه وفي حوار معه ، بيتيح لنا أن نقيس الطريق التي تم اجتيازها حتى اذا كانت بعض التوازنات الدبلوماسية والتكتيكية تطمس خط التطور العام ، مثال ذلك حين يعهد البابا بونس السادس الى اعطاء انجماعيات المسيحية الأكثر تأخرا ضمانات البابا بونس السادس الى اعطاء انجماعيات المسيحية الأكثر تأخرا ضمانات في فاتيما في أعقاب كل الآمال التي اجتاحت الجناح المتقدم للكاثوليكيين بعد الرسالة البابوية وتحدة وجد المجمع أجهزة دائمة غرضها الحوار بين الكنيسة والعالم ، مثل لجنة اتصاد الكنائس ولجنة المحدين ،

وحاول المجمع تنمية لاهوت خاص بالفيم الأرضية (٢) ولكن هذه المحاولات جميعا باعت بالفشل ، على صعيد الحوار المسيحى الشيوعى وهو الأمر الذى أدى بجارودى الى مواصلة رحلته الفكرية ، ليجد في شاطىء اليقين أن الانسان في عرف الاسلام كائن ايجابي له ارادة خاضعة بطبيعة الحال لارادة الله تعالى ــ الذى بقول في كتابه الكريم : (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه) « سور الجاثية ١٣٣ » فيقرر أن الانسان هو القسوة العليا في الأرض ، وأن القوى المادية والاقتصادية مسخرة لارادته ، وليس هو المسخر لارادتها ، ومصداق ذلك الاسلام ذاته ، فهو لا يسير حسب التطور الحتمى الذي يرسمه مبدأ المادية الجدلية وحين كان الناس مسلمين في صدر الاسلام ــ لم يشعروا أن انتطور الاقتصادي قوة جبرية تخضعهم لها وهي « مستقلة عن ارادتهم » كما يقول كارل ماركس وانما أحسوا أنهم هم يصنعون الاقتصاد كما وجههم الله سبحانه وتعالى على يد رسوله الكريم عليه السلام ، وهم

⁽۱) ننسه ، من ه ۲۴ ،

⁽۲) نفسه ، ص ۳٤٧ و

ينشئون العلاقات الاجتماعية على هدى الاسلام ، فيحررون الرقيق بغير موجب اقتصادى يحتم عليهم تحريره ، ويحولون دون الاقطاع مع أنه ظل قائما مئات السنين في أوربا في غير العالم الاسلامي •

وحين نأخذ الاقتصاد الشيوعى ، فسنأخذ معه _ حتما _ تلك الفلسفة التى تجعل الانسان مترقبا للتطور الاقتصادى يأخذ سبيله « مستقلا عن ارادة الناس » ولا يسعى ولا يفكر في تعييره بارادته أو بارادة الاسلام _ لأن هذا مستحيل (١) ٠

وقد كانت معركة جارودى مع المحزب الشيوعى مثلا من أمثلة الفلسفة الاجتماعية الشيوعية التى تقوم على أساس أن المجتمع هو الأصل والفرد — لا كيان له الا باعتباره فردا فى القطيع • يتضح ذلك من قول جارودى فى مقدمة « التحول الكبير الى الاشتراكية » :

« وكثيرا ما قيل لى خلال السنوات الأخيرة : ان لك مطلق الحرية للتعبير عن وجهة نظرك ، على شرط أن يكون ذلك « داخل الحزب ولكن ذلك في حد ذاته يعتبر معالطة فالحزب ليس فقط المكتب السياسي واللجنة المركزية ، بل هو مجموع أعضائه المناضلين ، ومع ذلك فان « القاعدة » نتيجة للريبة أو الاحتقار لا تتخذ أبدا حكما للمناقشات انها تعتبر كالقاصر الذي لا يستطيع أن يفرق بين الحسن والقبيح وليست هناك صحيفة واحدة من صحف الحزب ، سواء « لومانيتيه » أو « فرانس نوفيل » أو « كابيه دي كومنيزم » تعمل على نقل الآراء التي تختلف ولو اختلافا طفيفا عن « الخط الرسمي » للجهاز للأعضاء المناضلين ، وما صنعه الحزب الشيوعي مخالف في أساسه للمنهج الاسلامي الذي يعني عناية شديدة بالفرد ، ويكل اليه بعد تهذيب ضميره للقيام بتبعات المجتمع وهو شاعر بالفرد ، ويكل اليه بعد تهذيب ضميره — القيام بتبعات المجتمع وهو شاعر أنه جزء عي فريد موجه ، يختار عمله بنفسه ، ويختار المكان الذي يعمل فيه ، ويملك حرية توجيه المحاكم وانخروج عليه اذا خرج الحاكم عن شرع فيه ، ويملك حرية توجيه الماكم وانخروج عليه اذا خرج الحاكم عن شرع له هرد حارسا أخلاقيا يرعي أخلى المردية داخل رقابة المجتمع سيقيم من فرد حارسا أخلاقيا يرعي أخلى الخرق المجتمع ويحسول دون وقوع كل فرد حارسا أخلاقيا يرعي أخلة المحتمع ويحسول دون وقوع

^{· (}١) المرجع نفسه ·

المنكر فيه ، وهو ما لا يمكن ـ نفسيا وعلميا ـ أن يحدث حين يصبح الفرد ذرة تائهة في كيان المجتمع ، يطبع الدولة في شئون الاقتصاد ، ثم يطبعها ـ تبعا لذلك ـ في جميع الأمور (١) ٠

هذه المحرية التي وجدها جارودي في شاطيء اليقين ، في الاسلام ، دفع في سبيل الوصول اليها الكثير من الجهد والجهاد ، وفي تقديرنا أن معركتهم الحزب الشيوعي تمثل فصلا رائعا من فصول هذه الرحلة ، نرى اثباتها كاملة للتاريخ ، كما جاءت في كتابه الشهير « الحقيقة كلها » ، حيث كان يبحث لعالمه عن ديمقر اطية حقيقية تتجاوب مع متطلبات الثورة العلمية والتقنية الكبرى الجارية مع العلاقات الاجتماعية الجديدة المترتبة عليها ، ولقد كان هذا البحث أول نقطة جرهوية في خلافه مع الحزب الشيوعي ، أما النقطة الجوهرية الثانية فهي التي أثيرت من جراء تدخل القسوات العسكرية التابعة لملاتحاد السوفيتي والبلاد الأعضاء في حلف فرصوفيا في تشيكوسلوفاكيا ، ان ما كان موضع الاتهام هنا هو شرعية وامكانية بناء « نموذج » للاشتراكية يتفق مع بنيه كل شعب وتقاليده التاريخية ومستواه من التطور في المرحلة انحالية من الطفرة العلمية والتقنية (٢) ،

يقول جارودى:

« وهكذا يطرح هذان الجدالان في أساسهما ، قضية واحدة : كيف يمكن اعادة تنظيم العلاقات الاجتماعية ، والمؤسسات التي تعبر عنها على صعيد الدول والأحزاب على حد سواء ، بحيث تتمكن الامكانيات الفنية الهائلة في زماننا من الانتشار دونما عقبات أو حواجز ، فتفيد في ازدهار البشر وتفتحهم لا في ضياعهم ؟ » •

ولذلك انتقد جارودى طرائق الحزب الشيوعى الفرنسى في التفكير والعمل ، وذهب الى أن هذا الهدف من كتاب « الحقيقة كلها » كما كان

⁽۱) محمد قطب: السابق ، ص ۲۱۶ .

⁽۲) چارودی: الحقیقة کلها Toute la Vèrite (ترجبة د، نؤاد ایوب) ک س ۸ ۰

الهدف نفسه من وراء كتاب « التحول الكبير للاشتراكية » ، ذلك أن جارودى كان يريد للحزب الشيوعى الفرنسى ألا تقوم تحليلاته للمجتمع المعاصر وتطوره على مخططات مستوردة من بلدان أدت فيها الانحرافات الستالينية الى تصليب وثلم أداة الاستقصاء الأساسية » •

ويقول جارودى أن الحقيقة يجب أن تعلن ولا سيما بعد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى واماطة اللثام عن أخطاء المرحلة الستالينية وجرائمها ، وكذلك التدخل العسكرى فى تشيكوسلوفاكيا والجمود العقائدى للحزب الشيوعى ، وهى جميعا تمثل « سياسة أدت شيئا فشيئا الى تغطية أية جريمة تقترفها الدولة بشرط عدم وضع النظام موضع التساؤل ، والى العسف فى الاتحاد السوفييتى نفسه ليس حيال الكتاب فحسب ، بل حيال أى امرىء يضع النظام موضع التساؤل ، والى دعم النزعة المضادة للسامية فى بولونيا ، والى العمل من جديد بالتبليغ والرقابة والتطهير فى تشيكوسلوفاكيا » •

« ولقد اتخذ هذا العمل أبعادا واسعة بحيث انخرط القادة السوفيت مثلهم كمثل القادة الصينيين ، كى يضمنوا زعامتهم القائمة على أساس عقيدة النموذج الوحيد ، فى سياسة انقسامية على النطاق العالمي دون أن يترددوا في المطالبة ، في كل بلد ، بتطهير أولئك الذين يقاومون سياسة القوة هذه باسم سياسة مبدئية ، وفي تنظيم مقصود للانقسام في تلك الأحزاب الشيوعية حيث كانت هذه المقاومة بالغة الشدة » •

ثم يقول جارودي عن « الحقيقة كلها »:

« ان هذا الكتاب يفضح آلية العمل الدولي للقادة السوفيت •

« لقد جهدت طوال سنوات ، كما نشهد على ذلك الرسائل والوثائق المجموعة هنا ، للعمل من داخل قيادة الحزب ، وبالطريق المتفقة مع دستور الحزب فقط ، كى يتحقق تقويم الاعوجاج ، وكى يمتنع حزبى عن تأييد هذه السياسة التى ينتهجها الفادة السوفييت ولا يسهم فيها ، وذهبت جهودى عبثا ، ذلك أن آليات الحزب الباطئة هى بحيث أن احتجاجى لم يستطع أن يحطم انغلاق المكتب السياسى واللجنة المركزية ،

«وهكذا نشأ حولى ، مع تسرب المعلومات الى صحافة الحزب ، ومع تشويه مفاهيمى تشوبها منهجيا ، جو من الربية والغضب بين جمهرة الحزب الذين كانوا ضحية هذا الاعلام المشوه ، الأمر الذى أتاح عقد «مؤتمر ضائع » لادانتى ، ولاجتنا بالمسائة الأساسية التى كنت أطرحها بفضل نتك الادانة ، أو على الأقل الأمل، في اجتنابها ، ولذلك يؤكد جارودى أن نشر الوثائق التى يتضمنها كتاب « الحقيقة كلها » يستهدف توضيح الحفائق ولا سيما بعد « الصورة المخجلة لاثارة جو من التهجم ضد جارودى » وهى الوثائق التى « لا تقتصر على الجدل الداخلى الذى قام في الحزب الشيوعى الفرنسى بشأن أزمة مايو بيونية من فرنسا ، بل تشمل نصوصا رئيسية عن الماساة التسيكوسلوفاكية ، منذ بروتوكول موسكو التعسفى حتى بيانات الرئيس سفورا ابان المأساة ، وكذلك الكلمات النقدية التى ألقيت في اجتماع الأحزاب الشيوعية في موسكو ، وتحليل آلية التدخل وتقسيم الأحزاب الشيوعية من قبل الفادة السوفيت » •

ويذهب جارودى الى أن « أزمة الحركة الشيوعية الأممية مسببة عن فعالية انقسامية مزدوجة: فعالية القادة المينيين التى تمارس تأثيرا كبيرا في بلدان العالم الثالث ، وفعالية القادة السوفييت المتوجهة نحو الشيوعية الأوربية بصورة رئيسية ، أن هؤلاء وأوائك لا يستهدفون حساب وحدة الحركة وقوتها الا لمارسة زعامتهم على مختلف الأحزاب الشيوعية في الحالم ، وفرض « نموذجهم » الخاص عليها ، معترضين سبيل جميع أولئك الذين يعارضون هذا السلوك ، ولا يتردد هؤلاء وأولئك جميعا أمام انقساء الأحزاب كي يتوصلوا الى غاياتهم ولسنا بعد الا في بداية هذه العملية الرهيبة ،

« وكما تكهنت بذلك وصرحت به في اجتماع اللجنة المركزية في نيسان أبريل عام ١٩٦٨ فان التنسيق سوف يسحق رجالا آخرين ، وقد جاء شهر أغسطس من عام ١٩٦٨ ليثبت صحة هذا التكهن • واني لأسجل ذلك منذ اليوم أن التسنن الذي أنشىء في آب أغسطس ١٩٦٨ في براغ سوف يسحق

بعد رجالا آخرين • ففى تشيكوسلوفاكيا ، حيث تعمل آلية القمع منذ الآن وسرعان ما سوف تتخذ سرعتها الكبيرة وسوف تؤدى لمحاكمات كما كان الأمر فى موسكو ١٩٣٧ ، وكما فى كتاب لندن « الاقرار » ولسوف تجرى الأمور على هذا الغرار فى أماكن أخسرى ، وحتى فى الاتحاد السوفيتى حيث هناك امكانية لفرضيتين : فاما أن تأتى « ثورة من القصر » كما حدث عند اقصاء خروتشيف ، فتنحى بريجينيف وزمرته ، ثم يتحقق بعد بضعة اختلاجات انعطاف من أجل التقدم أخيرا • • واما أن يتدفل الجيش من أجل الابقاء بصورة دائمة على النظام وجهازه ، ولهذا يعلن جارودى « الحقيقة كلها » فلم « يعد السكوت ممكنا » • لأن « الواجب الذي يقع على كاهلنا هو انقاد الرجاء » • • « ولن يتحقق لنا ذلك السكوت ، بل بالوضوح » وهكذا يقدم جارودى وثائق الحقيقة كلها ؛ لليكتب فى نهاية الكتاب بداية الوصول الى اليقين • • يقول :

« لقد المنتحت المناقشة من أجل تجديد عميق ، ونحن لن ندخل المستقبل ونحن نمشى القهقرى ، بشرط أن يعى كل واحد منا أنه مسئول شخصيا عن هذا المستقبل ، ألا مكنيكم كل واحد منا أن شيئا لا ينتهى مع المركة التى يخاض غمارها كل يوم ، سواء خسرناها أم ربخناها ، بل آن الأشياء جميعا تبدأ » •

وعند شاطىء اليقين يجد جارودى أن « الاسلام هو الحل الوحيد » ويذهب الى أن « العالم الاشتراكى المتمثل فى الاتحاد السوفيتى لم يكن بأفضل من الرأسمالية ولم يقدم لضحايا الرأسمالية منذ أكتوبر ١٩١٧ نظاما قادرا على الرد على النظام الرأسمالي • فقد كان هدفه الوصول الى التنمية بدرجة أفضل من الرأسمالية كما أنه قد تناسى القيم الروحية وكان « ماركس » يقول « ان الدين أفيون الشعوب » من هنا تبدأ رحلة اليقين ، مع « وعود الاسلام » حيث يه!ن جارودى « الحقيقة كاملة » ، والني تتلخص فى أن الاسلام هو الدين الانسانى الذى يكمن فى منهجه خلاص البشرية •

واذا صح في أمر الشيوعية مع الأمم جميعاً أنها لا تقبل التوسط على

سلام ، غهو أصح من ذلك بين الشيوعية والاسلام « فلا بقاء للشيوعية عى بلاد تدين بالسلام ولا بقاء للاسلام في بلاد تدين بالشيوعية ، وكل سياسية تقوم على دعوة السلام والوفاق بين الشيوعية وأصحاب العقائد المخالفة !ها فهى دعوة قائمة على نفاق وعلى تربص كمين كالتربص بين الاعداء المتسترين •

« ان معسكر الشبوعية لا يأمن على نفسه مع بقاء الديمقر اطية ، وان معسكر الديمقر اطية لا يأمن على نفسه مع بقاء الشبوعية ، وكلاهما على حذر من الآخر لا حفاء فيه ولا نكران له ، ولكنهما مع ذلك مختلفان أبعد اختلاف •

« فاذا علمت أن أحدا يعقد العزيمة على هدم دارى واهدار دمى فتربصت له فكلانا على هذا متربص بصاحبه ناظر اليه نظرة الحذر والعدوان ولكننا لا نلام على خطأ ولا نطالب بعمل واحد عند من يريد الانصاف أو ينظر نظرة السواء •

« وقيام الشيوعية على هدم المجتمعات التى تخالفها وايمانها بأن الخير كل الخير في نفكيك أوصالها وتعجيل زوالها حقيقتان لا تقبلان المعالطة ولا يكون المتجاهل لهما الا مغرضا من البداية وهو يدارى الغرض متشيعا جد التشيع تحت سربال العدل والمساواة •

« واذا قال الشيوعى انه يؤمن (بالتعايش السامى) فمعنى ذلك أنه يكف عن تنفيذ مذهبه أو أنه يرتاب فى صدقه ولا يؤمن ضربة لازب بانعدام المجتمعات العالمية فى وقت قريب ، ولا أمل له فى نجاح الدعوة من قبله ما لم يكن قد عدل حقا عن الكيد لن يعايشهم معايشة سلمية والتربص بهم تربص الوارث بمن يترقب موته ، ويعامله على هذا الأساس وما هو بأساس صالح للمعايشة السلمية بل هو أساس المعاملة بين من يعيش ومن يموت ، أو بين الوارث والموروث المطموع فيه .

« ونحن لا نستبعد أن يكون المؤمنون بالشيوعية قد شكتُوا في قواعد المذهب التي يبنون عليها نبؤاتهم عن مصير مجتمعات الأمم الى الدمار

العاجل و فان لم تبلغ شكوكهم هذا المبلغ فلعلهم قد شكتُوا في سرعة الوقت الذي يتم فيه الدمار المحتوم ورتبوا على التمهل في الانتظار سياسة توافقه غير السياسة انتى تتعجل الوقعة الحاسمة بين المعسكرين ولكن قضية السلام العالمي بقوة العوامل التي تتعلق به وترجوه و كما تناط بخشية الخطر من أهوال الحرب وسوء عقباها مع قلة جدواها فانا انتصرت هذه العوامل ونجحت في المقاومة والمطاولة جاز أن يتبدل خلال هذه الفترة كثير من القواعد والعقائد وأن تاوح المشكلات المعقدة وجوه من الحل المرضى ميسورة في ظلال التعاون والسلام (۱) و

والدرس المستفاد للشرق الاسلامي من « الحقيقة كلها » يتلخص في أن الاسلام منذ الاستعمار لبلاده في آسيا وأفريقيا من منتصف القرن التاسع عشر حتى الآن بواجه صليبية هذا الاستعمار جنبا الي جنب مع مواجهة سلطانه السياسي والاقتصادي ٥٠ وهذه الصليبية « ليست المسيحية السمحة » ، وانما هي روح الانتقام من الاسلام ، تلك الروح التي بعثت فيما مضي على الحروب الدامبة في القرون الميلادية المثلاثة : الحادي عشر ، والثاني عشر ، والثالث عشر ، محاولة الاستيلاء على بيت المقدس وبقيت منذ هزيمتها الكبري على يد « الناصر صلاح الدين » المساحة لعقلية الغرب في تعرضه للاسلام ، وفي تصرفاته مع المسلمين على السواء ، ولم تزل فيه باقية صحبة هذه العقلية حتى اليوم ،

« وبعد انتشار الفكر المادى الالحادى الغربى في بلاد الشرق الاسلامي منذ أعقاب الحرب العالمية الأولى ، واجه الاسلام بالاضافة الى مواجهته الصليبية السابقة للحملة هذا انفكر ومذاهبه ، ولم يزل يواجهه في وقتنا الحاضر ، وبالأخص « الماركسية » الالحادية •

ورأينا أيضا أن هذه المواجهة كانت على حساب الاستلام مرة وغى جانبة مرة أخرى (٢) » ٠

⁽۱) من متدمة العتاد لكتاب التعاون الاقتصادى من سلسلة الناتوس -(۲) د. محمد البهى : الفكر الاسلامي الحديث ، وصله بتالاستعمار الغربي ، ص ۲۶۶ .

أما ما أفاد الاسلام من مواجهة الصنيبية والماركسية أو من الاحتكاك بهما ، فهو :

« ابقاظ الوعى الاسلامي الذي صاحب الحركات التحريرية التي قامت بها الشعوب الاسلامية ضد الاستعمار الغربي ، وذلك بفضل جمال الدين الأفغاني الذي تزعيم ايقاظ هذا الوعى ، والذي ركز نشاطه في رحلاته الى مصر ، والهند وتركيا ، وأفغانستان ، وبقية البلد الاسلامية لاثارة المسنمين بدافع من دينهم لمقاومة المستعمر وعدم التعاون معه من جانب ، وتأكيد أواصر الأخوة بينهم بطرح الفوارق المذهبية ، وعلى الأخص ما بين السنة والشيعة ، والاحتفاظ بوحدتهم في دفع الخطر الصابيى عنهم ، من جانب آخر ،

وجمال الدين الأفغانى ـ يعتبر من غبر شك ـ الزعيم الشرقى المسلم لجميع المركات الثورية ضد الاستعمار الغربى فى الشرق الاسلامى ولم يكن لجمال الدين بقية من نشاط ، فوق ما بذل وعانى فيما بذل منه يصرفها فيما وراء ايقاظ الوعى الاسلامى فى مجالسه الخاصة والعامة •

« انحاولات الفكرية الاسلامية التي قام بها محمد عبده قبيل آخر القرن التاسع عشر ، ثم قام بها « اقبال » في النصف الأول من القرن انعشرين ، وما قام به محمد عبده آثمر سلسلة من المفكرين المستنيرين في فهم الاسلام ، بمصر وشمال افريقي ، وسوريا ولبنان — كان لهم نشاط منهجي و آخر موضوعي في الفكر الاسلامي ، وان لم يصل الي درجة أن يكون مدارس مستقلة في الاصلاح الاسلامي ولكنه رغم ذلك كان له أثره حتى اليوم في الكتابات الاسلامية المتسمة بطابع المهم السليم لمبادىء الاسلام ، وظروف المجتمع الحديث ، وما قام به « اقبال » بعده أنمر تأسيس دولة الباكستان ووضع دستور اسلامي على أساس من القرآن الكريم ،

الاسلام فوق الزمان والمكان:

« نعم ، الاسلام من حيث هو مبادىء ، لا يتوقف اعتباره على مكان معين ولا على جيل من البشر ٠٠

وكما ذكر « اقبال »: الاسلام بما اشتمل عايه مبدأ « الحركة » يعيش مع الانسان المتحرك ، وفي العالم المتغير المتطور •

فهو لا يؤزم بالصليبية ولا بالماركسية ، اذ طالما كانت له طبيعة الموجود الخالد ، ولا يضار بالهجوم عليه من هنا أو هناك ، لأنه عندئذ لا يقبل الفناء .

فخلود الاسلام فى رسانته ، ورسانته « التوازن » : التوازن فى القيادة الفرد لنفسه ، والتوازن فى علاقة أفراد الأسرة الواحدة بعضهم ببعض ، والنوازن فى علاقة الأفراد جميعا ، ما بين جار قريب وبعيد ، وما بين حكام ومحكومين •

ولكن الذى يجوز أن يؤز م • ولا أدرى اذا كان يمكن أن يصرع فى يسر أيضا ... هو المسلم • والمسلم هو اذر ، موضوع الهجوم فى حملات الصليبيين والماركسيين • والآثار السلبية لهذا الهجوم تنال منه ، أن قدر لها أن تصيب أكثر مما تنال من الاسلام •

« والسؤال انذى يجب أن يلقى الآن ، هو : اذا كانت حملات العرب الاستعمارى ـ سواء من الجانب الصليبى أو الجانب الماركسى تجدد « فراغا » عند المسلمين حال دون ملئه حتى الآن ركود الفكر الاسلامى ، وعدم قيامه بالدور الايجابى فى حياتهم المعاصرة ، فما هى النسبة التى يملأها « الاصلاح الدينى » الحديث من هذا الفراغ ؟؟ • • • ان مستقبل الاسلام فى الجماعة الاسلامية يتحدد بناء على جواب هذا السؤال وهذا الجواب يرتبط ارتباطا ونيقا بموضوع « الثقافة » الذى يتثقف بها

⁽۱) المرجع نفسه ، ص ۲۶۲ .

المسلم في الشرق الاسلامي (١) وقد اشتركت الصهيونية في كل حركة من حركات الهدم والتدمير ، وآخر ما اشتركت فيه ـ ولا تزال مشتركة فيه حركة الشيوعية في العصر الحديث « وربما كان الصهيوني من أصحاب الملايين ولكنه يحرص على نشر الشيوعية ويمولها بالمال والدعاية ، ويواليها بالمدسائس والمؤامرات في مجتمع السياسة الدولية (٢) ومن أساليب الصهيونية العالمية استغلال الحركات الاجتماعية والاتجاه بها الى الوجهة التي تريدها ، وأحب هذه الحركات اليها ما كان كفيلا بهدم القيم والأخلاق وتفكيك أوصال المجتمع وتلويث العرف الشائع بين أهله ، ولهذا ظفرت الحركة الشيوعية منها في العصر الحاضر بكل تشجيع وترويج (٣) » •

وفى الباب التالى يكشف لنا جارودى النقاب عن حقيقة « الصهيونية » حتى تنكشف « الحقيقة كلها » •

⁽١) الرجع نفسه ص ١٤٤ ،

⁽٢) العقاد : الصهيونية العالمية ص ٨٠٠

⁽٢) نفس المرجع ص ٨٠ ٠

الباب الرابع

« جارودي يكشف اضاليل المسهيونية »

قامت صحيفة « الفيجارو » في ١٥ أكتوبر ١٩٧٣ ، أي بعد ٩ أيام من اندلاع انحرب الرابعة بين الدول العربية واسرائيل ، باجراء استفتاء للزأى العام الفرنسي تبين منه أن : ٤٥٪ مع اسرائيل ٢٪ مع العرب ٨٪ مع الطرفين ٣٠٪ لا رأى لهم ٠

وفى لندن أسفرت نتائج استفتاء للرآى أجراء المعهد الوطنى لاستفتاء الرأى العام عن الحرب فى الشرق الأوسط عن أن ٥ر٤٧٪ من البريطانيين الذين شملهم الاستفناء يؤيدون الاسرائيلين مقابل ٥٪ فقط يؤيدون الدول العربية ٠

وفى واشنطن: أجرى معهد جالوب الأمريكى استفتاء للرأى عن النزاع في الشرق الأوسطيوم ٦ أكتوبر، وهو مفس اليوم الذي بدأ فيه القتال، واتضح من واتضح من نتائجه أن ٤٠/ من الأرميكيين يؤيدون اسرائيل وأن ٦/ فقط يؤيدون الدول العربية ٠

وعلقت جزيدة الاهرام على هذه النتائج بقولها (١)

« ان أرقام هذا الاستفتاء تظهر لنا الى أى مدى ما زالت الدّعاية الصهيونية عميقة الجذور في العالم ٥٠ وهكذا ترى حكومات غربيبة كثيرة بحكم أنها أكثر ادراكا للمعلومات الحقيقية ، وأكثر دراية بمصالحها ، يتحول موقفها بأسرع مما يتحول موقف المواطن العادي ، الذي ما زال متأثرا برواسب الدعاية الصهيونية منذ ربع قرن » ٠

⁽۱) الأهرام في ۱۹۷۳/۱۰/۱۸ .

ويدهب الدارسون _ في تطيل موقف المواطن الغربي الذي أظهرته ئتائج الاستفتاء _ الى أن الدعاية الصهيونية ليست السبب في هذا الموقف ، وانما هناك جذور غرستها الكنيسة منذ الحروب الصليبية في نفوس أتباعها من بعض وحقد وكراهية للاسلام والسلمين ولم تفعل الدعاية الصهيونية في الربع قرن الأخير ، الا القيام بتنشيط ما ترسب من عداوة لا زالت كامنة في الخلفية الثقافية المواطن الأوربي ، واحياء البرواسب القديمة التي دفعت الصليبيين الى شن حملاتهم على الشرق الاسلامي ، ألا وهي الخوف منه ، ومن عناصر قوته المتكاملة التي أن أستطاع المسلمون استغلالها على الوجه الأكمل لما كانت هناك قوة تفوقها على وجه البسيطة ، وهو وان كان خوفا غير محدد المعالم _ علميا _ عند المواطن العادى ، الا أن قادتهم والمثقفين منهم يدركون ذلك تفصيلا ، فقد وضعت في ذلك الدراسات وألفت الكتب ، ومن أدق ما كتب ، وأكثرها تصويرا لعناصر قوة الاسلام التي تمكنه من بناء قوة عالمية ، كتاب « الاسلام قوة الغد العالمية » فقد استهدف مؤلفه الأستاذ « باول شمتز » تبصير ببي جنسه بتلك العناصر ، كي يخططوا الضعافها أن أرادوا حماية أنفسهم من الاسلام ، فهو يرى أن المسلمين يملكون من مصادر القوة ما لا يملكه أتباع دين آخر على وجه الأرض (١) فهم _ أولا _ يسكنون منطقة جغرافية تتحكم في العالم كله ، أو على حد تعبير الأستاذ باول شمتز « ان أهمية المنطقة الاسلامية في نظام التجارة العالمية في ذلك الوقت كانت واضحة ، وحقيقة واقعة ، فحكامها كانوا يستطيعون التحكم فى الأسعار عن طريق رفع رسوم المرور والجمارك بل كان فى مقدورهم قطع الطريق كلية ، اذ بدا لهم أن ذلك فيه فائدة لهم أى رغبوا قيه اعتمادا على أي سبب ، ومن هنا ظهرت الأطماع في السيطرة على هذه المنطقة ٠٠ ولم يتغير شيء من هذا بعد دخول الاسلام فقد أصبح قدح الزند في المجالات السياسية والتجارية في الشرق الأدنى في يد الدولة الأسلامية الجديدة ، التي مدت سلطانها على المنطقة جغرافيا وثقافيا » .

⁽۱) د. محمد شامة : وتقديم كتاب الاسلام قوة الفد العالمية اللاستاذ باول شمئز ، ص ٥ .

وكانت السيطرة على المنطقة من الأسباب الرئيسية للحملات الصليبية فقد حمل الصليبيون معهم فكرة مدروسة ، مفادها أن أهمية السيطرة على منطقة غرب آسيا لا يمكن أن تقدر اذ هي نقطة اتصال بين الغرب والشرق الأقصى ، وثبتت صحة هذه الفكرة لاحكام تلك المنطقة منذ قرون ، وما زالت حتى اليوم ، يشهد بذلك الصراع القائم بين القوى العظمى المعاصرة للسيطرة على المنطقة ،

كما أن المسلمين ــ ثانيا ــ لديهم خصوبة بشرية ، تمكنهم من التفوق على غيرهم أن هم أحسنوا اعدادها وتوجبهها :

« تشير ظاهرة نمو السكان في أقطار الشرق الاسلامي الي احتمال وقوع هزة في ميزان القوى بين الشرق والغرب ، فقد دلت الدراسات نعى أن لدى سكان هذه المنطقة خصوبة بشرية تفوق نسبتها ما لدى الشعوب الأوربية ، وسوف تمكن الزيادة في الانتاج البشرى الشرق من نقل السلطة في مدة لا نتجاوز بضمة عقود _ أى عشرات قليلة من السنين •

وسوف ينجح في ذلك نجاحا لا نرى من أبعاده اليوم الا النذر) اليسير » •

وبعد أن يعرض مؤشر زيادة السكان في مصر من ١٨٨٧ - ١٩٣٧ م يحقب على ذلك بقوله :

« وسيصبح في مصر في مدى ٩٦٨ سنة _ أي أقل من ألف عام بقلين أمة تعدادها ٩٧٣ مليارا من البشر ، أي أنها سوف تنمو بشريا الى درجة لا تمكنها فقط من استمعار ألكرة الأرضية ، بل من استعمار أعداد من الكواكب السيارة الأخرى » •

وأن المسلمين _ ثالثا _ يملكون من المثروات والمواد الخام ما يستطيعون به بناء قوة صناعية تضارع ارقى الصناعات العالمية _ ان لم تفقها _ وسوف تزداد هذه الثروات في وقت تقل فيه في البلاد الأخرى مما يجعلهم يتحكمون في توجيه الصناعة في العالم • يقول:

« يوم يقل الانتاج الغزير لهذا البترول ، الذى يغزو أسواق العالم اليوم سيحتل البترول الاسلامى - حسب التقديرات المتحفظة جدا بعد اكتشاف باقى حقول الحزام البترولى فى غرب آسيا مركزا دوليا هاما وسيصل انتاجه رقما لم يعرف بعد ، ولا يستطيع الخبراء التكهن به لأنه قد يفوق كل تقدير ٠٠٠ يجب ألا نغفل عن دلالة هذا التغيير وتأثيره اقتصاديا فى مركز العالم الاسلامى على مسرح التبادل التجارى العالى ،

ان الاسلام ــ رابعا ــ ذلك الدين ، الذى له قوة عظمى على تجميع الأجناس البشرية المختلفة تحت راية واحدة ، بعد ازالة الشعور بالتفرقة العنصرية من نفوسهم ، وله من الطاقة الروحية ما يدفع المؤمن به الى الدفاع عن أرضه وثرواته بكل ما يملك مسترخصا في سبيل ذلك كل شيء حتى روحه ، يحرص على التضحية بها فداء لأركان الاسلام •

ولهذا اتفق المستعمرون على ضرب الاسلام ، فتعاونوا فيما بينهم على خلق اسرائيل للحيلولة دون سياده المسلمين في هذه المنطقة الحساسة من العالم ، وهم يتسابقون _ بأساليب مختلفة _ لسلب ثروات هذه الأمة (١) ٠

⁽١) المرجع نفسه ٤ ص ٨ ٠

من أجل هذا كله يساند الغرب اسرائيل ، لكيلا ينهض الشرق الاسلامى ، وتناسى الغرب أن الصهيونية عملت وتعمل على افساد الغرب نفسه ، وأمامنا الحركات الفكرية والاجتماعية والسياسية فى الغرب وأصداؤها هنا وهناك ، فأن دراستها على حقيقتها دون عناوينها تدل على عبث الصهيونية بأقدس القيم ، وتسخيرها كل حركة _ ما استطاعت لافساد العقول والأخلاق ، وقد كان من رأى العقاد (١) _ أن مثل هذه الحركات ينبغى أن تفهم مع فهم بواعثها فى نفوس أصحابها والقائمين بها وأنه لا سبيل الى فهمها بغير ذلك ، وهكذا ينبغى أن تفهم الحركات الحديثة فى الغرب ، وتفهم معها العوامل الصهيونية التى تحركها سرا وعلانية ، ليتبين ما فيها من حق وباطل ، تنكشف بواعثها وأغراضها الحميدة والذميمة ،

وقد قال العقاد في مقال عن الوجودبة: « لن تفهم المدارس الحديثة في أوربا ما لم تفهم هذه الحقيقة التي لا شك فيها وهي أن اصبعا من الأصابع اليهودية كامنة وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية ، وترمي الى هدم القواعد التي يقوم عليها مجتمع الانسان في جميع الأزمان فاليهودي كارل ماركس وراء الشيوعية التي تهدم قواعد الأخلاق والأديان واليهودي دوركيم وراء علم الاجتماع الذي يلحق نظام الأسرة بالأوضاع المصطنعة ويحاول أن يبطل آثارها في تطور الفضائل والآداب واليهودي الفردة لكرامة الفرد فجنع بها الى حيوانية تميب الفرد والجماعة بآفات السقوط والانحلال و

ومن الخير أن تدرس المذاهب الفكرية بل الأزياء الفكرية كلما شاع في أوربا مذهب جديد • ولكن من الشر أن تدرس بعناوينها وظواهرها دون ما وراءها من عوامل المصادفة العارضة والتدبير المقصود » •

فالصهيونية اذن تستهدف تخريب المجتمع الانساني ليس في الشرق

⁽١) العقاد: الصهيونية العالمية ، ص ١١ ٠ (جارودى)

وحده ، ولكن في الغرب بالدرجة الأولى كذلك ، فيسجل التاريخ الأوربي على اليهود أنهم كانت لمهم مشاركة في كل متنة ، وكل اغارة ولكن المؤرخين يختلفون في تعليل هذه المساركات المتواترة _ فيعروها بعضهم الى المصادفة لوجود اليهود في كل بيئة ، ويعزوها بعضهم الى شعور النقمة الطبيعي على كل سلطان غاشم يخضع له المحكومون على رغم واضطراد ، ويعزوها بعضهم الى التدبير المتعمد لهدم المجتمع المسيحي من داخله وتقويض دعائم الدولة والكنيسة في وقت واحد ومما قيل وأصر القائلون عليه أنهم أسسوا جماعة البنائين انذين اشتهروا باسم الماسون ، وقرنوا بين التعاهد على بناء الهيكل وبين هذه التسمية ، وما يتصل بها من المصطلحات والشعائر ، وقيل غير ذلك كثير مما تتشعب فيه الظنون ولا حاجة الى استقصائه ، لأن الظواهر تغنى فيه عن الأسرار ، وتختلف أسأليب الصهيونية بين عصر وعصر على هسباختلاف الحوادث والأفكار والمناسبات واختلاف وسائل الاقناع والدعاية والتأثير ولكنها في جوهرها شيء واحد ، تتلخص في استطلاع الأسرار والخفايا ، وتسخير سلطان المال لاستغلال الحركات الاجتماعية والعلاقات الشخصية بذوى النفوذ ، والاتجاه بها الى الوجهة التي تحقق لها مصالحها وأغراضها •

وهذه الأساليب بطبيعتها أساليب هدم ومقاومة ، وأساليب غش وتضليل ، ولا مناص لها من ذلك الا اذا خرجت على طبيعتها وتخلت عن وجودها لأنها لا تستطيع البناء والتعمير ، ولا تستطيع الأمانة والعمل الصريح ، انما تستطيع الصهيونية البناء اذا استطاعت أن تقيم دعواها على عقيدة تنشرها وتدعو الأمم الى الايمان بها ، ولكنها اذا فعلت ذلك نقضت دعواها الأولى والأخيرة ، وهي احتكار الاله لنفسها والايمان بأنه اله اسرائيل كما يدعونه في الصلوات ، ولكس للأمم الأخرى حظ من رضاه ،

فالصهيونيون الذين يزعمون أن الله لهم وحدهم ، وأنهم شعب الله المختار ، دون غيرهم ، لن يقبلوا مشاركة أحد لهم في هذا الاحتكار ، ولن تراهم قط مبشرين بدين يدعون الناس الى الدخول فيه خلافا لأصحاب

الأديان أجمعين ، أنهم كأصحاب الميراث الذين لا يقبلون شريكا فيه ، أو كأصحاب الشركة التي ينفردون بها لا يوزعون على أحد سهما من أرباحها ، فليس في استطاعتهم أن يقيموا سلطانهم على عقيدة عامة تشاركهم فيها الأمم ، وليس في استطاعتهم أن يقنعوا الناس صراحة بقبول هذه الفكرة النابية ، وكل ما في وسعهم أن يهدموا عقائد الناس وأخلاقهم ودعائم أفكارهم وسرائعهم ، ثم لا يخلفوها بعقيدة أخرى تقف لهم في الطريق ،

« كذلك لا تستطيع الصهيونية العالمية أن تسود بغير الضداع والتضليل » (١) وقد وقفت الصهيونية بعدتها وعتادها خلف الحركة انشيوعية تدعمها وتساندها وتقويها واسنخدمتها لتحقيق أغراض الهدم والتخريب وأن المتأمل في أسماء زعماء الحركة الشيوعية سوف يكتشف أن أصلهم صهاينة يهود ـ ومن هؤلاء: رئيس الدولة الشيوعية الأولى في العائم كله زينولهيف واسمه الصهيوني أبغلبوم Abfelbaum وكان رئيس البوليس السياسي ياجودا أو يهودا ، ووكان وزير الخارجية ليتفينوف واسمه الصهيوني فنكلشتين Finkélstein *

وكان أهم سفير في الخارج مارسل روزنبرج ، لأنه كان يعمل في أسبانيا لتوطيد الشيوعية بعد الجمهورية ، وكان تروتسكى وكانيف وتومسكى وريكوف وكاجانوفتش على رأس الدولة السوفيتية ولم يكن فيها من الزعماء الكبار غير لينين وستالين من الروس الذين لا يدينون باليهودية ولكن لينين كان نصف يهودي يسمى ايليانوفتش ، وستالين كان صهرا لكاجانوفتش الصهيوني ، وهذا كل ما استطاعوه لادخاله في زمرة الصهيونيين ،

ولقد أعلن جاكوب شيف Jacob Schiff الصهيونى صاحب الملايين ، انه أمد تروتسكى بالمال لاقامة الدولة الشيوعية ، وثبت أن صاحب الملايين « ماكس وورنح » فى استوكهام كان هو الواسطة القريبة نترويد « تروتسكى » بالمال كلما احتاج اليه •

⁽۱) الرجع ننسه ص ۷۲ ۰

وأنها لضربة من ضربات القدر أطاعت بهذه الدولة الصهيونية قبل استقرارها على قواعدها العلبية المعترف بها في العالم كله ، فقد تغلب ستالين على تروتسكى ، وأحس الغدر من عصابة الصهيونيين فعجل بها قبل أن تعجل به ، وتمكن من الغلبة على منافسه في مبدأ الأمر بمعونة فريق من العصابة ، لأنه كان ٠٠ كما تقدم صهرا لكاجانوفنش أبيه في الحساب ، كما يقولون ٠

أمصادفات هذه في عرض الطريق ؟ (١) •

يقول العقاد: « كلا لا يمكن أن تتفق المادفات كل هذا الاتفاق ولا يمكن أن تسرى هذه المصادفات في كل مكان ، فيتولى زعامة الشيوعية في المجر « بيلاكوهين » ويتولاها في النمسا فريتز أولر ، وأوشك أن يتولاها في ألمانيا ليسكفت وروز الكسمبرج ، لو لم تعالجها الأقدار بما خيب الآمال .

ومن المعلوم ، قبل هذا كله ، أن زعيم الشيوعية الأول هو « كارل ماركس » اليهودى وأن منافسه فى ألمانيا « لاسال » من سلالة اليهود ولقد تأسست حكومة اسرائيل فى فلسطين وهم لا ييأسون من تسخير الشيوعية لتأييدها فى المجامع الدولية ، وتسخيرها من جهة آخرى لتخويف دول الغرب ، وتهديدها بالتحول الى جناب الكتلة الشرقية ان لم تسعفها بالمال والسلاح والمعونة الدولية ، وكانت الكتلة الشرقية ترجو أن تبسط يديها على اسرائيل من وراء المهاجرين الشيوعيين ، فلم تلبث أن عرفت غلطتها وأدركت أن الصهيوني يحذف الشيوعية ، ويتسمى باسم السيحية ، ويعلن الألحاد جهرا ، أو يدين به سرا ، ولكنه صهيونى من الصهيونيين ، مهما تختلف الأسماء والآراء ،

ولم تكن هزيمة تروتسكى وشيعته نهاية الحلف القديم بين كارل ماركس وأبناء ملته ، فأن الصراع بين ستألين وتروتسكى لا يتكرر فى كل بلد على هذه الصورة ، وإذا تكرر فحسب الصهيونية كسبا أن تتهدم

⁽١) المرجع نفسه ، ص ٧٨ .

أركان الوطنية والدين ، وأن تنهار قواعد الأخلاق والآداب ، لتستريح من هذه العوائق في طريقها ، وتتفتح الأبواب لسلطان المال والخداع بغير شريك ولا حسيب (١) •

ولقد هال هذا الامتراج بين الشيوعية والصهيونية بعض المؤرخين فاعتقدوا أن الصهيونية قد خلقت هذه النورة خلقا ، وصاغتها على يديها بمحض مشيئتها ، بيد أن ذلك _ كما يقول العقاد أيضا ، _ غلو غى تقدير قوة الصهيونية لا نقرهم عليه ، وانها على تشعب مساعيها وانساع ميادينها لأهون شأنا من أن تخلق ثورة تخلقها أسبابها ولم تسبقها مقدماتها ، وانما شأنها كله أن تستطلع الأسرار الخفية وأن تغتنم الفرصة السانحة وأن تتسلل من الثغرة المفتوحة ، وأن مثل الشيوعية لواحد من أمثلة كثيرة على أساليبها في استغلال الحركات الاجتماعية والاتجاه بها الى وجهتها في العصر الحديث ، ان الصهيونية لا تعمل الا بسلطان المطامع والمنافع والشهوات من وراء ستار ، فلابد لها في الحالين من أساليب الهدم وأساليب الخداع (٢) .

وهذه الأساليب هي التي يكشفها عن علم وايمان مفكرنا الكبير جارودي في كتابه الشهير:

« ملف اسرائيل ٠٠

أهلام الصهيونية وأضاليلها » .

وهو الكتاب الذى منع من النشر بأمر الصهيونية العالمية ، لما يتضمنه من حقائق اكتسبت فى طرحها من عقلية جارودى ما جعلها ضوءا كاشفا للانسانية فى سبيل مقاومة السرطان الصهيونى •

⁽١) المرجع نفسه ، ص ٧٩ -

⁽٢) الرجع نفسه ، ص ٧٦ ٠

ولكتاب جارودي قصة ٠٠

ففى ١٧ يونيو ١٩٨٦ ، وخلال الاجتياح الاسرائيلى للبنان ومحاصرة بيروت ، نشرت جريدة « لوموند » الفرنسية اعلانا من صفحة كاملة وقعه روجيه جارودى مع اثنين من رجال الدين الفرنسيين هما الأب ميكاييل لوبان والأب اتيان ماتيو ٥٠ وبعد نشر هذا الاعلان تحرك اللوبى الصهيونى فى فرنسا وقرر اقامة دعوى قضائية على البروفسور روجيه جارودى وزميليه ٠

أما الرجل الذي حرك هده الدعوة ويقف وراء اللوبي الصهيوني فهو انبارون دي روتشيلد •

وليس الاعلان المنشور في « لوموند » هي السبب الحقيقي وراء مقاضاة جارودي ، ولكن السبب الحقيقي هو كتاب جارودي الذي ألفه وفند فيه الصهيونية سياسيا ودينيا وفلسفيا ولاهوتيا وتاريخيا ، وهو الكتاب الذي تعرض له في هذا الباب ، والذي جعل عنوانه : « اسرائيل معلم الصهيونية وأضاليلها :

iedossier " Israel " Songes — Et Mensomges du Zionisme .

ولم يجد جاروى فى فرنسا أو أوروبا ناشرا واحدا يقبل طبع كتابه هذا بتأثير الضغط الشديد الذى مارسته الصهيونية على كبريات دور النشر الأوروبية ١٠٠ الى أن تطوع أخيرا ناشر لبنانى شاب مقيم فى باريس بنشر هذا الكتاب باللغة الفرنسية ٠٠

ومضمون هذا الكتاب هو صلب المرافعة التى دافع بها البروفسور جارودى عن نفسه أمام محكمة الدرجة الأولى فى باريس ، وهو كتاب يؤكد لنا أن جارودى لم يتردد فى اعلان ما يؤمن به رغم التهديد بالقتل فى وجه أعتى القوى وأكثرها عدوانية ٠٠ وهذا الكتاب مواجهة من هذا النوع بين مفكر مؤمن أقام ايمانه على اليقين والعلم والحقيقة وبين ظاهرة سياسة من ظواهر عصرنا معادية لذلك التجلى الرائع من تجليات

الايمان والصلابة في الحق • وها هو ذا يعلن من جديد « الحقيقة كلها » حول الأسطورة العنصرية • يقول جارودي :

« نواجه هنا موضوعا « محرما » يدول الصهيونية ودولة اسرائيل ففى فرنسا ، يمكن توجيه انتقاد للعقيدة الكاثوليكية أو للماركسية . كما يمكن مهاجمة الالحاد والقومية ، وادانة نظم الحكم فى الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية وجنوب أفريقيا ، والاشسادة بالفوضوية أو بالملكية دون التعرض لمخاطر تتعدى المألوف كالتسبب فى جدل أو تفنيد .

لكن التطرق الى تحليل الصهيونية يفضى بصاحبه الى عالم آخر ينقله من التحرير والابداع الى المثول أمام القضاء • • فبموجب القانون الصادر في ١٩٨١/٧/٢٩ بسأن ذم أى شخص بسبب انتمائه لجنس أو لأمة أو لديانة ، يعرض صاحب كل انتقاد لسياسة دولة اسرائيا وللصهيونية السياسية التى تقوم عليها هذه الدولة للمساعلة التأديبية •

« يؤدى على الفور الى معاملتك ك « نازى » • • ويجر عليك تهديدات بالموت مثلما حدث للقساوسة والسياسيين والمفكرين الفرنسيين ، ومنهم رئيس تحرير « لوموند » وأنا أيضا •

ويسنطيع كاتب هذا البحث أن يشهد بذلك ما دام قد تعرض لهذا السبب ، الى ملاحقات قضائية واتهام « بالنازية » وتهديدات بالقتل » •

ويتساءل جارودي بعد ذلك:

_ ما هو المسار الذي اتبع من أجل وضع دراسة الصهيونية السياسة على صعيد الحروب الدينية ؟

ويعقب جارودي على سؤاله المطروح قائلا:

لقد قام على سلسلة من المداخلات والمتداعيات والاستبدالات فى

المعانى ، كان بيجين قد دلل عليها فى الشعار القائل باستحالة التفريق بين المناهضة لاسرائيل ، والمناهضة للصهيونية والمناهضة للسامية ، وهو شعار بادر زعماء « المنظمة الصهيونية العالمية الى تلقفه وترديده على مسامع العالم أجمع » •

ويقوم منهج كتاب جارودى على دراسة الموضوعات التالية والتمييز بينها:

- ١ _ الصهيونية الدينية والصهيونية السياسية
 - ٢ _ الصهبونية واليهودية ٠
- ٣ _ اسرائيل التوراتية ودولة اسرائيل الصهيونية •

وتأسيسا على هذا الفهم يوضح جارودى الفارق الأساسى بين نزوع بعض اليهود دينيا الى اقامة مركز ثقافى وروحى لهم فى فلسطين دون أن يكون استعمار فلسطين نفسها من أهدافهم — وهم من أطلق عليهم جارودى صفة « الصهيونية الدينية » • • وبين « الصهيونية السياسية » التى أسسها تيودور هرتزل الملحد الذى عمد الى استغلال الدين اليهودى والاعتماد على التربيفات الكثيرة عبر التاريخ للكتب الدينية لكى ينشىء دولة استعمارية صهيونية على أرض فلسطين •

ويبدأ جارودي بمناقشة عناصر موضوعه على النحو التالي :

أولا _ الصهيونية الدينية والصهيونية السياسية:

يصعب المخلط بين مشروعين متمايزين تماما:

مشروع الصهيونية الدينية ومشروع الصهيونية السياسية ٠

فالصهيونية الدينية غالبا ما انطلقت من أقوال ذات طبيعة مجازية وغير حرفية في التراث اليهودي •

اذ كانت تتعلق بأمل اليهود الأكبر في انتظار مجيء مسيح آخر حينما تدعى جميع شعوب الأرض (سفر التكوين: ٣/١٢) الى حكم الرب الذي سيتحقق من أجل البشرية جمعاء •

متوجها الى المواقع المعينة في التوراة اآثر ابراهيم وموسى « عليهما السلام » •

وقد أوجدت هذه الصهيونية الدينية تقليدا يقضى بالحج الى الأراضى المقدسة ، بل أن قيام طوائف روحانية ، وخاصة في مسفد ، في وقت اشتداد حملات الاضطهاد التي كان يقوم بها في أسبانيا ملوكها الشديدو التمسك بكاثوليكيتهم « بعد طول التعايش الهانيء » في ذلك البلد ، بين المسلمين واليهود دفع بعض الأتقياء الى العيش في فلسطين في ظل ايمانهم ،

وحتى عهد قريب (فى القرن ١٩ ب٠م) كان هدف « عشاق صهيون » استهداف مركز روحى • فى أرض صهيون هذه • يشع بالايمان وبالثقافة اليهودية •

واللافت للنظر هو أن هذه الصهيونية الدينية _ والتى لم تنتشرالا بين مجموعات محدودة _ لم تصطدم أبدا بمعارضة المسلمين الذين يعتبرون أنفسهم منحدرين من ذرية ابراهيم • منتمين اعتبدته •

ثم ان هذه الصهيونية الروحانية • البعيدة كل البعد عن أى برنامج سياسى يهدف الى تكوين دولة ، وعن فرض أى سيطرة على فلسطين لم تثر مطلقا مجابهات أو منازعات بين الطوائف اليهودية وبين السكان العرب • المسلمين والمسيحيين •

المسهيونية السياسية:

ابتدعها تیودور هرتزل (۱۸۹۰ ــ ۱۹۰۶) وعکف فی فیینا منذ عام ۱۸۹۶ علی تشکیل مذهبها حتی انتهی من ارساء منهجها عام ۱۸۹۶ فی

كتابه عن « الدولة اليهودية » • ثم وضعها موضع التنفيذ في المؤتمر الصهيوني العالمي الأول • بمدينة بال في سويسرا عام ١٨٩٧ • هذه الصهيونية بالذات عبادتها ونتائجها تشكل دون غيرها موضوع دراسة جارودي الذي يقول:

ان النتائج العملية التى استخلصها تيودور هرنزل والحلول التى طالب بها لوضع حد نهائى لهذا العداء والتناهر وهو فى رأيه تنافر دائم وقطعى ــ يمكن تلخيصها كما يلى :

- ا _ رفض الاندماج الدى لم يكن مسموحا به آنذاك في دول أوربا الشرقية _ وفي الامبراطورية الروسية على الأخص _ تحقق على نطاق واسع وبصورة متزايدة في أوربا الغربية « وخاصة في فرنسا حيث كشفت اللاسامية القناع عن وجهها المخزى بعد قضية دريفوس » •
- ٧ ــ انشاء « دولة يهودية » يتجمع فيها كل يهود العالم لا بؤرة روحية أو مركز اشعاع للعقيدة اليهودية وثقافتها وقد عرفت أواخر القرن التاسع عشر ، عصر القوميات في أوروبا ، نشوء احدى طرق التعبير عن القومية بأسلوب عربي حالص ، تمثل في تلك القومية التي برزت بكل زخمها في ألمانيا ، وكان تأثيرها على هرتزل عميقا لا سيما وأن ثقافته كانت جرمانية ،
- س هذه الدولة ينبغى اقامتها في مكان « شاغر » وهذا المفهوم الميز للاستعمار الذي كان سائدا في تلك الحقبة من الزمن كان يقضى بألا يؤخذ بعين الاعتبار وجود مواطنين أصليين وقد اعتمد رهتزل وقادة الصهيونية السياسية من بعده ، على هذه المسلمة الاستعمارية التي سوف تتحكم بمستقبل المشروع الصهيوني كله ودولة اسرائيل التي انبثقت عنه •

أما المكان غلم يكن له أى أهمية بنظر تيودور هرتزل ، الذى كان كما

سنتبين فيما بعد أمام أن يختار كمقر لشركته الاستعمارية ذات الامتياز وجنين الدولة المقبلة بين الأرجنتين وفقا لاقتراح البارون هيرش وبين أوغندا التي اقترحتها بريطانيا وانه لأمر ذو مغزى أن يقوم هرتزل باستثمارة سيسل رودس ، الذي كان ينفذ مشروعه الاستعماري في جنوب أفريقيا لأن لمشروعه أيضا طابعا استعماريا على حد تعبير هرتزل نفسه ،

غير أن هرتزل فكر بايلاء فلسطين الأفضلية بين الأراضى المرشحة لغرس الدولة اليهودية فيها من منطلق اهته مه باجتذاب تيار عشاق صهيون وتقوية المحركة الناشئة عنه • واضعا فى خدمة أغراضه تراثا دينيا لم يكن هو شخصيا ليؤمن به • وكان من حالحه الكلى ولفائدة مخططاته أن يظل الالتباس قائما وأبلغ مثال على حسن استغلال الغموض ظهر بعد وفاة هرتزل فى تصريح بلفور عام ١٩١٧ حيتما أعلنت الحكومة البريطانية أنها تؤيد اقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين لا يلحق الضرر بالسكان الأصليين بينما استغل زعماء الصهيونية السياسية هذا التصريح فى الاتجاه الى انشاء دولة فلسطين اليهودية بالغاء كل وجود لسكان أصليين • تأمينا لبسط سيادة الدولة الصهيونية على فلسطين كلها •

هذا الطابع الاستعمارى للصهيونية السياسية بالاضافة الى أسسه الوهمية وعواقبه الوخيمة المضرة بالشعب الذى قيده نير الاستعمار المضرة أيضا بالسلام العالمي وهو ما سكون الموضوع الأساسي للتحليل الانتقادى الذى يقدمه جارودى و

ثانيا _ الصهيونية واليهودية:

الانتقال من ميدان الكتابة الى ساحة القضاء ومن الجدل السياسى الى المحاربة بالدين • ينم انطلاقا من بلبلة ثانية ومزج آخر ، لا يكتفى معهما بالتسلل خفية من الصهيونية الدبنية الى الصهيونية السياسية _ تسلل يسخر الدين لخدمة السياسة ويتيح اضفاء القداسة على سياسة معينة بقصد اعتبارها من المحرمات التي لا يجوز المساس بها _ بل تستغل القرابة القائمة بين الصهيونية السياسية وبين الديانة اليهودية • من أجل

توجيه تهمة مناهضة السامية الى كل من ينتقد السياسة الصهيونية التى يتبعها القادة الاسرائيليون وقد برزت أهكار أساسية حول اللاسامية في كتاب برنار لازار « اللاسسامية • تاريخها • أسبابها » المنسور عام ١٨٩٤ والذي أعيد بشره في العام الماضي في أجواء مشبعة بأحداث قضية دريفوس • ونشوء الصهيونية السياسية على يد تيودور هرتزل •

وكتاب « برنارد لازار » كان ردا على أوسع المؤلفات على اللاسامية انتشارا « غرنسا اليهودية » لكاتبه دروسون ١٨٨٦ وخلافا لرسسالة الهجاء المقذع الجاهل من « رومون » تبدو دراسة برنار لازار حتى بنظر من لا بقاسمه الرأى ـ الذى يطرحه في فرضيات على البحث ـ قائمة على تطيلات تاريخية متأنية داعية للتأمل • تأخذ بعين الاعتبار مدى مسئولية الطوائف اليهودية عما كان ينزل بها من اضطهاد من جهة واستغلال اللا ساميين الدنى و لظواهر انكماش هذه الطوائف وتفردها من جهة أخرى •

ويميز برنار لازار النزعة المعادية اليهودية الصادرة عن المسيحية بشكل عام والمستمرة الوجود منذ القرن الرابع الميلادى حتى منتصف القرن التاسع عشر الأخير ، عن ظاهرة مناهضة السامية ، التى ظهرت تسميتها باللاسامية لأول مرة ، في كتاب صحفى من همبورج هو : « ولهلم مار » بعنوان « انتصار اليهودية على الجرمانية » عام ١٨٧٣ والمعاداة المسيحية لليهودية هي من مظفات الفكر القسطنطيني العقائدي والسياسي الذي تبنته الكنيسة المنتصرة في الامبراطورية البيزنطية ،

وبين برنار لازار كيف أن سخافة تقوقع الطوائف اليهودية وانغلاقها على أضيق وأدق تفاسير الشريعة قد وفرت خلال تعنقب القرون أسانيد سهلة المنال لذلك الاتهام وحول هذا يقول برنار لازار في كتابه المشار اليه أعلاه:

ــ لقد انعزل اليهود وراء أسوار كان قد رفعها حول التوراة الكتبة الأولون والفريسيون والتلموديون ومشوهو الموسوية الأولى وأعداء الرسل

وهذا خلافا للموسوية الحقيقية • التي اصطفاها وأكبرها أرميا وأشعيا وحزقيال (ص ١٤ و ١٦) •

ويضيف برنار لازار (ص ١٣) قوله بأن خطورة هذه العـزلة وقد تفاقمت بسبب طبع فريد يختص به اليهودى ويدفعه الى التباهى بامتياز توراته • وبالتالى الى اعتبار نفسه فوق العالمين ومعايرا لباقى الشعوب » •

وقد عمل على ترسيخ هذا المسلك . ذلك التزايد في حدة القومية المنتشرة في أوربا خلال القرن التاسع عشر ، اذ رأى اليهود في أنفسهم التسعب المختار المتفوق على السعوب كافة وهو حال جميع الشعوب المتطرفة في تعصبها القومي كالألمان والفرنسيين والبريطانيين في وقتنا الحاضر (ص ١٤٣) .

هذا الانعلاق على الفردية لم يكن جديدا ١٠ فقد حارب الحاخامون المتطرفون بتلموديتهم المتصلبة ، جميع محاولات الانفتاح عبر العصور المتعاقبة وينوه برنار لازار بمسعى آبو عمران موسى بن ميمون أكبر فلاسفة اليهود في جميع العصور الذي ولد ١١٣٥ في الأندلس ومات فلاسفة اليهود في جميع العصور الذي ولد ١١٣٥ في الأندلس ومات الأديان والعقل مشيرا التي محاربة المتطرفين له بشراسة واستنكار التاموديين والسبتين لأهم مؤلفاته « دلالة الحائرين » حتى أن الحاخام سليمان من مدينة مونبلييه استنزل في عام ١٢٣٢ م التحريم ضد قراء هذا الكتاب وحصل على الاذن بحرقه وعمل التلموديون على أن أن يحصر اليهود دراساتهم في شريعتهم دون غيرها وفي نهاية القرن وبليعاز من الحاخام الألماني عشير بن يحيال اتخذ مجمع سيبودس الكون من ثلاثين حاخاما وكان منعقدا في برشلونة برئاسة بن عزر: قرارا بتحريم كل يهودي دون المفامسة والعشرين من عمره يقرأ كتبا غير التوراة والتلمود ٠٠ (ص ٢٥) ويلخص برنار لازار ، ما أدى اليه هذا التيار ، فيقول : لقدد بلغوا ويلخص وزلوا اسرائيل عن مجموع الشعوب :

وفي القرن السابع عشر عادت النزعة نفسها • التي كانت قد حاولت

خنق صوت ابن ميمون الى الظهور مع من تصدى من بين التلموديين لقتل الفيلسوف سبينوزا • وكذاك مع أولئك الذين هاجموا مندلسون فى القرء الثامن عشر • لأن ترجم: هذا الأخير للتوارة الى اللغة الألمانية جرت عليه عقاب الماهامين الذين كانوا مصممين على احتكار التفسير التملودي لشريعتهم • والحيلولة دون افساح المجال أمام الشعب للوصول الى التوراة مباشرة ، مما دفعهم الى منع قراءة تلك الترجمة للتوراة وسوف نرى ما عمدت اليه اليوم • في دولة اسرائيل • حاهامية الأحزاب الدينية اليمينية المتطرفة ، من حصر تلك القراءة « الانتقائية » المتعصبة للتوراة ، في النصوص التى تخدم غايات سياسية جديدة ، ومن نجاحها في فرض توجيهاتها على الدولة •

ويقول جارودى معقبا:

ونحن حينما نتصدى مع برنار لازار التيارات الفكرية اليهودية التى تبرز الاستثنائية اليهودية وليس الشمولية وعقلية الفتح والسيطرة المستقاة من ملاحم يوشيا وتمييز اسدراس العنصرى والميل الى جعل اسرائيل مركزا للعالم ولتاريخه ووانما نقصد الى تبديد المعموض الذى يتعمد اللا ساميون بثه ، عند محاولتهم استنتاج صور الفساد الصهيونى عن آفة أساسية مزعومة كامنة في صلب الديانة اليهودية و

وينطوى التراث الوفير فى اليهودية كما هى الحال فى السيصة على تيارات متناقضة وكما وجد فى المسيصة نزعة قسططينية وتطرف المقد قامت عبر مسار اليهودية والمنات الى التطرف والانغلاق ويستغلها اليوم أشد الصهاينة تعصبا فى يهودية لا يؤمن بها معظمهم وما نشجه بالذات هو القراءة الانتقائية للتوراة وللقوانين اليهودية التى وضعها الكهنة والكتبة القراءة التى تعزل اليهود عن بقية الشعوب ولا ننسى أبدا أن هناك فى الشريعة اليهودية الأصلية مساهمتها الرائعة فى اعلاء شأن الانسان فى مقابل نزعات الفناء تلك بنور ازدهار الهى للحياة العبر مسائل التحالف والوعد ووالوعد ووالمسائل التى يرى سفر التكوين

أن جميع شعوب العالم مدعوة الى تبنيها : فالتاريخ انما هو انبثاق دائم لكل جديد أصيل الجدة في حياة البشر •

وكنت قد ذكرت في كتاب سابق لي بعنوان « نداء الى الأحياء » أن من كبريات مآسى الدولة الاسرائيلية الحالية خضوعها لأحكام الحاخامات المتطرفين ، مي وقت تحتاج فيه الى رسل ،

بالنسبة لهذه السنة الشاملة التى اتبعتها اليهودية منذ القدم تشكل الصهيونية السياسية تعسفا قوميا واستعماريا يدين بتوجيه و لا لليهودية بن للتعصب القومى والنزعة الاستعمارية المنتشرتين في أوروبا خلال القرن التاسع عشر و كما أنها لا تستخدم القراءة الانتقائية والقبلية للتوراة ع بتحول صريح عن صراط الله الالتزوير مقاصدها السياسية وتمويهها و

ثالثا ــ تزوير التوراة لخدمة أغراض الصهيونية:

ثم يذهب جارودى الى أن مرحلة الصهيونية العسكرية التى تمثل تماما تزوير التوراة لخدمة أغراضها ، فى التوسع المستمر على المحدود والقتل والارهاب • وقد سبق لبن جوريون عام ١٩٣٧ م فى تقرير قدمه لمؤتمر المجلس الصهيونى العالمي في زيوريخ أن رسم حدود اسرائيل باسناد « توراتي » يقضى بأن تضم « أرض اسرائيل » مناطق هى جنوب لبنان حتى نهر الليطانى وجنوب سوريا وشرق الأردن وفلسطين وسيناء • وفى عام ١٩٥٧ م أعلن بن جوريون فى الكنيست أن سيناء جزء من مملكة داود وسليمان • ونفس النغمة هى التى سادت بعد أحداث ١٩٦٧ وأعلن أن حدى أرض الميعاد هما نهر الفرات ونهر النيل •

وهكذا بين جارودى الى أى مدى زيفت الصهيونية التوراة بهدف اضفاء الشرعية على أى عدوان مبيت سلفا ، أو لتبرير أى الحاق أو ضم لأراضى غيرها • وقد أضفت اسرائيل على مذابح لبنان واحتلال أراضيه ومجازر مخيمى صابرا وشاتيلا ما أضفته من قبل على مذابح دير ياسين من صفة القداسة « المزورة » •

ويذهب جارودى الى أن العنصرية لا تقوم على أساس علمى وانما تعتمد على الأسطورة البالية في سفر التكوين لتبرير الطبقية والتسلط والعنصرية ، ويكشف جارودى عن جنون العظمة لدى العسكريين الاسرائبليين ، كما يتمثل في نبوءة ومخاوف أحد أوائل الصهيونيين وهو مارتن بيوير » الذى قال أن اليهود أبع من كونهم أمة ، انهم أعضاء جماعة وعقيدة وكان يريد أن يثبت أن هناك شيئا اسمه « القرية اليهودية » وقال ان دور اصطفاء اسرائيل ليس نوعا من الاستعلاء ولكنه احساس بالقدر والمصير ، ويبين جارودى كيف انتشرت هذه الأفكار نتيجة للتحكم في التوجيه الفكرى ندى النشىء الاسرائيلي منذ وجوده في الدرسة وغرسه في عقول الجنود بواسطة الحاخامات وغرسه كذلك في أذهان الشعوب عن طريق الدعاية الصهيونية ،

وبين جارودى كيف استخدم اليهود فكرة الشعب المختار وأرض الميعاد استخداما شاذا لافساد ما بين الاسرائيليين والمسيحيين ، ولتبرير الاغتصاب الدموى للحقوق الانسانية بمساعدة الحاخامات المتعصبين في الأحزاب الدينية التي تدعو الى « الحرب المقدسة » •

ثم يؤكد جارودى أننا نحارب الصهيونية السياسية لأننا ضد التمييز العنصرى ، ويذهب بعد ذلك الى أن ما يروجه الصهيونيون من أن معاداة الصهيونية هى السبب فى نشوء العداء انسامية ، ليس صحيحا ، وانما السبب يكمن فى الصهيونية ذاتها ، التى تدعى استخدام الدين ادعاء مزورا لاضفاء القداسة على السياسة والدين منها براء ، ولذلك يكشف جارودى فى فصول كتابه القيم حقيقة الوهم المحيط بالصهيونية السياسية التى تقوم على التمييز العنصرى ــ داخليا ــ وعلى العدوان والتوسع خارجيا ــ مستعينة بالارهاب فى تحقيق أطماع التوسع وغزو عقول الانسانية ،

وتأسيسا على هذا الفهم ، يكشف جارودى الستار عن خرافة الحق التاريخي لليهود في فلسطين ، ويؤكد بمنهجه العلمي « أن الفلسطينيين العرب هم سلالة أقدم شعب سكن كنعان » وأن الحضارة العربية في فلسطين نشأت « قبل ظهور العبرانيين » يقول جارودى :

« هذه الأرض هي الموطن التاريخي لليهود ٠٠ وفقا لذكرة المنظمة الصهيونية العالمية الى مؤتمر السلام في جنيف عام ١٩١٩ ٠

وكان اعلان قيام دولة اسرائيل في ١٤ مايو ١٩٤٨ قد أكد بأنه بموجب الحق الطبيعي والتاريخي للشعب اليهودي •

« قد انشئت هذه الدولة في فلسطين » •

وهذا المفهوم « للحقوق التاريخية » يرتبط دائما عبر الدعاية الصهيونية بمفهوم « الوعد » بالأرض الذي يعطى للاسرائيليين : حقا الهيا صريحا في امتلاك فلسطين والسيطرة عليها » •

ومع ذلك فان جارودى يتناول كلا من المسألتين على حدة ، ذلك ألأنه ليس هناك ، خارج نصوص التوراة أى اشارة لروايات العهد القديم قبل القرن العائم «قبل الميلاد» لا في مدونات شعوب الشرق الأوسط ولا في المفريات الأثرية ، بل أن عالما كالأب « ديفو » حريصا على انقاذ عراقة العهد القديم التاريخية ، يعترف كغيره من الناس بأنه ليس هناك « خارج التوراة » أى اشارة واضحة للعبريين واقامتهم بمصر وخروجهم منها ، ولا حتى الى غزو أرض كنعان ، ومن المشكوك فيه اكتشاف نصوص جديدة تبدد هذا الصمت ،

أما « الوعد » بأرض فلسطين في حالته الحاضرة ــ فلم يظهر الا في كتابات المنتفعين به • وكان مفسرون آخرون ، طوال قرن من الزمان قد توصلوا أيضا الى استنتاجات أكثر حسما ــ كما سنرى فيما بعد بصدد أسطورة « الوعد » في التــوراة ــ من أمثال : فــون راد • ونوث • وطومبسون • وفان سيتر ، وألبير دى بورى وغيرهم •

وأول ما يلاحظ عند عدم التسليم دونما تفحص ناقد _ بصحة الأجزاء (جارودى)

التاريخية من العهد القديم • ان تاريخ العبرييين - بدلا من تشكيله « محورا » للتاريخ • كما تزعم نظرة « الاستثناء » التى تنادى بها الصهيونية السياسية وتساندها بعض التعاليم المسيحية - لا يبدو فى أى وقت من الأوقات متميزا عن تاريخ ممالك بلاد ما بين النهرين والحيثيين والمصريين •

وعند استعراض جارودى للمرحلة التاريخية التى تنوه بها الوثائق المدونة ، يتبين ما يلى :

العصر البرونزى القديم فى الألف الشالث محيث ثبت وعلى الأخص بعد اكتشاف ألواح « أنبا » عام ١٩٧٦ وجود سابق فى أرض كنمان لحضارة مدنية كبرى لدى الشعوب الناطقة باحدى لغات العرب السامية كالأرامية ولغة كنمان •

_ ثم المرحلة المعدة ما بين ٢٠٠٠ قدم و ١٩٠٠ ق٠م٠ والمتميزة بشملل البدو الرحل ٠

_ والسيطرة المصرية اعتبارا من منتصف القرن السادس عشر ق٠م ، حينما جعل فراعنة الأسرة الثامنة عشرة من فلسطين ثغرا مصريا ٠٠

وهذه المنطقة الواقعة في قلب الهلال الخصيب المعتد من النيل الى الفرات عبرت بها وتمازجت مجموعات بشرية من كل نوع ودين • الى أن دخلها بدو أو رعاة في سبيلهم الى الاستقرار باحثين عن المراعي وآتين من بلاد ما بين النهرين أو من شرقي الأردن • ليصلوا الى أرض كنعان في بداية الألف الثاني • في العصر البرونزي القديم • وليجدوا بين سكانها الأصليين أولئك الكنعانيين الذين كانوا يتميزون بحضارة مدنية • كشفت لهم • في نهاية الألف الثاني عن معدن الحديد والمكتابة الأبجدية وخلافا للصورة المتوراتية التقلينية فان العبرانيين نم يشكلوا عنصرا متميزا قبل دخول البدو أرض كنعان • • بل تشكلت تجمعاتهم من وحدات عرقية مختلفة كانت جزءا من هجرات بدوية واسعة « من الأموريين أو الآراميين حسب فول الأب ديفو » •

وبين أولئك البدو الرحل من استقر في أرض كنعان بينما تابع الآخرون سيرهم الى أرص مصر •

هؤلاء البدو _ ومنهم الذين عرفوا غيما بعد بالعبرانيين _ أخذوا عن الكنعانيين لغتهم • وكتابتهم • ومعتقداتهم • • حتى حوالى ١٤٠٠ ق • م حينما سعوا ألى مراع جديدة في مصر • مقتفين على الأرجح أثر الغزاة الهكسوس •

ويتوقف جارودى هنا أمام عظمة الاسلام في موقفه من اليهود فيقول:

« وأذا كان الصليبيون غداة استيلائهم على القدس عام ١٠٩٩ قد احرقوا اللهود في معبدهم فان صلاح الدين الأيوبي • الذي كان يستعيد القدس عام ١١٨٧ قد أذن لليهود بالعودة الى المدينة المقدسة •

ولم يعد اليهود الى فلسطين الا على أثر حملات الاضطهاد والملاحقة في آوروبا ٥٠ وليس بدافع من حنين الى « وطن الأجداد » ففي القرن الخامس عشر الميلادى ٥ كان أول العائدين يهود أسبانيا بعد سقوط الحكم العربى فيها ٥٠ أولئك الذين نم يشعروا بحاجة الى الهجرة طوال ثمانية قرون من التعايش مع العرب • ولكنهم الخيطروا الى الفرار من جور محاكم التفتيش والملوك المتشددين في « كاثوليكيتهم » ٥٠ لم يات منهم الى فلسطين سوى عدد قليل جدا • بينما التجأت الأكثرية الساحقة الى فلسطين سوى عدد قليل جدا • بينما التجأت الأكثرية الساحقة الى

فرنسا • وهولندا ، وايطاليا • ومصر • وقبرص ، والبلقان وفى عام ١٨٤٥ لم يكن فى فلسطين سوى « ١٢ » ألف يهودى من أصل مجموع السكان البالغ • ٣٥ ألفا وفى عام • ١٨٨٠ : « ٢٥ » ألفا من أصل • • ٥ ألف وقد أتت حملات الاضطهاد فى روسيا عام ١٩٨٢ بموجة جديدة تبعتها موجات من يهود بولندا ورومانيا •

ومع نمو الصهيونية السياسية انطلاقا من كتاب تيودور هرتزل حول الدولة اليهودية « الصادر عام ١٨٩٦ لابد لتفهم الدوافع الجديدة للمركة من وضع النقاط على الحروف بالنسبة لمسألة « الحقوق التاريخية » •

ويواصل جارودى فى كتابه كشف أحلام الصهيونية وأضاليلها ، فيتحدث تفصيلا عن ترييف التاريخ لتبرير العدوان ، وكيف ابتكر اليهود فكرة العنصرية واستخدمها النازيون ضدهم ، ويخلص من دراسته هذه الى أن « المعجزة الحقيقية فى فلسطين : عربية » •

يقول جارودى :

« لم يكن العبرانيون هم الشاغلين الأوائل لفلسطين بل كانوا فيها بالأحرى بين كثيرين غيرهم من شعوب « الهلال الخصيب » ولا يستطيعون بصال من الأحوال المطالبة بوضع استثنائي لهم في سياق هذا التاريخ الطويل الا أن الصهيونية تخضع أحداث الماضي للتلاعب والتحريف المنظمين حينما لا تستبقى في الكتب المدرسية الاسرائيلية وفي مضامين الدعاية المفارجية ما يعتبر ذا دلالة في تاريخ فلسطين سوى الأويقات العابرة والنادرة التي قيض للعبرانيين فيها أن يؤدوا دورا ما العابرة والنادرة التي قيض للعبرانيين فيها أن يؤدوا دورا ما

١ _ احتلال القبائل في عهد « يوشع » لأرض كنعان وقد حدث في القرن ١٣ ق٠م وفقا لنصوص القرن العاشر التوراتية ٠

وهذا التوغل ما لبث أن حول الى حرب مقدسة والى غـزو لاستتصال شافة الأعداء والقائمون بهذا التحويل انما هم لاهوتيو

القرن السادس في اعادتهم لكتابة التاريخ طبقا لأغراض سياسية

- ٢ ــ سنوات حكم داود وسليمان ومجموعها ٧٣ سنة ٠
 - ٣ _ النفى الى بابل ٠٠ ثم العودة منها ٠
- ٤ _ وأخيرا ثورات عام ٦٣ م وعام ١٣٥ م ضد الرومان ٠٠

أما بقية التاريخ فلا أثر لها •

كما لو أن شيئا لم يحدث فوق هذه الأرض منذ الألف الثالث حتى مجىء العبرانيين خلال ألفين من السنين ثم لا شيء أيضا خلال قرابة الفين آخرين بدءا من « باروكوشيا » •••• وحتى انشاء دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ م » •

ويخلص من دراسته الى أن علم الأجناس يؤكد أن الفلسطينين هم أحق بالأرض من يهود الشتات ، ويطرح سؤالا يلخص جذور الادعاء الصهيوني وهو:

« من يملك الحق في ارث ابر اهيم الخليل ؟ » •

ىقول جارودى:

« الحقيقة أنه لم يكن للعنصر اليهودى من وجود أصلا وفيما عدا هذيان هتلر والصهيونيين كان « اليهود » خلال جميع مراحل التاريخ أحد مركبات الفئات السكانية التي لم تكن تشكل بدورها أصولا عرقية •

ان البدو الرحل أو الرعاة المتجهين نحو الاستقرار ، ممن دخلوا أرض كنعان كانوا آراميين ، أتوا من شمانى الفرات ، ومن شرقى الأردن ومن شبه الجزيرة العربية ، أى أنهم بحكم لعتهم لا بحكم دمهم ـ كانوا « ساميين » كما هم اليوم العرب والاسرائيليون يشهد على ذلك ما هى اللغتيى ، العبرية والعربية من تقارب ،

و « العابرو » « العبريون » الآتون من مصر وقت « الضروج كانوا فئة اجتماعية من الهامشيين ، المعارضين لا عنصرا متميزا ، والقبائل التي تسللت الي أرض كنعان بسلام أو بحرب تمازجت بالسكان المحليين ثقافيا وزواجا تشهد على ذلك قوانين اسدراس ونحميا العنصرية الصادرة معد عدة قرون ،

ثم ان مملكة داود وسليمان كانت متعددة الجنسيات ، حفية بالأجانب ونزعاتهم الدينية وعندما سمح البابلي أحشيروش للمنفيين من اليهود في بابل « بالعودة » بقى معظمهم في بلاد ما بين النهرين •

حبث شكلوا جذورا أسرية .

وأخيرا حينما طرد الرومان الاسرائيليين المتمردين سنة ٧٠ م ٠

وفى (باركوشيا) فيما بعد نجح المنفيون فى تحويل بعض السكان الذين آووهم ألى اليهودية ٠

وكان جوزيف ريناخ قد كتب في (جريدة المناقشات) يوم المرامه عوله بأن « يهود فلسطين لا يشكلون سوى أقلية لا تذكر والبهود كالنصارى والمسلمين عمدوا بحماسة وايمان الى ادخال الشعوب في دينهم ، بل انهم قبل العهد المسيحى أدخاوا في ديانة موسى الموحدة الله ساميين آخرين (كالعرب) ويونانيين ومصريين ورومانيين • بأعداد كبيرة وبعد ذلك نشط التبشير اليهودى في آسيا وأفريقيا الشمالية وايطاليا وأسبانيا وبلاد العال وكان الرومان والغاليون المحولون الى اليهودية هم بلا شك الأكثرية في الجماعات اليهودية المسار اليها في حوليات «جربجواردى تور » كذلك كان بين اليهود الذين طردهم الملك الكاثوليكي فرديناند من أسبانيا كثير من الأسبان المتحولين الى اليهودية ، وقد انتشروا في ايطاليا وفرنسا والشرق وأزمير ، والأكثرية الساحقة من اليهود الروس والبولونيين والكاليدين يتحدرون من « الخزر » وهم الميهود الروس والبولونيين والكاليدين يتحدرون من « الخزر » وهم الميهود تترى في جنوبي روسيا تحول برمته الى اليهودية في عهد شارلمان ،

لذا فمن يتحدث عن عرق يهودى ، أما أن يكون جاهلا أو ذا نية خبيثة ، ذلك أن اليهود لم يكونوا سوى قبيلة بين العديد من القبائل العسربية أو السامية التي استقرت في غربي آسيا » •

يهـودية ٠٠ لا صهيونية:

ويستخلص « جوزيف ريناخ » من كل ما سبق نتيجة واضحة هي :

« بما انه لا بوجد عنصر يهودى ولا أمة يهودية بل مجرد ديانة يهودية فالصهيونية اذن هى بالتالى حماقة وثلاثية الخطأ : تاريخيا وأثريا وعرقيا يؤكد هذا مكسيم رودنسون ، بمزيد من الدقة العلمية فيقول :

« من المرجح ، كما يجنح عام الانسان الى تبيانه أنه يجرى فى عروق السكان المعروفين بعرب فلسطين ــ ومعظمهم معربون ــ قدر من دم العبرانيين القدامى أى الآراميين شعب ابراهيم عليه السلام ــ أكبر مما يجرى فى عروق أغلبية يهود الخارج ، ممن لم يمنع انغلاقهم الدينى من امتصاص متحولين الى اليهودية مختلفي الأصول المعرقية .

وأوضح خاتمة لازالة الخداع التاريخي هذا هي التي أوردها توماس كبرنان في كتابه العرب « صدر في بوسطن ١٩٧٥ » قائلا :

« كان الصهاينة أوربيين وليس هناك أبدا من رابط حيوى أو عضوى بشرى بين أجداد يهود أوروبا وبين القبائل العبرانية القديمة » •

وانهاء لموضوع « الحقوق التاريخية المزعومة » يذكر جارودى بمواقف ثلاثة جوهرية في مسيرة اقامة الدولة الصهيونية :

۱ _ وعد بلفور الذي تضمنته رسالة موجهة الى البارون دى روتشيلد في الثانى من نوفمبر تشرين ثانى عام ١٩١٧ « ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى في فلسطين لا وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه المغاية على أن يفهم

جليا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يغير الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى •

وسرعان ما وعي بلفور مخاطر وعده فقد كتب يوم ١٩ /٣/٢٩ الى « لويد جورج » ما يلى :

« النقطة الضعيفة في موقفنا هي أننا غيما يتعلق بفلسطين قد رفضنا مبدأ تقرير المصير ذاتيا • فلو كان السكان الحاليون قد استثنيروا لكان قرارهم حتما ضد الاستيطان اليهودي •

وهذا على أية حال كان ما أكده تقرير لجنة كنج _ كرين التى أرسلها الرئبس الأمريكي ولسون عام ١٩١٩ لتقصى الحقائق حول « أفكار ورغبات مجمل السكان » • يقول التقرير بالنسبة لفلسطين :

لقدامى السكان هنا ، من مسلمين ومسيحيين على السواء ، نفس الموقف المعارض لأى نزوح يهودى جماعى والمضاد لأى مسعى نحو بسط سيادة يهودية عليهم ، وهنا نتساءل عما اذا كان هناك من بريطانى أو أمريكى بين الرسميين ، يمكن أن يعتقد بامكان تحقيق البرنامج المسهيونى ، الا أن يكون بدعم جيش كبير » ،

ونبذت اللجنة البرنامج الصهيونى الموسع مقترحة الابقاء على الوحدة السورية الفلسطينية تحت انتداب بريطانى أو أمريكى مع كفالة وطن قومى يهودى محدود •

وقد وفق « أرثر كوستار » في وصف العملية التي جرت عندما قال في كتابه « الوعد والوفاء » (ص ٤):

« أمة وعدت أخرى علنا بأرض أمة ثالثة ومع هذا الوعد بدأت سلسلة الأكاذيب التي تحكمت بمسيرة دولة اسرائيل وقادتها • ولم يكف

الانتهاك المستمر للاشارة الواردة في وعد بلفور الى احترام حقوق « الطوائف غير اليهودية » •

وكان اللورد كروزون قد كتب منذ ١٩١٩/١/٢٦ يقول «بينما يقول الله وايزمن شيئا وتظن أنه يعنى — وطنا قوميا يهوديا يمضى تفكيره الى شيء مختلف كل الاختلاف فهو يتطلع الى دولة يهودية • وسكان عرب خاضعين تحت حكم اليهود وأنه يسعى الى تحقيق ذلك خفية ويضمانة بريطانية •

ويكشف جارودى بعد ذلك عن البرنامج الصهيونى وكونه استعماريا باعتراف « هرتزل » ولذلك يذهب جارودى الى أن « الصهيونية جزء من الابادة العنصرية لغير اليهود » يقول:

« خرافة الحنين المتوارث جيلا بعد جيل » الى « العودة » تخفى وراءها الحقيقة الاستعمارية للصهيونية في القرن العشرين •

والروحانيون اليهود الذين نادوا بالعودة الى فلسطين ، ظلوا منعزلين مثل يهودا هاليفى (١٠٨٥ – ١١٤١ م) الفيلسوف والشاعر اليهودى في زمن كان اليهود يتمتعون فيه بوضع متميز فى أسبانيا المسلمة ، فقد كان هذا الشاعر الصوفى الكبير يرى فى كل يهودى نبيا موكدا أن الحدس الالهى ، الذى هو هبة خاصة بهم لا يتفتح الا فى بلاد اسرائيل و ونداؤه هذا – الذى يستند اليه الصهيونيون السياسيون اليوم دون مشاركة لصاحبه فى ايمانه – لم يلق تجاوىا فى حينه ، كما لم يتبع خطاه أحد بعد أن توجه الى القدس ومات عند أبوابها كذلك كان الحال فى القرن الثالث عشر بالنسبة الفيلسوف المتصوف « نشتيد » الذى توجه للعيش فى القدس دون أن يجد أحداً يتبعه ،

ان الاضطهاد كان هو الدافع للهجرات الكبرى الى فلسطين وليس المعنين الى الوطن ، لم يكن الحاخامات المبشرون بالخلاص المنتظر فى كتاب « زوهارر » الذى ظهر فى القرون الوسطى ليؤكد خرافة الشعب

المختار ــ ليشجعوا عليه أبدا واليهود الذين سبق أن طردهم الصليبيون من القدس ، عاد « الملوك الكاتوليك لا فطردوهم من أسبانيا عام ١٤٩٢ م عدا من تحول عن دينه أمام ارهاب محاكم التفتيش الخاصة بالكنيسة الكاثوليكية وحينئذ لجأ العدد الأكبر منهم الى أنحاء متفرقة من أوروبا بينما توجه العدد القليل الى فلسطين ، حيث كان متصوفوا صفد يقرنون رؤياهم الشاملة للمحبة الالهنة ووحدة العالم بتأويل أسطورى لتاريخ اسرائيل » •

ثم يطرح جارودى عددا من القضايا التى تكشف أحلام الصهيونية وأضاليلها وكيف أن علم الآثار يؤكد تزوير الكهنة تاريخ يوشع وداود عليهما السلام ويتساءل جارودى: «كيف تبادل الاستعمار والصهيونية الاستفادة من أسطورة الشعب المختار» ؟ ولماذا يركز الصهيوني على فكرة (الابادة) ؟ فيقول:

« الصهيونية السياسية تتمسك بالاستثناء والتفرقة تعزيزا للفكرة القائلة بأن اليهود لا يستطيعون العيش بأمان في الشتات (دياسبورا) ولكن في دولة منفصلة فقط ، كما لو أن الدولة وحتى المالك مهما بلغت من القوة لم يجتمها أحد ولم يلحق بها الخراب ، ولم ينهب الغزاة أهلها وليس صحيحا أن الصهيونية السياسية – في مشروعاتها أو في انجازها للدولة – قد أنقذت اليهود ، لقد تم القاذ اليهود من النازية بفضل انتصارات ستالينجراد والعلمين ولولا هذه الضربات الموفقة للاندفاع الهتلرى الى الشرق ، لباتت فلسطين – بالدولة الصهيونية فيها أو بدونها الهتلرى الى الشرق ، لباتت فلسطين – بالدولة الصهيونية فيها أو بدونها الهتلرى الى الشرق ، لباتت فلسطين – بالدولة الصهيونية فيها أو بدونها الهتلرى الى النازى ،

ان السبب البعيد لهذا التزييف التاريخي الذي قام به الصهاينة هو سبب سياسي ، فالمقصود من تلك « الاستثنائية » هو انتزاع الدولة الصهيونية من المجموعة الدولية واعتماد علاقات مع بقية الدول لا تكون طبيعية وقائمة على التفاهم المتبادل والمصالح المشتركة والغايات السلمية المخلاقة بل علاقات استثنائية يتحكم فيها الشعور بالذنب الى حد يكفى

عنده التلويح بمحرقة « الهولكوست » ليصبح كل شيء مسموها به للضحية المختلفة عن غيرها • بما فيه تسديد التعويض عن جرائم الأمس •

ونتيجة ذلك التمسك من جانب الصهيونية السياسية بالترويج لوهم الاستثناء والتميز _ كانت عزلة تامة _ نرى تلك النتيجة في عزلة أسرائيل داخل منظمة الأمم المتحدة حيث لم تكن لتتحدى كل شيء لولا الدعم غير المشروط وغير المحدود من الولايات المتحدة الأمريكية ولكن اذا توقف الدعم الخارجي ذات يوم _ كما حدث في الماضي مع الصليبيين • بشأن الأسلحة والأموال _ فان الارتباط المالي والعسكرى الدولة الصهيونية سيكون له من التأثير ما يكشف عن أسو! كارثة أعدتها الصهيونية السياسية لليهود أنفسهم ولنتستر عنى هذه الحقيقة الرهيبة • يعمد الزعماء الاسرائيليون الى استخدام كل الوسائل لتصوير أنفسهم وكأنهم كل بوم على حافة الزوال « في محرقة هولكوست جديدة » وفي سبيل ذلك مهم بحاجة الى اذكاء معاداة السامية في الخارج • والى التهويل بالتهديد العربي في الشرق الأوسط بينما اتصلت حلقات ذبائحهم من دير ياسين عام ١٩٤٨ الى صابرا وشاتيلا عام ١٩٨٢ وهكذا فان الزعماء الصهيونيين سواء نسبوا أنفسهم الى اليسار أم الى اليمين أو كانوا أعضاء في الحزب العمالي أم في ليكود أو كانوا ناطقين باسم الجيش أم باسم الحاخامية يتذرعون دوما وأبدا بذرائع توراتية لتبرير كل مطالبة بأرض يكفلها لهم « حق الهي » بامتلاك فلسطين يجرى كل هذا • كما لو أن بالامكان ابراز صل هبة ممهور من الله • من شأنه اثبات حق نزع الملكية من كل شاغل نتلك الأرض •

هذا المفهوم للوعد وكذلك وسائل تحقيقه • كما يستقيها زعماء الصهيونية السياسية من سفر يوشع • ومن الانتصارات التي حققها بأمر الرب وعونه كما يزعمون في استئصال شأفة الشعوب السابقة وبالاضافة الى مسائل الشعب المختار واسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات كل هذا يشكل الأساس الأيدلوجي للصهيونية السياسية •

ويطرح جارودى بعد ذلك قضية تكشف أضائيل الصهيونية تتلخص

فى تساؤله: « لماذا اختلفت روايات كهنة اليهود لتاريخهم فى كل عصر ؟ ؟ ثم يكشف كيف تحاول « الصهيونية تضلبل المسيحية بعد تشويه اليهودية » ، وينتهى من هذه الدراسة الى استقراء التوراة والأناجيل لكشف ما يدعيه اليهود ، ويستلهم القرآن الكريم فى التعريف بذرية ابراهيم حيت المساركة فى العقيدة الواحدة هى الأساس حينما لبى ابراهيم نداء ربه (فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ، قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) « سورة الصافات ١٠٢ » ٠

ويقف جارودي هنا خاشعا ليقول:

« بمثل هذا التسليم غير المشروط تسليم الانسان كل أموره لتقدير الله سبحانه كانت البداية بالنسبة لذرية ابراهيم » •

ويعقب جارودى قائلا:

« ان أى سوء استخدام للقانون البهودى لن يستطيع اسكات الذين يحسنون التمييز بين شريعة الكهان وبين رؤيا الأنبياء ونحن لن نسمح لأى كان أن يحول اسرائيل الى معزل « جيتو » دينى بعزائم الخلاص المنتظر يهزأ بالسنين الشاملة للانسانية وللقانون الدولى •

هذه الصرخة تفضح الانحراف الفكرى في أسس اليهودية الناتج عن توظيف الصهيونية السياسية للخرافات والأساطير في تحقيق أغراضها

والواقع أن مجمل سياسة دولة اسرائيل الداخلية والخارجية مستعد وفق منطق محكم من الخاصيتين الأساسيتين للصهيونية السياسية باعتبار هذه الأخيرة ظاهرة استعمارية صرفة متخفية بزى عقائدى مزيف تشكل كما وصمها في مهدها معظم الحاخامات والمتعلقين السابقين بالعقيدة اليهودية والمستركين بمؤتمر بال عام ١٨٩٧ خيانة للديانة اليهسودية المفرغة من مدلولها الروحي كله ، والمستخدمة لتبرير سياسة قومية ، وعنصرية ،

ان عنصرية الصهيونية السياسية نظام شديد التماسك تستمد منه دولة اسرائيل تشريعها وتطبيقها لكل قوانينها •

وقد سبق نهذه العنصرية أنكانت المبدأ المكون لشروع تيودور هرتزلكما كشف عنه كتابه « الدولة اليهودية » وكذلك يومياته ، فمنذ الثورة الفرنسية وفي فرنسا أولا ثم غي مختلف بلاد أوروبا خلال القرن التاسع عشر كان موقف التمييز العنصرى الباني واللانساني ازاء الطوائف اليهودية يتراجع بقدر تقدم الديمقراطية اذ أن معظم هذا الطوائف المندمجة في الدول التي تتبعها سلمت أمورها لدولها حيث ساهمت فعليا بتوجيه سياستها واقتصادياتها وثقافاتها ، وتميز نتاج البارزين من تلك الطوائف بشموليته العالمية التي سبق أن رفعت من شأن فكر سبينوزا ، فمن كارل ماركس الي مارتن بوبر ومن موسيقي مثل مندلسون الى فيزيائي مثل اينشتاين الى مارتن بوبر ومن موسيقي مثل مندلسون الى فيزيائي مثل اينشتاين كانت الرسالة المنقولة موجهة الى الانسانية جمعاء ،

لاذا اتفق هرتزل مع أعداء اليهود ؟

وفى الأجابة عن هذا السؤال يكشف جارودى عن تحالف الصهيونية والعداء للسامية غير المقدس كما يوضح كيف أصبحت العنصرية أساسا لمقوانين الجنسية •

يقول جارودى :

«جاء مشروع هرنزل ليخط له اتجاها معاكسا لتك السنة الحميدة ولك أنه قد تأثر تأثرا عميقا بقضية «دريفوس» التى اتهم فيها ذلك الضابط الفرنسى اليهودى بالخيانة ظلما لكى تستخدم مشاعر اليهود من أجل تغطية فساد عدو كبير من رجال المال والسياسة والحرب فهب هرنزل بضراوة وليهاجم اندماج اليهود في مجتمعاتهم واستعان بالنظرية الأساسية للمعادين السامية ، في دفاعه عن الفكرة القائلة بأن اليهود غير قابلين للاندماج في غيرهم وبالتلى يتوجب عليهم الانعزال من أجل تشكيل دولة منفصلة لا تكوين ديانة أو مساهمة ثقافية و

وتحقيقا لأهدافه لم يكن هرتزل ليتردد في استخدام لهجة خاصة تناسب كلا من مفاوضيه على حدة • لاقناعه بما يمثله اليهود من مخاطر تستوجب تسهيل رحينهم •

مثلا ؛ في لندن أكثر هرنزل من القول بأن من شأن حل الصهاينة المشكلة اليهودية ابعاد خطر اندلاع ثورة تبدأ مع اليهود ولا أحد يعلم أين تنتهى وفقا لما قاله هرنزل لوزير خارجية ألمانيا فون بولوا ولغليوم الثاني ولوزير داخلية روسيا بليف وللقيصر نقولا الثاني ولأبرز مناهضي السامية « ألوزير الروسي بليف » المسئول عن مذابح اليهود في كتشنيف في نيسان عام ١٩٠٣ وكانت أفظع المذابح أو « البوجرومات » المنظمة في روسيا .

وقد كتب هرنزل اليه في الشهر التالى : مايو « آيار » موصيا بالصهيونية كعلاج مضاد للثورة التي لا بد أن تجتذب الشباب اليهودي بعد كتشنيف وعند استقبال بليف اياه في شهر أغسطس « آب » طلب منه رساله دعم للصهيونية وقد نال هذه الرسالة التي كانت تنص علي وعد بدعم صهيونية تعمل على تهجير اليهود لا على تنمية قومية أجنبية في روسيا .

هذه الرسالة وجدها هرتزل « مرضية » فحث بليف على ابلاغ السلطان العثمانى بمضمونها لكى يدع اليهود يدخلون فلسطين ثم نشر على الناس مراسلاته هذه رغم تحفظات أصدقائه فى المؤتمر الصهيونى عام ١٩٠٣ م » •

ثم بتحدث جارودى عن تحالف العنصريين فيقول:

« وقبل أن ينشر كتابه عام ١٨٩٥ هم ً أحد معارضيه بقتله صارخا انك تلحق أغدح الضرر باليهود فلم يتردد هرتزل في الاجابة بالقول لقد بدأت أحظى بالحق في أن أكون أكبر الدعاة لمناهضة السامية » •

وانطلاقا من وعيه التام لتلافى مساوىء مشروعه الصهيونى ومعاداة

السامية كان يقول لسوف يصبح اللاساميون أوثق أصدقائنا وستكون البلاد اللاسامية حليفتنا •

ثم يقول جارودى :

« ومنذ انشاء دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ لم تعد عنصرية الصهيونية السياسية تكتفى بالعمل على حساب يهود العالم أجمع بل تجاوزت ذلك لتشمل الشعب الفلسطيني الذي تنفى الصهيونية السياسية وجوده أصلا •

ذلك هو البرنامج الموضوع قبل انشاء دولة اسرائيل ، أما تحقيقه على الصعيدين السياسى والاقتصادى فيستجيب تماما للتعريف الذى أعظاه الأستاذ اسرائيل شاحاك الأستاذ في الجامعة العبرية بالقدس والرئيس السابق للرابطة الاسرائيلية لحقوق الانسان ،

ويتحدث جارودى عن أسطورة الديمقراطية فيقول:

« ومن الغريب سماع الدعاية الصهيونية تقول ان دولة اسرائيل هى « الديمقراطية » الوحيدة فى الشرق الأوسط بالاضافة الى زعمها بأن توفر الحرية فيها يصل الى حد تمكن المعارضة من الافصاح عن آرائها فى الصحافة بل وفى الشارع أيضا •

اذا كان صحيحا أن مقاومين بواسل للعنصرية في دولة اسرائيل كالأستاذ شاحاك والمحامية فليسيا لانجر وعضو الكنيست شوليت آلومي ، ويورى أفنيرى والجنرال بيليه والأستاذ لبيونز وغيرهم ، وعددهم قليل مع الأسف في مجال محاسبة المبادىء الجارى تطبيقها ــ يتوصلون بعد كفاح بطولى الى نشر آرائهم وشهاداتهم رغم المتهديد والوعيد فيجب ألا ننسى أبدا أن الاغضاء عن حريتهم تلك لا يتوافر الا داخل المؤسسة اليهودية لكن هذه الديمقر اطية الاسرائيلية تنطوى على تمييز عنصرى في أساسها كما هو قائم في جميع البلاد الاستعمارية حيث كان الجنس الأبيض هــو الحاكم ،

وينتقل جارودى بعد ذلك الى دراسة الصهيونية « من الاستعمار التقليدى الى الاستيطان » ويطرح تساؤلا هاما عن القانون العنصرى وكيف يتحكم فى الاقامة والزواج فيقول:

التمييز العنصرى المتعلق بالمواطنة ، يمارس أيضا عند حق الاقامة والزواج فهناك مدن بكاملها كالناصرة والكرمل « شمال شرقى حيفا » مقامة فوق أرض مملوكة للصندوق القومى اليهودى • توجد خارج حدود القطاع المخصص لغير اليهود •

العنصرية ٠٠ والأرض:

وطابع الصهيونية الاستعماري والعنصري لا يتبدى فقط في معاملات الأحوال الشخصية بل في عمليات اغتصاب الأراضي •

فكما أن الصهيونية قد أنكرت ورفضت دائما وجود الفلسطينيين ابتدعت أسطورة الأرض التى لا يقطنها شعب لشعب لا يملك أرضا حدة الأرض الصحراوية التى يمكن أن يستنبتها هذا الشعب ويجعلها رياضا غناء الا أنه لم تقم أى معجزة اسرائيلية بل يمكن استغراب السرعة المفاطفة التى تم بها طرد السكان واحلال آخرين مكانهم وكذلك سرعة الاغتصاب الذى أتاح تغيير الأيدى المالكة للأرض فلا معجزة اذن فى خطة منهجية لنزع الملكية ، موضوعة قبل قيام دولة اسرائيل بوقت طويل كأداة أساسية بيد السياسة الاستعمارية للصهيونية السياسية .

في ١٢ يونيو (حزيران) ١٨٩٥ كتب تيودور هرنزل في يومياته :

- « علينا التمهل في اتمام نزع الملكيات الخاصة في الأراضي المائدة الينا سنحاول تسهيل خروج السكان المحرومين من الموارد باغرائهم بالعمل في الخارج مع منعهم من المعمل داخل بلادنا أما ملاك الأرض فسينضمون المينا وأما اجراءات نزع الملكيات وابعاد الفقراء • فيجب اتمامها بكتمان وتان وحذر α •

ويخلص جارودى من دراسته لجرائم اسرائيل الى أن القدس ذاتها تكون مدينة السلام حقا حينما يحميها العرب لا اسرائيل و ولذلك يكشف عن ادانة الحاخامات للصهيونية في البدابة والضغوط التي أجبرتهم على التراجع فيقول:

« بعد أن رأينا الطرق التي سلكتها الصهيونية لطرد العرب فلننظر الى محاولتها الرامية الى استجلاب اليهود لتوطينهم في فلسطين ونقول بأنها محاولات لأن عمليتها قد فشلت اذ ليس في اسرائيل اليوم سوى ١٨ بالمائة من يهود العالم وعدد الخارجين منهم يفوق عدد الداخلين حسيما هو حاصل حاليا وذلك لسبب بين فالصهبونية السياسية كانت قد وعدت بتوفير السلامة لليهود في اسرائيل الا أن هذه الحجة لم تكن أبدا مقنعة بل هي اليوم أقل اقناعا اذ بعد نتابع الحروب وعجز الساسة الاسرائيليين التام — بسبب عقيدتهم الصهيونية — عن مخالطة شعوب الشرق الأوسط سلميا ، لم يعد هناك اليوم بلد في العالم أجمع غير اسرائيل ، تتهدد فيه سلامة اليهود ، نتيجة سياسة اسرائيل ومشاركة جنوب أفريقيا الرامية — سلامة اليهود ، نتيجة سياسة اسرائيل ومشاركة جنوب أفريقيا الرامية ...

وخلافا للأسطورة التى روجتها الصهيونية السيامية فان الدافع الدينى وأقل منه الدافع القومى لم يكن له دور يذكر فى العودة الى فلسطين وليس هذا نتيجة عدم اكتراث بل بالأحرى لأسباب دينية محضة وتعلق بأسس اليهودية نفسها فى أرفع تعاليمها و فاذا كان صحيحا تعايش تيارين نابعين من التوراة ومن المأثورات الحاخامية وهما : النفضة الروحانية الكونية المتمثلة فى تبشير الرسل بالخلاص الكونى المنتظر والنزعة القومية الضيقة _ كما تتبدى على الأخص فى كتاب « يوشع » والنزعة القومية المحسة أو لدى عرزا ونحميا في كتب التمييز مول المذابح والابادة المقدسة أو لدى عرزا ونحميا في كتب التمييز العنصرى والحكم الدينى لخدمة التعصب المنطرف _ فان الصهيونية تمثل قراءة وحيدة البانب انتقائية نافضة فى أبواق القومية على حساب سمو اليهودية الروحية باعتبارها دينا سماويا هذا على الرغم من أن هرتزل بالذات أبا الصهيونية السياسية كان ملحدا لا يهتم بالنصوص التوراتية بالذات أبا الصهيونية السياسية كان ملحدا لا يهتم بالنصوص التوراتية

وقد أدانت أكثرية انحاخامات الصهيونية السياسية فور بروزها ٠٠ بل أن مؤتمر فيلادلفيا بين ٣ و ٩ نوفمبر ١٨٦٩ أدان فكرتها المبدئية حتى قبل أن يعبر تيودور هرتزل عن نظرياتها للتبجحة • كما توصل هذا المؤتمر الحاخامي الى قرار يؤكد وجود تعارض جذرى بين مبادى اليهودية الشمولية وبين القومية الصهيونية •

لكن هذا لم يكن يعنى انتفاء أى دلالة القدس لديهم فقول أشعيا « العام انقادم في أورشليم » « والمزمور ١٣٦ اذا نسبتك يا أورشليم » هما في صميم العقيدة اليهودية بيد أنهم يرفضون وضع هذه العقيدة لخدمة سياسة معينة وتخطى الشمولية الكونية دحو القومية ، انهم يجعلون أورشليم القدس وكما فعل أرميا وأشعيا حمركز الوعد بالخلاص المنتظر الذي سبق المسيحية في التوجه الى جميع الشعوب ، وفي تبليغ البشر بالعودة الحقيقية لا بعودة طائفة معينة من أرض معينة بل بعودة الأرض بأسرها وبمن عليها من البشر الى الخالق الأزلى الى مملكة الله كما نتبدى في آيات أشعيا الرفيعة ،

القدس ورسالات السماء:

بأورشليم القدس ترتبط أسمى أحداث ديانات الوحى الثلاث الكبرى: فقد كان للقدس لدى اليهود والمسيحيين والمسلمين اذن مدلول المركز الرفيع الذى تتبوأه عقيدتهم ويتجهون اليه بالاجلال والتقدير ١٠٠ انها بنظر ديانات الوحى الثلاث رمز تجمع البشر جميعا حول ايمان مشترك مثم يتنوجه معراج النبى محمد صلى الله عليه وسلم وهذا هو سبب اجلال المسلمين لها وسماحهم بحج الناس اليها دون تمييز طوال القرون الأحد عشر التى تولوا خلالها حراستها وخدمتها اذا حسبنا الفترات الزمنية التى سيطر فيها على القدس الصليبيون والاسرائيليون و

نقد كان أول اجراء قام به صلاح الدين بعد تعريره القدس هو اعادة فتح أبوابها لليهود ولكل النصارى ، بينما كان الصليبيون قد قتلوا فيها أو طردوا منها اليهود والمسيحيين الأرثوذكس والمسلمين ، كان

الصليبيون يشكلون صهيونية مسيحية كما تشكل الصهيونية السياسية النيوم صليبية يهودية ، وضلال فى المعتبدة ــ كما أثبت ذلك الحاخام عمانوئيل ليفين فى كتابه الصهيونية ضد اليهودية المنشور فى باريس عام ١٩٦٩ ٠

المخطط الصهيوني لتفتيت العالم العربي :

ويكشف جارودى عن المخطط الصهيوني لتفتيت العالم العربي طائفيا وسياسيا فيقول:

« بغزو لبنان أصبح الكذب فاضحا ، ألى الحد الذي صعب معه عدم تبين الحقيقة وفظاعتها ، رغم كل محاولات الصحافة والتلفزيون في تمويه الأمور والتخفيف من حدتها وذانت آولى انحجج التي أبديت تبريرا للاعتداء على لبنان هي محاولة اعتيال انسفير الاسرائيلي في لندن والملصقة بمنظمة التحرير الفلسطينية على انفور وعلى آثر اعتقال الفاعلين والتحقيق معهم كشفت رئيسة الوزراء مارجريت تاتشر عن ملابسات والتحقيق معهم كشفت رئيسة التي وجدن مع الفاعلين والمتضمنة لأسماء أشخاص ينتوى هؤلاء قتلهم ورد اسم المسئول عن مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في لندن مما يثبت آن المهاجمين غير مدفوعين من قبل المنظمة الفلسطينية ، كما زعمت اسرائيل » ويضيف جارودى : « وفي اعتقادى أن الهجوم الاسرائيلي على لبنان ليس انتقاما لمحاولة اغتيال السفير • فذه التي وجد الاسرائيليون فيها حجة لخوض حرب جديدة ، هذا التكذيب للدعاية الاسرائيلية مر في فرنسا مرورا خاطفا بينما هو قد ألغي أسطورة « الدفاع الشرعي عن النفس » التي استخدمت كمبرر لذلك العدوان الجديد •

وعلى بعد مائتى متر من مقر القيادة العسكرية الاسرائيلية في بيروت وتحت انظارها ، وتحت ضياء قنابلها المضيئة ليلا ، قام « أعوان » المحتل الاسرائيلي بمجزرة جماعية استمرت نلاثة أيام تم فيها ذبح أولئك الذين

كان الزعماء الاسرائينيون يهدفون الى أبادتهم ولخص بيجين الموضوع كان الزعماء الاسرائينيون يهود قد قتلوا غير يهود » •

وهذا ليس سوى ظاهر القصة التى ينبغى النظر الى مضمونها كمرحلة بين كثير من مراحل تحقيق مشروع الصهيونية السياسية « اسرائيل الكبرى » •

وللاقتناع بعدم علاقة غزو لبنان بمحاولة الاغتيال في لندن «ولا بأى تهديد لأمن الجليل « يكفى وضع الهدف اللبناني في موقعه من منظور المشروع الصهيوني « اسرائيل الكبرى » •

خطة بن جوريون:

ففى وقت لم يهاجم خلاله أى دبلوماسى اسرائيلى ، ولم تكن منظمة التحرير الفلسطينية موجودة أصلا ، ولم يهدد أى ارهاب أمن الجليل ، كان ذكر غزو لبنان واردا فى البرنامج الزمنى لعمليات ضم الأراضى الى اسرائيل ، اذ كتب بن جوريون فى (يومياته) بتاريخ ٢١/٥/٢١ ، ما يلى :

« يشكل لبنان نقطة الضعف في التكاتف العربي ٥٠ فالتفوق العددي الاسلامي فيه مصطنع ، ويمكن التقليل من شأنه بسهولة ، ويجب أن تنشأ فيه دولة مسيحية تكون هدودها الجنوبية عند نهر الليطاني • ونعقد معها معاهدة تحالف ومن ثم حينما نكون قد حطمنا القوة العسكرية العربية ، وضربنا عمان بالقنابل ، سنمشط شرقي الأردن لتسقط سوريا بعد ذلك •

ولو تجرأت مصر وحاربتنا فستقصف بورسعيد والاسكندرية والقاهرة بالقنابل وهكذا ننهى الحرب وننتقم لأجدادنا من مصر وآشور وانكدانيين » •

وهنا يتحتق المرء على ضوء الأحداث الراهنة ، كم يمكن للهلوسة الميثولوجية لدى صهيونية متعجرفة ، أن تدفع بآلاف المخلوقات الحية الى سفك الدماء وذرف الدموع •

خطـــة ديان !

وقبل توافر مبررات الهجوم على لبنان بوقت طويل ، أدخل موشى ديان بعض التحسينات على « السيناريو » الذى وضعه بن جوريون لغزو لبنان فقى عام ١٩٥٤ ، يوم لم تكن للضابط سعد حداد ــ هذه الدموية بيد بيجين سوى صببى صغير ٥٠ يطالعنا موشى ديان بالخطة التالية المنشورة فى « يوميات » موشى شاريت أحد رؤساء الوزارة الاسرائيلية السابقين وبتاريخ ١٩٥٥/٦/١٩٥٥ ، حيث يقول شاريت :

« وفقا لدبان ، فالأمر الضرورى الوحيد هو العثور على ضابط صغير الرتبة أما أن نتوصل الى اقناعه أو أن نشتريه بالمال ، من أجل أن يقبل اعلان نفسه منقذا للسكان الموارنة (المسيحيين) • وعندئذ يدخل الجيش الاسرائيلي لبنان فيحتل المنطقة اللازمة ويقيم نظاما مسيحيا يكون حليفا لاسرائيل • أما المنطقة الواقعة جنوبي نهر الليطاني فتضم نهائيا لاسرائيل وبعد بضعة أيام من يومياته يكتب شاريت هذه الملاحظة :

_ « استحسن رئيس هيئة أركان الحرب فكرة شراء ضابط (لبنانى) يقبل أن يكون دمية بيدنا ، بطريقة تجعن الجيش الاسرائيلي يبدو وكأنه يستجيب لنداء من أجل تحرير نبنان من مضطهديه السلمين •

وكما هو معتاد ، بعد كل تصعيد للموقف ، ينادى الزعماء الاسرائيليون بوجوب المضى بعيدا من أجل تحقيق الخطة البعيدة المدى المعتمدة من الصهيونية السياسية وها هو أرييل شارون ، يرى « بأننا لم نقم بعد ، الا بجزء يسير من العمل » •

الحرب تمهيد للحرب:

وينطبق على هذه الحرب ، كما يبدو على غيرها من حروب الصهيونية ، ما قاله البروفسور « لييوفنز » في مؤتمره الصحفي يوم ١٩٨٢/٦/١٤ ، من أن الهدف من هذه الحرب هو التحضير للحرب التي تليها •

ويحدث كل هذا ، في الواقع كما لو أن القادة الصهيونيين يطبقون حرفيا ما جاء في كتاب يوشع « كل مكان يطؤه اخمص أقدامكم • أعطيه لكم » •

انه مفهوم « اسرائيل الكبرى » هدف الصهيونية السياسية الدائم ، ما يعنيه قائد الاحتياط الجنرال جازيت ، الرئيس الحالى لجامعة بن جوريون في بير سبع وهو يستعرض الغايات الجوهرية الكامنة وراء الأزمّة الاسرائيلية العربية .

والموضوع الصهيونى ، الذى نستشرف هنا نتائجه القصية _ بينما يدن النص على أن الزعماء الصهاينة يتعمدون مواجهته بمنطق عقيدتهم وهذيانهم _ هذا المشروع لا تقتصر علاقته على جزء محدود من العالم مل هو يهدد جميع الشعوب • و و و تطلعاته الاستعلائية تمثل خطورة فعلية لأن الدولة الصهيونية قد حققت حتى الآن كل ما كانت تعلن عن اعتزامها تجقيقه مستقبلا •

وفيما يلى دون جارودى من ذلك المقال الصادر عن « المنظمة الصهيونية الدولية » الفقرات الأكثر دلالة • • والكاشفة عن الأبعاد التى بتصل بها علم الصهيونية السياسية القديم بـ « اسرائيل الكبرى » •

_ « استرداد سيناء بمواردها الحالية ، هو هدف أولى لا تزال اتفاقات « كامب ديفيد » ومعاهدات السلام تقف حائلا دون الوصول اليه و وباعتبارنا محرومين من موارد شبه جزيرة سيناء ملزمين ببذل نفقات ماهظة في هذا المجال فمن المحتم أن نعمل على استعادة الوضع الذي كان

سائدا في سيناء قبل زيارة السادات • والاتفاق التعس المعقود معه عام ١٩٧٩ •

« ان وضع مصر الاقتصادى ، وطبيعة نظامها وسياستها العربية قنوات تصب في مجرى واحد يستدعى من أسرائيل مواجهته ٠٠

واذا استطاعت مصر الاستفادة _ فى المستقبل المنظور _ من استعادتها لسيناء ، فان ذلك لن يغير فى ميزان القوى ٥٠ ولذا يجب أن يكون تقسيمها الى أقاليم جغرافية متمايزة هدفنا السياسى فى التسعينات « على الجبهة الغربية » وعندما تصبح مصر مجزأة هكذا ومحرومة من السلطة المركزية يتفكك كيان دول مثل ليبيا والسودان وغيرهما ١٠ ان تشكيل دولة قبطية فى أعالى مصر وكيانات اقليمية ضعيفة الأهمية هو الطويل ٠ الماطويل ٠

« ورغم الظواهر فالمشكلات الكامنة في الجبهة الغربية تقل كثيرا عن مثيلتها في الجبهة الشرقية وتقسيم لبنان الى خمسة أقاليم يصور مسبقا ما سيحدث في مختلف أرجاء العالم العربي وانشطار سوريا والعراق الى مناطق محددة على أساس المعايير السكانية أو الدينية ويجب أن يكون _ على المدى البعيد هدفا أوليا لاسرائيل وعلما بأن المرحلة الأولى منه تتمثل في تحطيم القوة العسكرية لدى هاتين الدولتين و

« ان البينكى السكانية لسوريا تعرضها لتفكك يمكن أن يؤدى الى خلق دولة شيعية عنى طول السلحل الغربى ودولة سنية فى منطقة حلب ، وأخرى فى دمشق وكيان درزى يمكن أن يطمح الى تتكيل دونة خاصة به ربما فوق أرضنا بالجولان _ وعلى كل حال ٠٠ فان دولة كهذه من شأنها أن تكون _ على المدى البعيد _ ضمانا للسلام والأمان فى المنطقة وتحقيق هدف كهذا فى متناول يدنا ٠

« والعراق ــ الغنى بنفطه ، والغريسة للصراعات الداخلية _ هو عي

مرمى التسديد الاسرائيلى ، وانحلاله سيكون بالنسبة الينا بهم من انحلال سوربا لأن العراق يمثل أقوى تهديد لاسرائيل غى المدى المنظور واندلاع حرب بينه وبين سوريا يسهل انهياره الداخنى ، قبل أن يتمكن من توجيه حملة واسعة النطاق ضدنا علما بأن كل مواجهة بين عرب وعرب ستكون مفيدة لنا وتقرب ساعة الانفجار المنتظر ، ومن المكن أن تعجل الحرب الحالية مع ايران بحلول تلك الساعة ،

« وتعتبر الملكة الأردنية هدفا استراتيجيا في الوقت الحاضر ٥٠ بينما هي لن تشكل _ في المدى البعيد _ تهديدا لنا بعد تفككها ونهاية حكم الحسين واننقال السلطة الى يد الأكثرية الفلسطينية وهو ما ينبغي على السياسة الاسرائيلية أن تتطلع اليه فهذا التغيير يعنى حل مشكلة الضفة الغربية ذات الكثافة الشديدة من السكان العرب اذ أن هجرة هؤلاء العرب الى الشرق سلما أو حربا وتجميد نموهم الاقتصادى السكاني هما الضمانة. التحويلات القادمة وعلينا بذل كل الجهود من أجل الاسراع بهذا المسار ،

ويضيف تقرير المنظمة الصهيونية الدولية قائلا: يجب استبعاد خطة الحكم الذاتي وكل خطة تستتبع تسوية أو مشاركة في التعايش • تقف حائلا دون انفصال الشعبين: أو الشرط الأساسي لتعايش سلمي حقيقي •

« على العرب الاسرائيليين - ضمنا الفلسطينيين - أن يدركوا أنهم. لن يستطيعوا اكتساب وطن الا في المملكة الأردنية • • ولن يعرفوا الأماني، الا باعترافهم بالسيادة البهودية فيما بين البحر المتوسط ونهر الأردن •

« وفي عصر الذرة هذا لم يعد ممكنا قبول نزاهم ثلاثة أرباع السكان البهود داخل منظمة ساهلية مكتظة بأهليها ومعرضة لتقلبات الطبيعة ، لذا غان توزيع انتشار هؤلاء السكان هو من أول واجبات سياستنا الداخلية فيهودا والساعرة والجليل هي الضمانات الوحيدة لبقائنا الوطني • واذا لم نصبح الأكثرية في المناطق الجبلية فيخشى أن يحل بنا مصير الصليبيين الذين فقدوا هذه البلاد كما أن اعادة التوازن الى المنطقة على الصعيد السكاني والاستراتيجي والاقتصادي يجب أن تكون مطمها رئيسيا لنا •

وهذا ينطوى على ضرورة السيطرة على الموارد المائية في المنطقة الواقعة بين بئر السبع والجليل الأعلى • والخالية من اليهود حاليا •

ويعقب جارودى على ما سبق من مقال المنظمة الدولية الصهيونية قائلا:

« ومشروع الصهيونبة هذا ، الاستعمارى العنصرى ، المنطوى على طرد الفلسطينيين واغتصاب حقوقهم وابعادهم تم على سلسلة من المحروب العدوانية في الشرق الأدنى وأخيرا عنى تفتيت كيان الدول العربية جمعاء ، بات يشكل تهديدا للسلام العالمي •

وبما بدا من المفارقات أن بلدا قليل المساحة محدود السكان كهذا يمكن أن يؤدى دورا بالغ الأهمية على مسرح السياسية الدولية ،

لتفهم ذلك لا يكفى التنويه بموقعه الاستراتيجى ٥٠ رغم اتسامه بالأهمية البالغة عند مفترق طرق القارات الثلاث ٥٠ وحاييم وايزمن كان على صواب حينما أكد أمام مفاوضيه البريطانيين أن « الدولة اليهودية في فلسطين ستكون درعا واقية لانجلترا وخاصة فيما يتعلق بقناة السويس » ٠

والواقع أن بيد اسرائيل مفاتيح أكبر طريق تجارى وعسكرى للغرب نحو الشرق واذا كان هذا لم يعد اليوم لحساب بريطانيا - نظرا لانتقال الهيمنة الدولية فهو لحساب الولايات المتحدة الأمزيكية وقد أصبح لدور اسرائيل كشرطى فى الشرق الأوسط مزيد من الضرورة بالنسبة للولايات الأمريكية منذ أن تعذر اعتمادها على قواعدها فى ايران لا بعد انقلاب نظام الشاه » فاسرائيل وحدها ، تستطيع السيطرة اذن ليس فقط على السويس وعلى المنطقة النفطية ، كما تستطيع توفير قواعد مأمونة فى شرقى البحر الأبيض المتوسط وهذه مهمات لا تستطيع الولايات المتحدة بمفردها أن تنجزها » فتجربة فيتنام قد صدمتها بشأن تدخلها المباش.

وقد حصل الجيش الاسرائيلي على معظم تجهيزاته المسكرية بموجب برنامج المساعدات العسكرية الأمريكية للخارج البرنامج الذي أعطى اسرائيل (١٥) مليار دولار من أصل (٢٨) مليار وزعت على العالم منذ عام ١٩٥١ .

وبين الـ (٥٦٧) طائرة التى كانت بحوزة اسرائيل عشية غزو لبنان • فهناك (٤٥٧) مشتراه من الولايات المتحدة الأمريكية بفضل المنسح والقروض المقدمة من حكومة واشنطن •

ان التعاون الوثيق القائم بين القوات المسلحة وبين مصانع السلاح ، في كلا — البادين يجعل من المستبعد والمكروه شعبيا كل مشروع للاقتصاص الأمريكي من اسرائيل ويتلقى « البنتاجون » من اسرائيل معلومات حول خصائص السلاح الذي تتلقاه ولم يجرب الجيش الأمريكي البعض منه بعد ٥٠ كما سيكون الحال بالنسبة لطائرة الاستكشاف (هوكي) التي استخدمت في المرحلة الأولى من حرب لبنان لا ضد الأهداف البعيدة في المحق السورى •

وهكذا يستطيع الجيش الأمريكي تجربة أدق أسلحته الهجومية بواسطة جيش آخر هو أشد معالية من أي مرقة أمريكية منقوله » •

ومما تقدم يتبين لنا أن جارودى قد استطاع أن يكشف أكاذيب الصهيونية وأضاليلها بمنهج موضوعى يعتمد على الوثائق والأدلة والبراهين التي تجعل العالم بعامة والعالم العربي بخاصة مطالبا بالاستعداد لمواجهة هذا المخطط الصهيوني الارهابي الذي يستهدف تدمير الانسانية •

الباسيانخايس

الاسكلم هو الحل الوحيد

فى محاضرته التاريخية بالأزهر الشربف وقف المفكر الفرنسى الكبير جارودى يطرح رؤيا عميقة لمسيرة الانسانبة ، قال : « ان المنهاج الغربى الحضارى حقق فشلا تاريخيا ذريعا ٠٠ وان الاسلام وحده بين بقية الأديان ، هو القادر على منح الأمل من جديد لكافة المجتمعات الغربية التى فككها النظام التكنوقراطي للحضارة » ٠

وهذه النتيجة الهامة التى توصل اليها جارودى عبر رحلته الفكرية . والتى تمثلت الحضارات الانسانية تمثلا نقديا ، تؤكد الفهم العميق لطبيعة الاسلام كمنهج للحياة ، له تصوره الشامل لحقيقة الوجود ، والانسان ، ومركزه فى هدا الكون وغايته من وجوده ،

ولذلك تخطى بالتجاوز وبالنقد ما يذهب اليه المحدثون من أصحاب المذاهب والنظريات والفلسفات الاجتماعية ، من أنهم انما يقررون «عقائد» يريدون احلالها محل العقيدة الدينية • « فالشيوعية ليست مجرد نظام اجتماعى • • انما هى كذلك تصور اعتقادى • • تصور يقوم على أساس مادية هذا الكون ووجود المتناقضات فى هذه المادية • • هذه المتناقضات المؤدية الى كل التطورات والانقلابات فيه • وهو ما يعبر عنه بالمادية الجدلية •

كما يقوم على التفسير الاقتصادى للتاريخ ورد التطورات فى الحياة البشرية الى تطور أداة الانتاج ١٠٠ الخ ٠٠ ومن ثم مهى ليست مجرد نظام اجتماعى ، انما هى تصور اعتقادى يقوم عليه ـ أء يدعى أنه يقوم عليه ـ نظام

اجتماعى • • وذلك بغض النظر عما بين آصل التصور وحقيقية النظام الذى يقدم الآن من غجوات ضخام (١) •

ويذهب الأستاذ سيد قطب رحمه الله ، الى أن الشخصية الانسانية «وحدة» واحدة في طبيعتها وكينونتها وحدة تؤدى كل وظائفها كوحدة وهي لا تستقيم في حركتها ولا تتناسق خطواتها الاحين يحكمها منهج واحد منبثق في أصنه من تصور واحد ٥٠ وحين تحكم ضمير الانسان ووجدانه شريعة ، ثم تحكم واقعة نشاطه شريعة ٥٠ وكل من هذه وتلك ينبتق من تصور مختلف ٥٠ هذه من تصور البشر ٥٠ وتلك من وحي الله وينبتق من تصور مختلف ٥٠ هذه من تصور البشر ٥٠ وتلك من وحي الله فريسة لهذا التمزق بين واقعه الشعوري الوجداني ٥٠ وواقعه الحركي العملي ويصيبه القلق والحيرة ٥٠ كما نشاهد اليوم في أرقبي الباد الأوربية والأمريكية ، ثمرة للصراع بين بقايا الوجدان الديني الذابلة وواقع الحياة العملية ، القائم على تصورات وقيم لا علاقة لها بالوجدان الديني والحياة الديني ٥٠ ودلك بعد « الفصام النكد » الذي وقع هناك بين الدين والحياة .

_ وما يسميه جارودى « بالفشل التاريخى » للمنهاج الخاص بالتنمية من جهة ، وللمنهاج الغربى المضارى من جهة أخرى » انما يعكس هذا « الفصام النكد » الذي كانت له آثاره المدمرة في أوربا ثم في الأرض كلها « حين طفت التصورات الغربية والأنظمة الغربية ، والأوضاع الغربية ، على البشرية كلها في مشارق الأرض ومعاربها ، ولم يكن بد وقد انفصلت حياة المخايق عن منهج الخالق — وأن تسير في هذا الطريق البائس ، وأن تنتهى الى هذه النهاية التعيسة وأن تحيط بالبشر الدائرة التي يتعذبون الآن في داخلها ويذوق بعضهم بأس بعض ، بينما هم عاجزون عن معرفة طريق الخلاص منها ، وهم يصطرعون فيها (٣) ،

وكانت له أسببه الخاصة في تاريخ النصرانية (٢) .

⁽١) سيد قطب: المستقبل لهذا الدين ، ص ١٤ .

⁽٢) سيد قطعيه : المرجع ناسبه ، ص ١٧ .

⁽۳) نفسه ، ص ۲۵ .

من أجل ذلك يعان جارودى على مسمع من الدنيا كلها أن الاسلام هو الحيد هو الحل الوحيد (٢) •• اذ يقول: « الاسلام اليوم هو الدين الوحيد بين كل الأديان والنبوءات الذى ما زال فى حالة تقدم مستمر •• فهو وان أصابه الضعف ربما فى القرن الثامن فى أسبانيا الا أنه ما زال ينتشر منذ هذا الوقت فى آسيا وفى الهند وفى أندونيسيا بل انه فى أماكن أبعد من هذا فى ماليزيا وتابلاند والصين وكوريا واليابان وفى الفترة التى وقف فيها الزعيم الراحل جمال عبد الناصر فى مواجهة الغرب حدث فى أفريقيا انسوداء تدهور فى السيحية صاحبه اندحار فى الاستعمار وبتحرر كثير من الدول أصبحت القارة الأفريقية بأكملها فى سبيلها لأن تكون قارة اسلامية •

وكما وصلت الموجة أيضا في أمريكا عند زنوج القارة الجديدة وفي آسيا الوسطى • • وهكذا فان هناك صورة جديدة للاسلام قد بدأت في الظهور تكمل نهضته وتفتحه حتى داخل البلاد التي تسودها الضغوط السوفيتية •

وعندما تنفجر هذه الآفاق سيظهر للمالم أجمع أن الاسلام يستطيع مواجهة تحديات القرن كما استجاب في الماضي لمتطلبات قارات ثلاث (٢) ٠

ثم يتحدث جارودى عن « الفصام النكد » بين الدين والحياة في أوربا ومن تبعها ، يقول :

« منذ قرون خمسة يسيطر الغرب ٠٠ أى يسيطر على العالم بدون أى شريك وقد فرض الغرب نموذجه للتنمية ومنهجه الثقافى أيضا — ويتطلب نموذجه للتنمية أن تنهب كل الثروات المادية والانسانية التى تمتلكها كل الشعوب لفائدة الغرب وحده أى يعادل خمس سكان الكرة الأرضية فقط ولذلك فالغرب ينتج أى شىء وبكميات كبيرة وفى وقت سريع سواء أكانت

⁽١) محاضرة جارودى بالأزهر الشريف ١٩٨٢ ترجهسة الدكتورة رجاء بالقوت .

⁽٢) جارودى: السابق.

هاجة مفيدة أم مؤذية أو حتى سيئة كالأسلحة المدمرة التى تعد بحق سوقا لا ينضب معينه أبدا • ويمثل ذلك فى أجلى صورة هذا النموذج المخيف غى النتمية وصفته الانتحارية • اذ أنه فى عام ١٩٨٢ فقط صرفت • ٥٦ مليارا من الدولارات لأغراض حربية أى أنه لكل فرد فى هذه المعمورة ما يوازى أربعة أطنان من المتفجرات التقليدية • وهكذا أصبح من المكن فنيا ولأول مرة فى ناريخ الانسانية منذ ثلاثة ملايين من السنوات ، هدم كل آثر للحياة فى هذه الأرض •

وفى نفس العام سنة ١٩٨٢ حسب التعداد الذى قدمته هيئة الأمم المتحدة غهناك خمسون مليون نسمة في العالم ماتوا جوعا أو بسبب سوء التعذية • ولا يمكننا أن نتخيل صورة أبشع من هذه الصورة التي وصلت اليها الكرة الأرضية بعد خمسة قرون من « التقدم » كما يجرؤون على تسمية هده الفترة في الغرب » •

ويخلص جارودى من ذلك الى اتسام المنهاج الخاص بالتنمية والمنهاج المعربي المضارى بما يسميه « الفشل التاريخي » فالمضارة العربية على حد تعبيره ــ تعتبر « نفسها وقد دنيت من تراثين اثنين : التراث اليهودى ــ المسيحي من ناحية والتراث اليوناني الروماني من ناحية أخرى هذان التراثان قد اكسباه هذه السمة التي يطلقون عليها لقب « الانسانية » وهي اتجاه عنمي يجمل من الانسان كفرد مركزا ومقياسا لكل من على البسيطة وهذه المكرة ترجع الى الفلسفة الأفلاطونية التي تفرق بين المادة والروح وتجعل من الجسد سجنا للروح » •

ويضيف جارودى الى هذا الميراث أن « فلسفة أرسطو اكسبت الأوربيين نظرة غريبة للعالم وكأنه عالم قوى تسود فيه العقلانية وكذلك احلام البشر بانتفوق والتحكم في الطبيعة وفي البشرية جمعاء • • وهكذا يدوم اللبس بين الفردية البورجوازية والشخصية المسيحية • • بين عقلانية اليونانيين من جهة والوضعية من جهة اخرى بين العلم والقضية بين السياسة والماكيافيالية • • أي بين سيادة الأساليب واغفال البحث عن السياسة والماكيافيالية • • أي بين سيادة الأساليب واغفال البحث عن

الأغراض والغايات » و هكذا يخلل جارودى بعمق عناصر الفصام النكد في الحفارة الأوربية ، وميراث هذه العناصر ، حيث نجد التناقض والفصام مثلا واضحا في الجمع بين التراثين اليهودى والمسيحي ونحن نعلم أن اليهود لم يقبلوا رسالة المسيح عليه السلام ولم يقبلوا منه التخفيف الذي جاءهم به من عند الله • وهو يقول لهم كما جاء في القرآن الكريم •

(ومصدقا لما بين يدى من التوراة ، ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم ، وجئتكم بآية من ربكم ، فاتقوا الله وأطيعون) •

« آل عمر ان : ٥٠ »

ومن ثم قاوموا المسيح _ عليه السلام _ وقاوموا دعوته الى « السماحة والتطهر الروحى ، والتخفف من المراسم الشكلية التى لا رصيد لها من تقوى القلوب وانتهى بهم الأمر الى اغراء « بيلاطس » الحاكم المرومانى على أرض الشام يومئذ بمحاولة قتل المسيح _ عليه السلام وصلبه _ اولا أن توفاه الله ورفعه اليه سبحانه وتعالى (١) .

« وآيا ما كان الأمر ، فقد سارت الأمور بعد ذلك بين اليهود وأتباع عيسى _ عليه السلام _ سيرتها البائسة ، فبذرت بذور المقد على اليهود في نفوس في نفوس الذين صاروا نصارى ، كما بذرت بذور الكره في نفوس البهود على هؤلاء وانتهت بانفصال أتباع المسيح عن اليهود ، وانفصال النصرانية عن اليهودية ،

ولقد كان من نصيب « بولس » - الذى لم ير السيح - عليه السلام وانما دخل النصرانية عن الوثنية الرومانية - أن يتولى نشر النصرانية في أوروبا • مطعمة بما رسب في تصوراته من الوثنية الرومانية والفلسفة الاغريقية وكانت هذه كارثة على النصرانية منذ أيامها الأولى

⁽١) سيد قطب: السابق ، ص ٢٦ .

في أوروبا ٠٠ فوق ما لحق بها من تحريف في فترة الاضطهاد الأولى ٠ فترة تناقل الروايات في ظروف لا تسمح بتمحيصها ولا تحقيقها ٠

« وكتب بولس رسائله يعد ذلك _ بعد القرن الأول الميلادى _ وهى شاهد على امتزاج الأمثلة الدينية بصورة الفلسفة _ ولا سيما فلسفة الحلول _ وكان يقول: ان المسيح جالس على يمين الله ويدعو لمن يطلب لهم الخير « أن تسكن فيهم كلمته » ويسأل لهم الغفران منه ويبشرهم بأنهم سيبلغون المجد متى عاد الى الأرض ويبدو من جملة كلامه أنه كان ينتظر معاده في زمن قريب وكثيرا ما أشار اليه _ صلوات الله عليه _ باسم: « ربنا يسوع المسيح » وسمى نفسه باسم: « رسول يسوع المسيح » وسمى نفسه باسم: « رسول يسوع المسيح بحسب أمر الله مخلصنا وربنا يسوع المسيح » (۱) •

ويقول سيد قطب « ولكن الكارثة العظمى كانت فى الحدث الذى ثم بعد ذلك ، وكان ظاهره انتصار النصرانية ، وهو دخول الامبراطور الرومانى « قسطنطين » فى النصرانية واستطاعة الحزب النصراني أن يصبح هو الحزب الحاكم سنة ٣٥٥م » •

ويصف دراير الأمريكي في كتابه « الدين والعلم » هذا الحادث وآثاره النكدة يقول:

« دخلت الوثنية والشرك في النصرانية بتأثير المنافقين و الذين تقلدوا وظائف خطيرة و ومناصب عاليه في الدولة الرومية و بتظاهرهم بالنصرانية ولم يكونوا يحفلون بأمر الدين _ ولم يخلصوا له يوما من الأيام و وكذلك كان « قسطنطين » و فقد قضى عمره في الظلم والفجور ، ولم يتقيد بأوامر الكنيسة الدينية الا قليلا في آخر عمره (سنة ٣٣٧م) و

ان الجماعة النصرانية وان كانت قد بلغت من القوة بحيث ولت

⁽۱) ص ۱٦٩ من كتاب « الله » للأستاذ عباس محمود العتاد .

قسطنطين الملك ولكنها لم تتمكن من أن تقطع دابر الوثنية وتقتلع جرثومتها وكان نتيجة كفاحها أن اختلطت مبادئها • ونشأ من ذلك دين جديد • تتجلى فيه النصرانية والوثنية سواء بسواء • • هنالك يختلف الاسلام عن النصرانية • اذ قضى على منافسه « الوثنية » قضاء باتا ، ونشر عقائده خالصة بغير غش • •

« وان هذا الامبراطور الذي كان عبد! للدنيا ، والذي لم تكن عقائده الدينية تساوى شيئا رأى لمسلحته الشخصية ولمسلحة الحزبين المتنافسين. النصراني والوثني _ أن يوحدهما ويؤلف بينهما : حتى أن النصارى الراسطين أيضا لم ينكروا عليه هذه الخطة ، ولعلهم كانوا يعتقدون أن الديانة الجديدة ستردهر اذا طعمت ولقحت بالعقائد الوثنية القديمة ، وسيخلص الدين النصراني عاقبة الأمر من أدناس الوثنية وأرجاسها » (١)

يقول « ألفرد بتار » في كتابه : « فتح العرب لمر « ترجمة الأستاذ محمد فريد أبو حديد » :

« ان ذينك القرنين _ الخامس والسادس _ كانا عهد نضال متصل بين المصريين والرومانيين ، نضال يذكيه اختلاف في الجنس واختلاف في الدين _ وكان اختلاف الدين أشد من اختلاف الجنس اذ كانت علة العلل في ذلك الوقت تلك العداوة بين « الملكانية » و « المونوفيسية » وكانت الطائفة الأولى _ كما يدل عليه اسمها _ حزب مذهب الدونة الامبراطورية وحزب الملك والبلاد ، وكانت تعتقد العقيدة الثنائية الموروثة _ وهي ازدواج طبيعة المسيح _ على حين أن الطائفة الأخرى وهي حزب القبط المنوفيسسيين _ أهل مصر _ كانت تستبشع تلك العقيدة وتستفظعها ، وتحاربها حربا عنيفة ، في حماسة هوجاء ، يصعب علينا أن نتصورها ، أو نعرف كنهها في قوم يعقلون ، بله يؤمنون والانجيل » ،

⁽۱) انظر كتاب : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للسيد أبى الحسن الندوى . الندوى .

ويقول « ت و و أرنولد » في كتاب : « الدعوة الى الاسلام » ترجمة حسن ابراهيم وزميليه ، عن هذا الخلاف الطائفي السياسي العنصري وآثاره في الابتداعات والاضافات والتعديلات في النصرانية :

« • • • ولقد أفلح « جستنيان » قبل الفتح الاسلامى بمئة عام فى أن يكسب الامبر اطورية الرومانية مظهر من مظاهر الوحدة • ولكن سرعان ما تصدعت بعد موته • وأصبحت فى حاجة ماسة الى شعور قوى مسترك يربط الولايات وحاضرة الدولة •

أما « هرقل » فقد بذل جهودا لم تصادف نجاحا كاملا في اعادة ربط الشام بالحكومة المركزية ، ولكن ما اتخذه من وسائل عامة في سبيل التوفيق قد أدى _ نسوء الحظ _ الى زيادة الانقسام بدلا من القضاء علبه ، وئم يكن ثمة ما يقوم مقام الشعور بالقومية سوى العواطف الدينية ، فحاول بتفسيره العقيدة تفسيرا يستعين به على تهدئة النفوس أن يوقف ما يمكن أن يشجر بعد ذلك بين الطوائف المتناحرة من خصومات وأن يوحد بين الخارجين على الدين وبين الكنيسة الأرثوذكسية وبينهم وبين الحكومة المركزية ،

« وكان مجمع خلقيدونية قد أعلن في سنة ٤٥١ ميلادية أن المسيح ينبغي أن يتعترف بأنه يتمثل في طبيعتين ، لا اختلاط بينهما » ولا تغير ولا تجزؤ ولا انفصال ، ولا يمكن أن ينتفي خلافهما بسبب اتحادهما ، بل الأحرى أن تحتفظ كل طبيعة منهما بخصائصها » وتجتمع في أقنوم واحد ، وجسد واحد لا كما لو كانت متجزئة أو منفصلة في أقنومين بل متجمعة في أقنوم واحد : هو ذلك الابن والله والكلمة ...

« وقد رفض اليعاقبة هذا المجمع ، وكانوا لا يعترفون في المسيح الا بطبيعة واحدة • وقالوا : انه مركب الأقانيم • له كل الصفات الالهية والبشرية • ولكن المادة التي تحمل هذه الصفات لم تعد ثنائية بل أصبحت وحدة مركبة الأقانيم • •

« وكان الجدل قد احتدم قرابة قرنين من الزمان بين طائفة الأرثوذكس وبين اليعاقبة الذين ازدهروا بوجه خاص في مصر والشام والبلاد الخارجة عن نطاق الامبراطورية البيزنطية ، في الوقت الذي سعي فبه هرقل في اصلاح ذات البين عن طريق الذهب القائل بأن للمسيح مشيئة واحدة ٠٠ ففي الوقت الذي نجد فيه هذا المذهب يعترف بوجود الطبيعتين اذا به يتمسك بوحده الأقنوم في حياة السيح البشرية ، وذلك بانكاره وجود نوعين من الحياه في أقنوم واحد • _ فالمسيح الواحد _ الذي هو ابن الله ب يحقق الجانب الانساني والجانب الالمي بقوة الهية انسانية واحدة ، ومعنى هذا أنه لا يوجد سوى ارادة واحدة في الكلمة المتجسدة ٠٠

« لكن هرقل قد لقى المصير الذي انتهى اليه كثيرون جدا ممن كانوا يأملون أن يقيموا دعائم السلام • ذلك أن الجدل لم يحتدم مرة أخرى كأعنف ما يكون فحسب ، بل ان هرقل نفسه قد وصم بالالحاد ، وجر على نفسه سخط الطائفتين على السواء (١) » •

ويذهب سيد قطب الى (٢) أن هذه الملابسات السيئة التي عاجلت النصرانية في بدء نشأتها أولا ، ثم عند انتصارها السياسي على ذلك النحو ثانيا ، ثم ما تلا ذلك الانتصار من خلافات سياسية وعنصرية وتحريفات وتعديلات في العقيدة بسببها ثالثا ٠٠

« كل أولئك قد ملأ التصور الاعتقادي فيها بعناصر غريبة كل الغرابه على طبيعتها ، وعلى طبيعة « الدين الالهي » كله مع ومن ثم لم يعد ألتصور النصراني كما صنعته التحريفات المتوالية أولا ثم كما صاغته المجامع المقدسة العامة والخاصة أخيرا (٣) - قادرا على أن يعطى التفسير الالهى للوجود وحقيقته ، وحقيقة صلته بخالقه ، وحقيقة هذا الخالق

⁽١) ص ٥٢ - ٥٣ من الترجمة العربية م.

⁽۲) سيد قطب السابق ص ۲۹ – ۲۹ ۰

⁽٣) يراجع بالتفصيل كتاب محاضرات في النصرانية للأستاذ محمسد محمد أبو زهرة -

وصفاته ، وحقيقة الوجود الانسانى وغايته وطريقه ٠٠ هذه المقومات التي لابد أن تصح حتى يصح النظام الاجتماعي الذي ينبثق منها ، ويقوم بعد ذلك عليها ٠

« غير أن الأمر أم يقف عند فساد التصور الاعتقادى على هذا النحو بل مضت الملابسات النكدة غي طريقها خطوات أخرى عاثرة •

لقد أرادت الكنيسة أن تقف في وجه المترف الروماني ، والسعار الشهواني الذي كانت الامبراطورية الرومانية قد انتهت اليه ، قبل دخولها في النصرانية والذي يصفه درابر الأمريكي في كتابه : « الدين والعلم » مفوله :

« لما بلعت الدولة الرومية في القوة المربية والنفوذ السياسي أوجها ووصلت المضارة الى أقصى الدرجات ٥٠ هبطت في فساد الأخلاق • وفي الانحطاط في الدين والتهذيب الى أسفل الدركات ٠٠ بطر الرومان معيشتهم وأخلدوا الى الأرض واستهتروا استهتارا ، وكان مبدؤهم أن الحياة انما هي فرصة للتمتع ينتقل فيها الانسان من نعيم الى ترف • ومن لهو الى لذة ولم يكن زهدهم وصومهم في بعض الأحيان الاليبعث على شهوة الطعام ، ولم يكن اعتدالهم الا ليطول عمر اللذة !! كانت موائدهم تزهو بأوانى الذهب والفضة مرصعة بالجواهر ويحتف بهم خدم في ملابس جميلة خلابة • وغادات رومية حسان • وغوان كاسيات عاريات غير متعففات تدل دلالا . ويزيد في نعيمهم همامات باذخة ، وميادين للهو واسعة ، ومصارع يتصارع فيها الأبطال مع الأبطال • أو مع السباع ولا يزالون _ يصارعون حتى يخر الواحد منهم صريعا يتشحط في دمه . وقد أدرك هؤلاء الفاتحون الذين دوخوا العالم ، أنه ان كان هناك شيء يستحق العبادة فهو القوة ، لأنه بها يستطيع الانسان أن ينال الثروة التي يجمعها أصحابها بعرق الجبين وكد اليمين ، واذا غلب الانسان في ساحة المقتال بقوة ساعده ، فحينتُذ يمكن أن يصادر الأموال والأملاك ، ويعين ايرادات الاقطاع وأن رأس الدولة الرومية هو رمز لهذه القوة القاهرة هَكَانَ نَظَامَ رَوْمَةً يَشْفَ عَنَ أَبِهَةَ المَلْكُ • وَلَكُنَهُ كَانَ طَلَاءَ خَادَعًا كَالَّذِي نَرَاهُ هَى حَضَارَةَ الْيُونَانَ هَى عَهِدُ انْتَطَاطُهَا (١) •

« أرادت الكنيسة أن تقف في وجه هذا الشعار الجامح ، وهـذا التردي الكاسح ، ولكنها لم تسلك اليه طريق الفطرة السوية المعتدلة المتزنة ولا كان قد بقى بين يديها من حقيقة التصور النصراني الصحيح ما تقيم به الميزان بين الناس بالقسط ، ولا ما تقيم به الميزان بين الافراط وانتفريط في وظائف فطرتهم الطبيعية ،

ويصور «ليكي » في كتابه: « تاريخ أخلاق أوروبا » ما كان عليه العالم النصرائي في ذلك العصر من التاريخ بين الرهبانية والفجور ٠٠ بقوله:

« ان التبذل والاسفاف قد بلغا غايتهما في أخلاق الناس واجتماعهم وكانت الدعارة والفجور والاخلاد الى الترف والتساقط على الشهوات والتحلق في مجالس الملوك وأندية الأغنياء والأمراء ، والمسابقة في زخارف اللباس والحلى والزينة في حدتها وشدتها ٠٠ كانت الدنيا في ذلك الحين تتأرجح بين الرهبانية القصوى والفجور الأقصى ٠ وأن المدن التي ظهر فيها أكثر الزهاد كانت أسبق المدن في الخلاعة والفجور (٢) » ٠

يقول در ابر في كتابه : « الدين والعلم » :

ولم تكن الرهبانية والنظام الدينى السلبى الا مصادمة للفطرة ، فبقيت مقهورة بعوامل الديانه الجديدة وسلطانها الروحى ، وساعدتها عوامل أخرى •

ثم قهرت الطبيعة ، وتسرب الضعف والانحراف الى المراكز الدينية ، حتى صارت تزاحم المراكز الدنيوية _ وربما تسبقها في فساد الأخلاق

⁽۱) عن كتاب : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للأستاذ أبى الحسن الندوى .

سيد قطب : السابق ، ص ٣٤ . (٢) عن كناب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للسيد ابي السيد الندوى .

والدعارة والفجور لذلك أوقفت الحكومة المآدب الدينية التىكانت ترمى الى عقد الألفة والأخوة بين المسيحيين ، وأعياد الشهداء والأولياء وذكرياتهم ، التى وجدت فيها الخلاعة والفجور حمى ومرتعا ، واتهم القسس بكبائر ومنكرات ،

« ويقول الراهب جروم « Jerume »: ان عيش القسس ونعيمهم كان يزرى بترف الأمراء والأعنياء المترفيز ، وقد انحطت أخلاق البابوات انحطاطا عظيما واستحوذ عليهم المجشع وحب المال وعدوا طورهم حتى كانوا يبيعون المناصب والوطائف كالسلع ، وقد تباع بالمزاد العلنى القانون ، ويؤجرون أرض الجنة بالوتائق والصكوك وتذاكر الغفران ، ويأذنون بنقض القانون ، ويمنحون شمهادات النجاة ، وأجازات حل المحرمات والمحظورات ، كأوراق النقد وطوابع البريد — ويرتشون ويرابون وقد بذروا المال تبذيرا ، حتى اضطر البابا « أنوسنت الثامن » أن يرهن تاج البابوية » ويذكر عن البابا « ليو العاشر » آنه أنفق ما ترك البابا السابق من ثروة وأموال ، وأنفق نصيبه ودخله ، وأخذ أيراد خليفته المرتقب سلفا وأنفقه ، ويروى أنمجموغ دخل مملكة عرنسا لم يكن يكفى البابوات انفقاتهم وارضاء شمواتهم (۱) ،

« وقد جاء في كتاب: « تاريخ الكنيسة » في بيان قرار المجمع الثاني عشر في هذا الشأن:

« أنهى المجمع تعاليمه ، فيما يتعلق بأمر الغفران ، فقال : ان يسوع المسيح لما كان قد قلد كنيسته سلطان منح الغفران ، وقد استعملت الكنيسة هذا السلطان الذى نائته من العلى منذ الأيام الأولى قد أعلم المجمع المقدس وأمر بأن تحفظ الكنيسة _ فى الكنيسة ، هذه العملية الخلاصية للشعب المسيحى ، والمثبتة بسلطان المجامع • • ثم ضرب بسيف الحرمان من بزعمون أن الغفرانات غير مفيدة ، أو ينكرون على الكنيسة سلطان منحها ، غير أنه قد رغب فى أن يستعمل هذا السلطان باعتدال

⁽۱) عن كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للسيد أبى الحسن الندوى سيد قطب: السابق ، ص ۳۷ ٠

واحتراز حسب العادة المحفوظة قديما _ والمثبتة في الكنيسة • ائلا يمس التهذيب الكنسي تراخ بفرط التساهل » •

٠٠٠ وهذا نص الغفران « الذي كان يباع بيع السلعة ٢ :

« ربنا يسوع يرحمك (يا فلان) ، ويحلك باستحقاقات آلامه الكليه القداسة ، وأما بالسنطان الرسولى المعطى لى ، أحلك من جميع القصاصات والأحكام واندائلات الكنسية التى استوجبتها وأيضا من جميع الأفراط وانخطايا والذنوب التى ارتكبتها _ مهما كانت عظيمة و فظيعة _ ومن كل عله _ وان كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا والكرسى الرسولى _ وأمحو جميع أقذار الذنب و وكل علامات الملامة التى ربما جلبتها على نفسك فى هذه الفرصة ، وأرفع القصاصات انتى كنت تلتزم بمكابدتها فى المطهر . وأردك حديثا الى الشركة في أسرار الكنيسة وأقرنك في شركة القديسين . أردك ثانية الى الطهارة والبر اللذين كانا لك عند معموديتك ، حتى انه فى ساعة الموت يخلق أمامك انباب الذى يدخل منه الخطاة الى محل العذاب وانعقاب ويفتح الباب الذى يؤدى الى فردوس الفرح ، وان لم تمت سنين مستطيلة ، فهذه النعمة تبقى غير متغيره • حتى تأتى ساعتك الأخيرة باسم الآب والابن والروح القدس • • (١) » •

فاذا أضفنا هذه الى تلك ٥٠ اذا أضفنا عنت الكنيسة فى أخذ الناس بالحرمان القاسى باسم الدين — والدين برىء — الى ترف رجال الكنيسة وفساد حياتهم ٥٠ الى مهزلة صكوك الغفران أدركنا طرفا من تلك الملابسات المنكدة التى أدت فى النهاية الى ذلك « الفصام النكد » فى تاريخ أوروبا المنكود (٢) ٠

غير أن الأمر لم يقف عند هذه المحدود ٥٠ فقد دخلت الكنيسة في نزاع طويل وحاد مع الأباطرة والملوك ـ لا على الدين والأخلاق ولكن على السلطة والنفوذ ٠

⁽۱) من كتاب / محاضرات في النصرانية « للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة .

⁽۲) سيد قطب: السابق ص ۲۹ .

« وبدأ النزاع والمنافسة بين البابوية والامبراطورية في القرن الحادي عشر فاشتدت بعنف وحمى وطيسها وانتصرت فيها البابوية أولا حتى ان هنرى الرابع ممثل الامبراطورية اضطر سنة ١٠٧٧ م أن يتقدم بخضوع نحو البلاط البابوي في قلعة كانوسا ٥٠ ولم يسمح له البابا بالدخول الا بعد أن يشفع له انرجال فسمح له بالمثول بين يديه فدخل الامبراطور حافيا لابسا انصوف وتاب على يديه فغفر له البابا زلته ٠ وظلت الحرب بين البابوية والامبراطورية بعد ذلك سجالا ٠

يقول أبو الحسن الندوى:

« • • ولكن من أعظم أهطاء رجال الدين في أوربا • ومن أكبر جناياتهم على أنفسهم وعلى الدين الذي كانوا يمثلونه ، أنهم دسوا في كتبهم الدينية المقدسة ، معلومات بشرية • ومسلمات عصرية ، عن التاريخ والجغر افيا والعلوم الطبيعية • ربما كانت أقصى ما وصلوا اليه من العلم في ذلك العصر وكانت حقائق راهنة لا يشك فيها رجال ذلك العصر ، ولكنها ليست أقصى ما وصل اليه العلم الانساني •

« واذا كان ذلك في عصر من العصور غاية ما وصل اليه علم البشر فانه لا يؤمن عليه التحول والتعارض ، فان العلم الانساني متدرج مترق ، فمن بني عليه دينه فقد بني قصرا على خثيب مهيل من الرمل و ولعلهم فعلوا ذلك بنية حسنة ولكنه كان أكبر جناية على أنفسهم وعلى الدين فان ذلك كان سببا للكفاح المشئوم بين الدين والعقل والعلم والذي انهزم فيه الدين ولخالك الدين المختلط بعلم البشر الذي فيه الحق والباطل و والخالص والرائف و هزيمة منكرة ، وسقط رجال الدين سقوطا لم ينهضوا بعده وشر من ذلك و إشام: أن أوروبا أصبحت لا دينية و

« ولم يكتف رجال الدين بما أدخلوه في كتبهم المقدسة بل درسوا كل ما تناقلته الألسن ، واشتهر بين الناس وذكره بعض شراح التوراة والانجيل ومفسريهما من معلومات جغرافية وطبيعية وصبغوها صبغة دينية ، وعدوها

من تعاليم الدين وأصوله التي يجب الاعتقاد بها • ونبذ كل ما يعارضها ، والفوا في ذلك كتبا ومؤلفات • وسموا هذه الجغرافيا التي ما أنزل الله بها من سلطان : « الجغرافيا المسيحية « Christian Geography » وعضوا عليها مالنواجذ وكفروا كل من لم يدن بها •

« وكان ذك في عصر انفجر فيه بركان العقلية في أوروبا ، وحطم علماء الطبيعة والعلوم سلاسل انتقليد الديني ، فزيفوا هذه النظريات الجغرافية التي اشتملت عليها هذه الكتب وانتقدوها في صرامة وصراحة ، واعتذروا عن عدم اعتناقها والايمان بها بالغيب ، وأعلنوا اكتشافاتهم واختباراتهم فقامت قيامة الكنيسة ، وقام رجالها المتصرفون في زمام الأمور في أوربا وكفروهم ، واستحلوا دماءهم وأموالهم في سبيل الدين المسيحي وأنشأوا محاكم التفتيش التي تعاقب _ كما يقول البابا _ « أولئك المصدين والزنادقة الذين هم منتشرون في المدن ، والبيوت والأسراب والغابات وانحقول » فجدت واجتهدت وسهرت على عملها وعملت على ألا تدع في العالم النصراني عرقا نابضا ضد الكنيسة وانبثت عيونها في طول البلاد وعرضها ، وأحصت على الناس الأنفاس ؛ وأحصت عليهم الخواطر حتى بقول عالم نصراني : « لا يمكن لرجل أن يكون مسيحيا ويموت حتف أنفه » يقصد يموت موتة طبيعية » •

« ويقدر أن من عاقبت هذه المحاكم يبلغ عددهم ثلاثمئة ألف أحرق منهم اثنان وثلاثون ألفا أحياء كان منهم العالم الطبيعى المعروف « برونو » • نقمت منه الكنيسة آراء من أشدها قوله بتعدد العوالم ، وحكمت عليه بالقتل واقترحت بأن لا تراق قطرة من دمه وكان ذلك يعنى أن يحرق حيا ، وكذلك عوقب العالم الطبيعى الشمير « جاليليو » بالقتل لأنه كان يعتقد بدوران الأرض حول الشمس •

« منالك ثار المجددون المتنورون ، وعيل صبرهم ، وأصبحوا حربا على رجال الدين وممثلى الكنيسة ، والمحافظين على القديم ، ومقتوا كل ما بتصل بهم وبعزى اليهم ، من عقيدة وثقافة وعلم وأخلاق وآداب وعادوا

الدىن السيحى أو لا والدين المطلق ثانيا وتحوات الحربين زعماء العام والعقلية وزعماء الدين المسيحى ... وبتعبير أصح الديانة البوليسية ... حربا بين العلم والدين مطلقا وقرر الثائرون أن العلم والدين ضرتان لا تتصالحان وأن العقل والدين الدينى ضدان لا يجتمعان ، فمن استقبل أحدهما استدبر الآخر ومن آمن بالأول كفر بالثانى «واذا ذكروا الدين ذكروا تلك الدماء الزكية التي أريقت في سبيل العلم والتحقيق ، وتلك النفوس البريئة التي ذهبت ضحية لقسوة القساوسة ووساوسهم ، وتمثل لأعينهم وجوها كالحة عابسة وجباها مقطبة وعيونا ترمى بالشرر ، وصدورا ضيقة حرجة وعقولا سخيفة بليدة ، فاشمأزت علوبهم «وآلوا على أنفسهم كراهه وعقولا ما يمثلونه ، وتواصوا به وجعاه ، كلمة باقية في أعقابهم «

« ولم يكن عند هؤلاء الثائرين من الصبر والمصابرة على الدراسة والتفكير ومن الوداعة والهدوء ، ومن انعقل والاجتهاد ما يميزون به ببن الدين ورجاله المحتكرين لزعامته ويفرقون به بين ما يرجع الى الدين من عهدة ومستولية ، وما يرجع الى رجال الكنيسة من جمود واستبداد وسوء تمثيل غلا ينبذون الدين نبذ النواة واكن الحفيظة وشنان الرجال والاستعجال ٠٠٠ لم يسمح بالنظر في أمر الدين والتريث في شأنه كغالب الثوار عفى أكثر الأعصار والأمصار » •

ومما تقدم جميعا وبشهادات الأوربيين أنفسهم يتضح أن خلاص البشرية من ذلك الفصام النكد لن يكون الا باتباع تعاليم الاسلام وتنفيذ منهجه القويم • • وهذا ما ينادى به كل المنصفين من مفكرى الغرب ومنهم جارودى الذى أعلن بعد رحلته الطوياة من الشك الى اليقين أن المنهاج الغربى الحضارى قد حقق فشلا تاريخيا وريعا • • وان الاسلام وحده بين بقية الأديان هو القادر على بعث الأمل من جديد ومنحه لكافة المجتمعات الغربية التى فككها النظام التكنوقراطى الحضارة • •

وهي تفصيل ذلك يقول جارودي مي محاضرته بالأزهر الشريف :

« ولكننا لو أدخنا في الحسبان التراث الثالث للغربيين بعد التراث

اليهودى _ المسيحى • • • من ناحية ، والتراث اليونانى _ الرومانى من ناحية أخرى ، ألا وهو التراث العربى الاسلامى ، لأصبحت مسيرة الحضارة العربية منذ عصر النهضة وحتى الآن أكثر وضوح! •

ونحن نتناسى كثيرا أن ما نطلق عليه أسم « عصر النهضة » فى الغرب لم يبدأ بالفعل فى ايطاليا بعد صحوة العصور اليونانية الرومانية التى تختلف عن النموذج اليهودى المسيحى ولكنه قام بالفعل قبل ذلك بثلاثة قرون عندما فتح العرب الجامعة الاسلامية فى قرطبة بأسبانيا ونشروا الترجمات العديدة للكتاب العرب كما شجعهم على ذلك القسيس ريموند من توليدو •

وهكذا فبدلا من أن يترجم هذا كصراع بين النزعة اليونانية والرومانية وبين النزعة اليهودية والمسيحية ومراع بين العلم والايمان وبين الدولة والمسيحية وبين الفرد والمجتمع فان هذا التراث العسربي الاسلامي ككل كان على العكس يسمح بتعايش جميل بين السماوية والروحانية الخاصة بعقيدة ابراهيم التي يؤمن بها اليهود والمسيحيون والمسلمون على حد سواء وكما كان يسمح بالعلم التجريبي وخصوصا باقامة أمة لا تشغلها فقط الصراعات بين الأفراد أو الصراعات بين الدول والمسراعات بين الدول والمسراعات بين الدول والمسراعات بين الأفراد أو الصراعات بين الدول والمسراعات بين الأفراد أو الصراعات بين الدول والمسراعات بين الأفراد أو المسراعات بين الأفراد أو المسراعات بين الدول والمسراعات بين الأفراد أو المسراعات بين الأفراد أو المسراءات بين الدول والمسلمون على المسلمون المسلمون

ولكن للأسف الشديد غان هذا التراث الثالث لم ينقل للغرب الا بطريقة مشوهة معنف فقد التهمت أوروبا أحد أشكال الحضارة الاسلامية ألا وهو العلم التجريبي الذي يختلف عن العقلانية اليونانية والمدرسة السكولاستيكية (حيث تسود فلسفة أرسطو) والتي تسمى بالمدرسة المسيحية حيث اهتمت بعلوم اللاهوت في أو اخر القرون الوسطى و وهكذا يكفى أن يترجم أو يقتبس « روجر بيكون » — بعض فصول من كتاب « الأبصار » لابن الهيثم حتى يطلق عليه لقب مؤسس الأسلوب التجريبي في العلوم .

ولكن الغرب المتفى بهذه الظاهرة فقط وبهذا فقد أنصف هذه الفلسفة العقلانية الاسلامية وفرق بين العلم والحكمة ، بين التحكم في الأساليب والتفكير في الأغراض والغايات » •

ويضيف جارودى « مع أن الذي يميز العالم الاسلامى ككل هو أنه لا يفرق أبدا بين الاستخدامين اللذين يقوم عليهما العقل الانسانى ألا وهما البحث عن الأسباب والبحث عن الأغراض من ناهية والتأمل والاستنباط اللذان يسمحان للمرء أن يرتفع من الأحداث الى القوانين والنواميس ، ومن ناهية أخرى أن يرتفع من غايات بسيطة الى غايات أسمى هتى يامس ما يشعر المرء بضالته أمام اللانهاية لهذه الاجراءات ،

هذا القصور الذي أصاب العقل الغربي جعل الانسان الغربي يتساءل __ دائما عن « الكيف » أي عن الأسلوب ويغفل السؤال عن الأسباب . هكذا بتساءل :

« كيف نصنع الأسلحة الذرية ؟ » ، « كيف نذهب الى القمر ؟ » ولا يتساءل : « لماذا نصنع قنبله ذرية ؟ » . « لماذا نذهب الى القمر » ؟

هل هذه فعلا أشياء أساسية بالنسبة للانسان يجعلها تأتى فى المقام الأول ؟ ألا يمكننا بنفس هذه الأمكانيات المالية والعلمية والانسانية أن نصل الى أهداف أخرى ؟؟ وكأننا هكذا وبهذا العقل الذى تنقصه أنبل وظيفة تلك التى قد تجعلنا نتساعل عن معنى لحياتنا وتاريخنا ولكل أعمالنا ، وكأن فكرة التقدم معناها أن كل ما هو ممكن علميا وفنيا يجب أن يكون ،

وفى هذه الأساليب التى قد نعتبرها مقدمة فان أعظم نتاج العلم والفن فى الغرب ليس فى خدمة الانسان وفى سبيل تقدمه وتحرره أو لأية أغراض انسانية ولكنه فقط فى خدمة التنمية كتنمية ولخدمة السيطرة كسيطرة والعنف كعنف •

فهو اذن في خدمة هدم الطبيعة والانسان وليس لخلق مستقبل أفضل اله » •

ويذهب جارودي الى أن الحضارة الغربية تموت ، فيقول :

« وهكذا غان حضارتنا الغربية حاليا غي سبيل الموت لا لأنها تفتقد - الأساليب ولكن لأنها تفتقر الى الغايات •

هذا هو الوجه الفطير لأزمة العضارة الغربية أزمة المعنى ، أن علماءنا الوضعيين وفنانينا الذين فقدوا الوجهة الصحيحة وكتابنا المتشائمين يجسدون هذه الأزمة بدلا من أن يساعدونا في التغلب عليها وكأن الحضارة ليست تفكيراا في الأغراض وفي معنى الحياة والموت ، وهكذا ترى وحتى وسط انكبار منهم من يدفن الأمل ويحاول أن يقنع الشباب بأنه ليس لحيامهم أو لموتهم أي معنى اطلاقا ،

بل أكثر من هذا فان هناك عالما فرنسيا وصلت به فلسفته الوضعية الى حد أن استنتج لكل مقاييس الحياة بعض النماذج والصور التى تشير الى بعض التطور البيولوجى للحياة ، ويحاول أن يقنعنا أن وجودنا كله لا يقوم الا على ما هو ضرورى وما هو أيضا عفوى دون أن يكون لهذا الوجود أى معنى انسانى •

وأكبر فلاسفتنا ذهب الى حد تعريف الحياة وكأنها عاطفة أو انفعال لا جدوى لها يمثل فيها الناس الآخرون « جهنم » •

كما يتغنى أديب آخر عن « اللامعقول » ويقدم لنا صورة مظلمة يكون فيها الانه « الدى حكمت عليه الآلهة بالعذاب الأبدى » وقد أصبح سعدا ٠٠٠

وعلى مستوى أدنى من هذا فان نفس المواضيع قد طرقت حيث يقول المدهم أن « الانسان ألعوبة للهياكل والتركيبات » ويتكلم الآخر عن « موت الانسان » أمام ما يدعيه البعض من « موت الرب » وهكذا فهم أنبياء مزيفون لا ينبتون الا بموت ودمار كل شيء •

هل سيقولون « أن هذه مجرد أزمة للرأسمالية » ؟

للأسف فالعام الاشتراكي الرسمي الذي يمثله الاتحاد السوفيتي ،

بالرغم من كل هذه الآمال التي قد ولدت عند ضحايا الرأسمالية ، لم يوفر لهم منذ ثورة أكتوبر ١٩١٧ نظاما مقنعا يرد على النظام الرأسمالي •

هذا لأنه يتحدث بنفس العايات ، ألا وهى التنمية مع مراعاة الرغبه التي يعلنونها عن التغلب على البلاد الرأسمالية وكأن الاشتراكية فقط مجرد طريقة للوصول الى هدف التنمية الرأسمالية وبدرجة أفضل من الرأسماليين أنفسهم •

أما في مجال الثقافة الاشتراكية الرسمية قد تناست القيم الروحية في هذه الحياة هذا على عكس ما قاله كارل ماركس نفسه في كتابه « رأس المال » حيث يرى أن مولد الانسان وخروجه من المرحلة الحيوانية مرتبط باحساسه بالهدف وبالغرض ويبدأ بالفعل تاريخه العظيم ، مع أنه كان ينقد الفكرة الثنائية للروحانية كما يراها علماء اللاهوت في وقته مع أنه أيضا كان يعتقد أن الدين بمثابة أفيون للشعوب » •

ويتساءل جارودى:

آلا يمكننا أن نخرج من هذا الطريق المسدود الذى وصلنا اليه بعد هزيمة الغرب المضاعفة وندخل من جديد المعنى وهو بحق البهد الأسمى وهذا عن طريق نفس التقاليد الدينية التي استقبلها الغرب سواء كانت اليهودية أو المسيحية ؟ •

« أما النبى محمد صلى الله عليه وسلم فلم يقل أبدا أنه يؤسس دينا جديدا •

فالقرآن لا يفتأ يؤكد أنه تكملة للدين الأساسى دين ابراهيم عليه السلام الذى باسلامه المطلق للارادة الالهية قد وافق على التضحية بابنه وهذا يعد بحق المنهج المثالى الأكمل .

وقد بدأت رسالة التوراة في الاضمعلال عندما خالطها تفسير قبلي كنسى يزعم أنه شرعى لوحدة الانسان مع الله سبحانه وتعالى كما عاشها ابراهيم وكما يقول هذا القانون الذي أرسل لموسى •

فالوحدة بين الرب والقانون كانت موجهة بالفعل الى كل الناس وكما تؤكد الكتب أنسماوية في كل قبائل الأرض •

ولكننا نرى فى الوصية القديمة وبعد أن انقسمت اسرائيل ومملكة يهوذا حوالى سنة ٩٣٠ قبل الميلاد نرى بوضوح تلك الفكرتين ــ أولاهما « روحية » عما يسمى « الشعب المفتا . » يكون فيها هذا الشعب من لبوا نداء الله أو مثل ابراهيم من يكونون أمة الايمان باسلامهم لله والفكرة الثانية التى ترجع الى العنصر يكون فيها « الشعب المفتار » هو من بقى فيه الدم والجنس المخاص بأولاهما ابراهيم عليه السلام .

أما المفهوم الأول فهو عمومى شامل للناس جميعهم أيا كان عنصرهم أو جنسهم « الذين ينبون نداء الله » وهو المفهوم الذى يأتينا من الأنبياء مثل عاموس وحزقيال واسحاق ويعقوب الذى سيئول بعد ذلك لسيدنا عيسى عليه السلام •

أما المفهوم الثانى القبلى العنصرى فهو قائم على التفرقة بين الأجناس ويظهر في صورته الصارمة في مملكة يهوذا عندما يطالب رجلان ، يعتبران ثقة بجانب منك الفرس ، آلا وهما الكاتب ـ ازدراس ، والكاهن نهيمي بعد عودتهما من المنفى ـ عندما يطالبان بقوانين التفرقة العنصرية التي تمنع الزواج من خارج القبيلة ،

أما العنصر الثانى الذى أدى الى افساد دين ابراهيم بعد هذا التفسير القبلى والعنصرى للوحدة بين الخالق والمخلوق فهو نشاة الكنيسة واللاهوت وهنا أيضا يحق لنا أن نفرق بين الاتجاه « اللاوى » والاتجاه النبوى ، فالكاهن Heuita متخصص فى شئون المناسك فقط وهو يعتبر همزة الوصل بين الرب والعباد ويقوم على تطبيق دقيق للمراسم ولأحكام الكنيسة الكهنوتية التى تعطى على أية واجبات دينية أخرى حتى أن هؤلاء الكهنة يفرضون عقوبة الموت على من لا يحترم عطلة يوم السبت والموادية الموت على من لا يحترم عطلة يوم السبت والموادية الموت على من لا يحترم عطلة يوم السبت والموادية الموت على من لا يحترم عطلة يوم السبت والموادية الموت على من لا يحترم عطلة يوم السبت و الموادية الموت على من لا يحترم عطلة يوم السبت و الموت على من لا يحترم عطلة يوم السبت و الموت على من لا يحترم عطلة يوم السبت و الموت على من لا يحترم عطلة يوم السبت و الموت على من لا يحترم عطلة يوم السبت و الموت على من لا يحترم عطلة يوم السبت و الموت على من لا يحترم عطلة يوم السبت و الموت على من لا يحترم عطلة يوم السبت و الموت على من لا يحترم عطلة يوم السبت و الموت على من لا يحترم عطلة يوم السبت و الموت على من لا يحترم على السبت و الموت على الموت على من لا يحترم على الموت الموت على الموت على

والعنصر انثالث وراء المساد الثقافة الدينية هو التفسير المادى لما

بسمى « بالموعد » فالكنيسة انقائمة على أهواء هؤلاء الكهنة وليس على النبوة ، تربط بين « الموعد » وبين الأرض كما تربط بين الاختيار ، فى اطار ما يسمونه بالشعب المختار بين الدم والعنصر ، ذلك بالرغم من هذه النقائيد الروحية العامة التى تسود الديانة اليهودية ، لذلك فنحن نرى للأسف وحتى يومنا هذا فى فبراير ١٩٨٣ م مثلا — حيث تقوم جريدة اسرائيلية بتوجيه المديح للجنرال آريل شارون وأعماله البشعة فى لبنان مقالا بعنوان : يوشع جد شارون » ،

فسيدنا عيسى عليه السلام — بحياته وتعاليمه وموته ثم بعثه يجدد هذه التقاليد النبوية العظيمة التى تواجه هـذه الفلسـفة الكهنوتيـة البيروقراطية وحتى يتسنى له أن يقوم برسالته على الوجه الأكمل سفقد ركز على الروحانية وعلى التسامى وعلى البعد عن السياسة ٥٠ لذلك عندما حاول سيدنا عيسى عليه السلام أن يواجه هذه المادية التى تحيط به وأن يرجع التوازن ويذكر الانسان بحاجته لما هو أسمى وأعلى من الخبز فانما قد رفض نسيان القيم الروحية دون أن يهاجم فى نفس الوقت المياة المادية ذاتها ولكن هؤلاء الذين كانوا يطلقون كذبا على أنفسهم هذه المادة وضد العالم قدموا بتمريض الناس وملتهم بالخوف والكراهية ضد المادة وضد العالم وضد التاريخ •

ولقد حاول سيدنا عيسى فى ظل سيطرة قياصرة روما أن يبقى على الحياة الداخلية للانسان وعلى سموه واتجاهه الى الله ، ولقد نطق الجملة التى قد تعد هامة فى هذا الوقت: « أعط ما لقيصر لقيصر وما الله الله ، وكان الامبر اطور بمثابة الاله الذى كان يعاقب بالموت فعاقب من يحاول أن يأخذ منه النفوس التى يزعم أنه يسيطر عليها كما يسيطر على الأجساد .

وهكذا تحولت هذه الكلمة الى شعار كاذب يفرق بين الايمان والسياسة ويجعل من الدين مسألة خاصة كى يتمكن الحكام من أن يسودوا غافلين عن أعين الله » •

« أما النبى محمد صلى الله عليه وسلم كما يقول جارودى ــ غلم يكن مجرد نبى وانما كان أيضا رجل دولة ومشرعا وزوجا وأبا وتاجرا وقاضيا وقائد حرب وأخذت الرسالة النبوية أبعاد جديدة لم يكن من المكن أن تأخذها وقت سيدنا عيسى عليه السلام ، فقد اشتملت على العلاقات الاجتماعية دون أن تفقد أبعادها الروحية أبدا ، وقد قيل في القرآن الكريم (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) « الرعد ١١ » ،

هكذا كانت الخاصية القرآنية هي منهاج أخلاقى العمل • فالدين الاسلامي يرفض بتاتا حياة الأديرة التي يكون فيها التأمل هو السبيك الوحيد والهدف الأسمى •

فالانسان في القرآن هو خليفة الله في الأرض والقائم عليها وهو مسئول تماما عن تاريخه و لذلك فهذه الرسالة لا يمكن أن تنفذ الا في داخل الجماعة أو الأمة ، فالمسلم هو أولا من يقتنع بأن الله قد خلقه ليكون مسئولا عن مصير كل الناس •

هذه الأمة الاسلامية هي من نوع جديد لا ترتكز على جماعة من نفس الدم أو من نفس العنصر ولا ترتكز على أرض أو على سوق معينة ولا حتى على حضارة بعينها • فهي لا تقوم على أي شيء قد يورث سواء في الطبيعة أو في التاريخ أو على شيء يقوم على عطاء معين أو على ماض معين • وانما تقوم الأمة على الاختيار هو بمثابة الاستجابة للنداء والاستسلام لارادة الله الذي يحتم على الفرد معاونة الآخرين سواء في حاجاتهم المادية أو في احجاتهم الروحية •

كذلك فأنت لا تجد فى الاسلام شيئا يجعلك تعتبر الدين مسألة خاصة أو شخصية ففكرة اعطاء ما ليقيصر لقيصر وما الله الله غير مقبولة بتاتا من المسلم مع أى عمل انسانى له أبعاده الروحية السماوية وأول واجب بالتالى على الحاكم هو أن يوائم بين أعماله والارادة الالهية ، غير ناظر الفائدة شخصية أو لمصلحة تتعلق بمجموعة معينة أو بدولة معينة وانما نتعلق بالعالم أجمع وبالانسانية جمعاء .

وهكذا فان الايمان والسياسة هما بعدان للانسان قد ظلا مختلطين بالكنيسة والنولة أى بمؤسستين رسسميتين وهكذا اختلط الأمر على الناس » •

أما المفهوم الاسلامى الذى لا يعرف فكرة الكنيسة • فقد جاء — كما يقول جارودى — من « الوحدة العميقة التى تربط بين هذين الاستخدامين نلعقل ، والحركة التى تربط بين الأسلوب والأحداث والتى تعطينا الأساليب ، والحركة الثانية التى تجعلنا نصعد من هدف الى هدف ، من هدف معين الى هدف أسمى وأن ترتب هكذا الأساليب كلها بانسجام لتوائم الأهداف الروحية المسنمة .

أما الغرب ومنذ عصر النهضة فقد هدم الطريقة الوهيدة للعقل التى قد تؤدى الى غائدة ما وهجبها عن استخدامها الروهى الوهيد ألا وهو البحث عن المعنى • وقد أدتى هذا البتر العقل الى أن أصبح العلم مجرد مذهب يقرر الاكفتاء به من هيث قدرته على الذهاب الى المسائل القصوى الدائرة على المعرفة البشرية وأوصل الفن الى التكنوقراطية والسياسة الى تكتيك السلطة فقط •

وعلى المكس من ذلك فانرسالة القرآنية تسمح لنا بأن نعيد التفكير في كل أشكال العمل من التقنية الى السياسة وتطالبنا سواء أكنا علماء أم فنيين أم رجال سياسة أم مجرد رجال عاديين آلا نتساءل عن « الكيف » _ أى عن الأسلوب ولكننا نتساءل أولا « لماذا » أى عن أسباب الأهداف وعن المعنى وعن هدف وغاية كل عمل من عمالنا •

لا أما الشبىء الثانى الذى أعطاه لنا القرآن وهو شىء هام جدا بالنسبة لحياتنا فهو المضاد لهاتين النزعتين الفسردية والقوميسة وهما الوباءان اللذان سيؤديان الى موت وانتحار الكوكب الأرضى بأكمله •

فعندما أسس سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أول دولة اسلامية في سنة ٦٢٢ م ... رفض أى تعاون يقوم على الصلة القبلية أو على

صلة الدم أو على أية طبيعة أخرى • وقد أعتبر أن المجتمع سيكون مجتمعا انسانيا حقا وغير حيوانى أى أنه لن يقوم على المصالح وعلى الرغبات • وقد أقام الاسلام نوعا من السلام مع الأمة اليهودية وبعد ذلك بستة أعوام مع مسيحى نجران بالجزيرة العربية وانتشر هذا الصلح وضم الهنود والمبوذيين في عصر الخلفاء الأول وهكذا أقام سيدنا محمد صلى الله عليه وسم نموذجا للأمة الاسلامية انتي لا يمكن أبدا أن تكون أمة قومية وانما دولية • • وهكذا لا تقوم الدولة الا بتنفيذ أحكام الله •

أما الفردية فهى تختلف اختلافا كليا فى النظرة الشاملة المسلمة للعالم فالعالم لا يحدّمه الا انتوحيد اى لا ينظر النبىء الا كجزء من كل وليس وجهة نظر مضاحة دولة معينة أو فئة معينة ولكن للمصلحة العامة للكوكب الأرضى كله و

ان أحكام الاسلام لا تنطلق من وجهة نظر فرد يعتبر نفسه المركز الرئيسى لكل شيء ولكنها من عند الله سبحانه وتعالى ومن منطلق هذه الروحية التي تجعل من الانا الفردية بعدا روحيا واساسيا هو المساركة في كل شيء •

ان القرآن وهو وحى من عند الله سبحانه وتعالى • مثل المتوراة تدخل سماوى في تاريخ وحياة الناس _ وذلك يدعونا الى أن نفكر في قراءة القرآن على مستوى آخر قائم على الفلسفة الدينية لأنه كلام منزل من عند الله سبحانه وتعالى •

وعظمة الله سبحانه وتعالى وسموه تعنى أنه لا يمكننا أبدا أن نعرف عنه سبحانه الا ما حدثنا به القرآن الكريم لأنه لا يوجد هناك أى وجه تشابه واحد بين الانسان وحالقه و فقد قبل في القرآن أن العين لا يمكن آن تراه فهو يفوق أي حس أنساني وهو يفوق أي تعريف وأي تصور بشرى و

ويضيف جارودى :

« للاسلام اليوم امكانيات واحتمالات الانتشار في العالم أكثر حتى من الوقت الذي وصل فيه الى ذروته ٠

فالمنهج الأمريكي والمنهج السوفيتي قد أثبتا فشلهما • أما الاسلام فوه يمنح للانسان الأمل في عالمنا هذا الذي يسوده الخوف حتى على استمراره وعلى بقائه _ ومن اليسير عليه لو تخلتي عن فكرة اغلاق باب الاجتهاد واستطاع أن يجد المبادى التي تعيد اليه الحيوية والعظمة كما بستطيع أن يستخلص من قرآنه المبادى الخالدة التي تمكنه من أن يواجه مشاكل العصر » •

ويرى جارودى أن الصلاة تربط الانسان بالبشرية قيقول:

« فالقرآن الكريم عندما يأتينا بحلول تاريخية معينة فانه يأتينا في نفس الوقت بقيم خالدة عظيمة وهذا الطابع التاريخي للرسالة السماوية واضح في القرآن نفسه حيث تقرأ ما معناه أن الله قد منحكم المساكن المصنوعة بجلد الحيوان حتى تكون خفيفة يوم تنتقلون من مكان الى آخر ويوم تحطون خيامكم فمن الواضح هنا أن الحديث موجه لجموعة من البدو الرحل في وقت معين من التاريخ كي يعلموا بحقيقة ثابتة وأبدية وهي سماحة ووجود الله عز وجل المحديث وجود الله عز وجل المحديث وجود الله عز وجل المحديث وجود الله عز وجل المحديث وقت معين من التاريخ كي يعلموا بحقيقة ثابتة وأبدية وهي سماحة ووجود الله عز وجل المحديث وقت معين من التاريخ كي يعلموا بحقيقة ثابتة وأبدية وهي سماحة ووجود الله عز وجل المحديث وقت معين من التاريخ كي يعلموا بحقيقية ثابتة وأبدية وهي سماحة ووجود الله عز وجل المحديث وقت معين من التاريخ كي يعلموا بحقيقة ثابتة وأبدية وهي سماحة ووجود الله عز وجل المحديث وقت معين من التاريخ كي يعلموا بحقيقية ثابته وأبدية وهي سماحة ووجود الله عز وجل المحديث وقت معين من التاريخ كي يعلموا بحقيقة ثابته وأبدية وهي سماحة ووجود الله عز وجل المحديث والمحديث و المحديث والمحديث والمحديث

وهذا يخالف تلك النظرة المتعجرفة الفرعونية للانسان حيث يرى أنه من القوة بحيث يمكنه أن يعتمد على نفسه فقط •

وهذا يذكرنا بعظمة الله سبحانه وتعانى بدلا من أن نفكر في الاكتفاء بأنفسنا ويذكر أيضا هؤلاء الذين بنوا الأهرامات على سبيل المثال •

أما أذا طالبنا القرآن بأن نغتسل قبل القيام بالصلاة فهو يخبرنا بأنذا نستطيع أن نستخدم الرمل لنفسل وجوهنا وأيدينا • • فمن الواضح أن الكلام موجه هنا الى سكان الصحارى ولبس الى سكان الاسكيمو مثلا •

هكذا فقد أعطانا الله رسالة خالدة عندما تحدث عن تجربة معينة

غالاغتسال هنا رمزى يؤكد ضرورة مناسن النظافة التى تصاحب الصلاة . أى الوقفة في الحياة اليومية التى تعيد لحياتنا مركزها الحقيقى وتجردنا من كل ما يحيط بنا من هموم وقتية حتى تأخذ كل أعمالنا معناها الحقيقى وترتبط بالتالى بمعظمة الله سبحانه وتعالى •

والصلاة لا تربط الانسان فقط بالطبيعة والكون ولكنها تربطه بالبشرية جمعاء فالقبلة في المساجد تصور حلقات من دوائر متقابلة ترمز الى الوحدة انتامة وكذلك ساعات الصلاة تتغير مع خطوط الطول في حركة ضخمة للتعبد لا تفتأ تتردد على الأرض بأكملها وهكذا يكون تعبير الوحدة في الاسلام برموز طبيعية تتفق مع كل النبوءات منذ ابراهيم عليه السلام حتى سيدنا موسى ومن سيدنا عيسى الى سيدنا محمد صلى الله عليسه وسلم •

والقرآن الكريم خاطب الانسانية غى جميع مراحلها _ بما فيها من ضعف وقوة وصور فى الفترة التى نزل فيها أحداثا تتكرر مع البشرية فى مراحل أخرى من تطورها ٠٠

من ذلك مثلا ما ورد في القرآن الكريم عن (أبو لهب وأمواله) ما بجعلنا نستخلص من هذه السورة القصة التي تدور في القبيلة وكذلك المعنى الخاص بتكديس الأموال دون أي هدف انساني والتنمية العمياء التي هي الآن سمة كل الدول ٠

تلك هى الآفاق التى تفتح لنا نحن مسلمى الغرب كى نكسب الستقبل فالاسلام الخالد يمكنه اليوم أن يغزو العالم كاله برسالته لأنه يعطينا الاحابة على تلك الأسئلة التى تجول بخاطرنا فى هذا العصر •

- _ السؤال الذي يراودنا بعد هذه التنمية العمياء للعلوم والفنون .
- _ والسؤال الذي يراودنا بعد هذه الزيادة العمياء للشعوب والدول .

١ _ فبدلا من أن نحول عالم الأشياء والمخلوقات الى أحداث وقوانين

فالاسلام يذكرنا بضرورة البحث عن هدف ومعنى أولا • فهذا الانسان الغربى الذى يكرر السؤال عن الكيف ويتناسى السؤال عن السبب سنحاول أن نذكره أن انتكنيك للتكنيك والعلم للعلم يؤدى الى العدم وأن الحياة من أجل لا شيء هي الانتحار البطيء للكوكب كله وأن هذا كله يأتي من نسيان تبعبة الأساليب ونسيان الأبعاد الروحية للحياة •

هكذا يمكننا بالاسلام أن نبين ضرورة المعنى والسمو وتذكر الخالق انعظيم •

٧ ــ أما بالنسبة للفردية وللقومية التي تجعل من الفرد أو من الدولة مركزا ومعيارا لكل شيء فهي سوف تؤدى الى كارثة كبيرة تواجه فيها المصالح والمآرب حب السلطة وأحلام النمو المفرط وهــذا لن يؤدى بالتالى الا الى العنف والفناء •

ولهذا يمكن للاسلام أن يمنح الحل بهذه الصورة الجديدة • ألا وهى صورة الجماعة التي لا تقوم الا على الاحترام العام للقيم الروحية •

فالاسلام هو تتويج لتراث ابراهيم عايه السلام الذى نادى الانسان سواء عن طريق اليهودية أو السيحية ، بالبحث عن هدفه الأسمى وهو يستطيع الآن أن يعطينا من جديد الأمل فى هذه المجتمعات الغربية التى فككها النظام التكنونو قراطى للحضارة الذى أدى لا الى سعادة _ الانسان وانما الى هدمه وفنائه ،

وهكذا يمكن للاسلام أن يحمى الانسان من هذا النظام الخاطئ في التنمية العمياء التي تؤدى الى نهايته الحتمية .

ولن يمكعنا نحن مسلمى الغرب أن نؤدى هذا الدور الا اذا لم نغفل أبدا أننا كي نحترم أجدادنا يجب أن نوصل الشعلة لا أن نبقى على الرماد » •

البابالسارس

الاسلام ومستقبل المضارة

«سئل – رهط من علماء الغرب عن مصير الانسان – فقال العالم المشهور (سير جوليان هكسلى) ما فحواه: ان أدوار التطور الكبرى قد انتهت بالنسبة الى النوع الانسانى ، الا ما يكون منها خاصا بالدفاع والفكر، ، فان النوع الانسانى لا يزال قابلا فى هذه الوجهة للمزيد من التقدم والنماء ، وليس المنظور أن يكون هذا التطور «عضويا حيويا » فى بنية الدفاع ، فان حكم الدماغ من حيث النماء الجسدى كحكم سائر الوظائف الحيوية ، ولكن الأفكار التى تتولد من مباحث العلم والفن على الأجيال المتعاقبة تزيد محصول الانسان من المعرفة فتزداد قدرته على التفكير الصحيح تبعا لذلك ، ويحدث التجاوب بين المارفين فى البيئة الواحدة فيصحح بعضهم تفكير بعض ويأتى من تجميع الأفكار وصحة التفكير ،

والذين خالفوا السير جوليان هكسلى فى تطور الدفاع من البنية الجسدية لم يخالفوه فى اعتقاده أن التقدم سيأتى من معالجة التفكير ، وأن مرانة الذهن على التفكير في مصاعب الحياة هى التى يرتبط بها النماء فى حجم الدماغ وفى قدرته على الفهم والادراك ، ثم فى تعوده أن يعمل بداهة وارتجالا ما يعمله اليوم بعد التبه والاجتهاد ،

وقرر هكسلى وموافقوه من العاماء والمفكرين الذين سئلوا عن مصير الانسان أن هذه الآراء جميعاً أبعد ما تكون عن « المادية » أو عن تلك الماسفة التى تربط مصير الانسان بجسده ، وبالمعيشة المادية التى تعيشها الجماعة وتفرضها على عقول أفرادها •

« فلا عمل للمادية في توجيه مستقبل الانسان ، واني هي الأفكار والعلوم مناط التقدم كله ، ومناط الاتجاه — من ثم — الى أطوار من الرقى واننما، تعلو على أطواره اليوم (١) » •

ويذكر الأستاذ العقاد (٢) أن المفكرين الدينيين عقبوا على هذه الآراء « غوافقها انكثيرون منهم » ولمكنهم قالوا ان نجاة النوع الانساني مما يهدده غدا لن بكون معلقا بأفكاره العلمية ولا بمباهئه في شئون الفلسفة الطبيعة ، لأن هذا النوع الانسان انما يأتيه خطر الفناء من جانبين اثنين : أحدهما كوارث الكون الكبرى ولا حيلة له في دفعها بعلومه وفلسفاته ، والمجانب الآخر كارثة الحرب الذرية ، وهي بعض آثار التقدم العلمي ولن يكون خلاص النوع الانساني منها على يد العلم المتقدم لأنه هو مصدر الفطر ووسيلة الكارثة المرهوبة ، وسلاح الحرب الشمواء انتي تودي بحياة هذا النوع أو تبقى ما بقى منه في حالة كحالات الهمجية الأولى ، وقد سئل أينشتين مرة : ماذا يكون سلاح الحرب العالمية الرابعة اذا كانت الذرة هي سلاح الثالثة ؟ فقال جادا غاية الجد وساخرا غاية السخرية : تكون سلاحها المجارة ا يشير بذلك الي رجعة الانسان كرة أخرى الى العصر الذي سبق عصر القوس والسيف فضلا عن عصر الطيارة والصاروخ ،

« قال أولئك المفكرون: ان الخطر اذا كان من نفس الانسان فلا نجاة له بعلوم العقل ومخترعات الصناعة ، وانما تكون نجاته بعلم من عالم الروح تنتفع به المضمائر والمعقول ، انما تكون نجاته بالدين ، وبالايمان الدينى والعقيدة الالهية ، ولا نجأه ! ه في غير هذا الطريق (٣) » .

وكل هذه الآراء من أقوال كبار المفكرين _ كما يقول العقاد _ « انما تهدم المادية باسم الفكر والمعرفة وتعتمد على الفارق بين جانب الانسان

⁽۱) عباس محمود العقاد : « المادية تنهزم » في : مجلة الأزهر ... نبراير ۱۹۲۳ ،

⁽٢) المرجع نفسه .

⁽٣) العقاد : نفس المرجع السابق ،

العقلى وجانبه الجسدى لترجيح القول باعتماده في تقدمه بعد اليوم على الناحية الفكرية منه ، أو على الناحية التي تأتى من تجمع المعلومات والانتفاع بها نمي حياته العلمية ، •

ولكن الفلسفة المادية _ قيما يرى العتاد _ لن تنهزم من ناحية التفكير وحده ، ولا من ناحية الدفاع المفكر دون النظر الى مادة بدنه ومادة الكائنات الطبيعية من حوله ، بل تنهدم الفلسفة المادية لا محالة من كل نظرة واقعية ننظرها الى حقيقة المادة ، وحقيقة تركيبها مستقلة عن الفكر ، بل عن الدماغ وهو محمول على المادة من بعض نواحيه ، أن المادة نفسها ليس لها قوام أصيل يقاس بغير مقاييس الفكر المض ، كما تقاس الفكرة عن الروح وعن عالم التجريد والمجردات (١) •

ومن تقريرات العلماء ، يتضح أن هناك فارقا أساسيا بين علوم المادة وعلوم الحياة • وأن هناك بالذات « فارقا أساسيا بين طبيعة علوم المادة ، وطبيعة علم الانسان ، وبين طبيعة موقف العقل من هذه وتلك . وأن هذا الفارق كامن في أمرين ثابتين ، لا يتعلقان ببيئة ولا زمان ، ولا بظروف وقتية مرهونة بالزمان والمكان هما : تعقد الأمور ، وطبيعة تركيب عقولنا ٠٠ وأن تقدم الانسان في علوم المادة وابداعه في العالم المادى ، وصحة بحوثه ونظرياته في هذا الحقل ، وأن هذا الحقل غير ذاك في طبيعتهما أولا ثم في مدى التقدم الذي وصل اليه الانسان بالفعل ثانيا • ثم فيما ينتظر تقدم الانسان في كليهما ثالثا (٢) » •

هذا الواقع « العلمي » من « الجهل المطبق » بالانسان _ مع العلم النسبى بالمادة _ كما يقول سيد قطب (٣) _ نتيجة متوقعة ، وثمرة طبيعية ، لحقيقة دور الانسان في الأرض ، وغاية وجوده الانساني في الكون ، كما تبدو من خلال التصور الاسلامي ٥٠ والاسلام يرتب على هذه الحقيقة نتائجها ، فيطلق يد الانسان في عمارة الأرض ، واستخدام

⁽١) العقاد: المرجع السابق.

⁽٢) سيد قطب : الاسلام ومشكلات الحضارة ، ص ٢٣ ٠

⁽٣) الرجع نفسه ، ص ٢٤ .

طاقاتها وخاماتها والتحليل فيها والتركيب ، والتحوير فيه والتعديل ٠٠ بينما هو يضع لهذا الانسان منهج حياته ، الذي يحكم هذه الحياة ، ولا يكل اليه هو وضع هذا المنهج ، لأنه مزود بطاقات معينة ليتحكم في المادة عن علم _ نسبى طبعا _ بينما هو غير مزود بمثل هذه الطاقات لمعرفة نفسه ، حتى يتحكم في أمرها عن علم كما هو يتحكم في المادة (١) » •

فالانسان في التصور الاسلامي هو سيد هذه الأرض؛ «بخلافته فيها عن الله ، وكل ما فيها مسخر له ، بقدرة الله تعالى ، وقد أوتى امكان العام بشؤونها هبة من الله والاستمتاع بطيباتها وجمالها ، نعمة منه خالصة • • • وليست الأرض وحدها وكل ما فيها من أحياء وأشياء • • ولكن كذلك السموات مهيأة لمساعدة الانسان في خلافته في الأرض ، ومراعي في بنائها دون الانسان في هذه الخلافة • • انه أمر عظيم هائل • • ولكنه كذلك (٢) »!

(هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ، ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات ، وهو بكل شيء عليم ، واذ قال ربك للملائكة انى جاعل في الأرض خليفة ، قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال : انى أعلم ما لا تعلمون ، وعلم آدم الأسماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة ، فقال : أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، قالوا : سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ، انك أنت العليم الحكيم ، قال : يا آدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم قال : ألم أقل لكم : انى أعلم غيب السماوات والأرض ، وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ؟ واذ قلنا للملائكة : اسجدوا لآدم ، فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر كا وكان من الكافرين ،) ،

« البقرة ٢٩ - ٣٤ »

(الله الذي سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ، ولتبتغوا من

[·] YE on 6 amai (1)

⁽٢) نفسه ، ص ٢٤ .

فضله ، ولعلكم تشكرون ، وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه ، ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) .

« الجاثية ١٢ – ١٣ »

(والانعام خلقها لكم ، فيها دفء ومنافع ، ومنها تأكلون و ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون و وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس ، ان ربكم لرؤوف رحيم و والخيل والبغال والحمير لتركبوها ، وزبنة ، ويخلق ما لا تعلمون و وعلى الله قصد السبيل و ومنها حائر و ولو شاء لهداكم أجمعين و هو الذي أنزل من السماء ماء ، لكم منه شراب ، ومنه شجر فيه تسيمون و ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ، ومن كل الثمرات ، ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار ، والشمس والقمر ، والنجوم مسخرات بأمره أن في ذلك لآيات لقوم يعقلون و وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا لآية لقوم يذكرون و وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه ، ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون و وعلامات وبالنجم هم يهتدون) و

« النمل : ٥ - ١٦)

ولكن هذا الانسان في التصور الاسلامي – على حد تعبير سيد قطب (١) – «على كل ما استودعه الله من أمانة الخلافة الكبرى في هذا الملك العريض • وعلى كل ما سخر له من القوى والطاقات والأسياء والأحياء فيه ؛ وعلى كل ما أودعه من طاقات المعرفة والاستعداد لادراك الجوانب اللازمة له في الخلافة من النواميس الكونية • على كل هذا هو مخلوق ضعيف ، تغلبه شهواته أحيانا • ويحكمه هواه أحيانا ، ويقعد به ضعفه أحيانا ، ويلازمه جهله بنفسه في كل حين • • ومن ثم لم يترك أمر نفسه ومنهجه في الحياة لشهواته وهواه وضعفه وجهله • • ولكن أكمل

⁽١) المرجع السابق ، ص ٢٥٠

الله علبه نعمته ورعايته ، فتولى عنه هذا الجانب الذى يعلم ــ سبحانه ــ أن الانسان لا يقدر عليه قدرته على المادة ، ولا يعلم بمقتضيات علمه بقوانين المادة .

وأول ما ظهر من ضعفه وعجزه وخضوعه للاغراء والشهوات ما يصوره القرآن الكريم من استسلامه لاغواء الشيطان له بشهوة الخلد وشهوة الملك ، ونسيانه أنه عدوه الذي يتربص به ونسيانه كذلك تحذير الله له ٠٠ وهو تصوير الحقيقة الخالدة في الانسان _ ما لم يعتصم بالله ومنهجه للحياة _ والا فهو انشقاء والنكد في الحياة الدنيا وفي الحياة الأخرى : (ولقد عهدنا الي آدم من قبل ، فنسى وام نجد له عـزما ، واذ قانـا للملائكة : اسجدوا لآدم ، فسجدوا ، الا ابليس أبى • فقلنا : يا آدم ان هذا عدو !ك ولزوجك ، فلا يخرجنكما من الجنة فتشمقى • ان اك آلا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى • فوسوس اليه الشيطان : قال : يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ؟ فأكلا منها ، فبدت لهما سوآتهما ، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة . وعصى آدم ربه فغوى • ثم أجتباه ربه غناب عليه وهدى • قال : اهبدا منها جميعا ، بعضكم ابعض عدو ، فاما يأتينكم منى هدى : فمن اتبع هداى غلا يضل ولا يشقى • ومن أعرض عن ذكرى فان ! ٩ معيشة ضنكا . ونحشره يوم القيامة آعمى • قال : رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ؟ قال : كذلك أتتك آياتنا فنسيتها ؛ وكذلك اليوم تنسى • وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ، واحذاب الآخرة أشد وأبقى) ٥٠ (db 011 - VYI)

وتتواتر الاشارات الى جهل الانسان بأمر نفسه ومستقبله ومصيره ومآل أفعاله ، مع تأثره بالسهوات وبالهوى والصعف بحيث لا يصلح بجهالته هذه وضعفه وهواه للأن يتولى وضع منهج لحياته هو ما وان كان مزودا بانقدرة على استخدام المادة ، ومعرفة قوانينها اللازمة له فى الخلافة مد فى اطار المنهج الذى رسمه الله لحياته ٠٠

(ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ٠٠) ٠ « الروم : ٦ ــ ٧ »

(ويسألونك عن ألروح: قل : ألروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم، الا قليلا ١٠٠٠) ٠

« الاسراء: ٥٨ »

وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وه! تدرى نفس بأى أرض تموت . ان الله عليم خبير) ٠٠٠

« لقمان : ۲۶ »

(اباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا) •••

« 19: elmil »

(فعسى أن تكرهوا شيئًا ، ويجعل الله غيه خيرا كثيرا) ٠٠

« النساء : ۱۲ »

(وعسى ان تكرهوا شيئًا وهو خير !كم ، وعسى أن تحبوا شيئًا وهو شر نكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون) • •

« البقرة: ٢١٦ »

« لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) •

« الطلاق ١٠ »

(ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى) ٠٠٠

« النجم: ۲۳ »

(ولو اتبع المن أهواءهم لفسدت السهاوات والأرض ومن فيهن) *** « المؤمنون : ٧١ »

(ان الانسان خلق هلوعا ١٤ اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخبر منوعا) ٠٠٠

« المعارج: ١٩ »

وغير هذه الاشارات في القرآن كثير ٥٠٠ وهي تجيء - غالبا - تعقيبا عنى التشريعات والتوجيهات التي يسنها الله للناس ، ويخبرهم معها أنهم هم لا يستطيعون أن يشرعوا لأنفسهم ، وليست لديهم القدرات والاستعدادات الضرورية لوضع منهج احياتهم هم أنفسهم ، لأنهم يجهلون انفسهم ، ويجهاون مآل تصرفاتهم ورغباتهم ، ويخضعون لأهوائهم وشهه أتهم ٥٠٠ وكلها مؤثرات تجعل من الخطر على وجودهم ، وعلى خط سيرهم في الحياة أن يتولوا هم وضع شريعتهم وتخطيط منهج حياتهم الأصيل إ(١) ٠

فنجد هذه الاشارات في مثل هذه المناسبات .

(ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ، ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) •

« الجاثية : ۱۸ »

(يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ، ولا تعضلوهن لتدهبوا ببعض ما اتيتموهن ـ الا أن يأتين بفاحشة مبينة ـ وعاشروهن بالمعروف ، فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) .

« النساء: ۱۹ »

« يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطاقوهن لعدتهن » وأحصوا العدة . واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ، ولا يخرجن الا أن يأتين

⁽۱) نفسه د ص ۲۸ ۰

بفاحشة مبينة • وتلك حدود الله • ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه • • لا تدرى لعل ألله يحدث بعد ذلك أمرا) •

« الطلاق: ۱ »

(يوصيكم الله في أولادكم للذكر عثل حظ الأنثيين • فان كن نساء فوق اثنتين فنهن ثلثا ما ترك • وان كانت واحدة فلها النصف ، ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك _ ان كان له ولد _ فان لم يكن ولد وورثه أبواه فلأمه السدس _ من بعد وصية يوصى بها أو دين _ آباؤكم وأبناؤكم لا ندرون أيهم أقرب لكم نفعا • • فريضة من الله • • ان الله كان عليما حكيما) •

« 11: « النساء : 11 »

كما نجد التنصيص القاطع والتشديد الحاسم ـ الذي لا يقبل المحال والجدال ـ على أنه لا يسلم المسلم ، ولا يؤمن المؤمن ، حتى يجعل منهج الله للحياة منهجه ، وشريعة الله للحياة شريعته ، ولا يتخذ من عند نفسه لحياته منهجا ولا شريعة .

وتتوالى النصوص القاطعة المؤكدة لهذه المقاعدة الأساسية في الاسلام على هذا النحو:

(ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت (١) — وقد أمروا أن يكفروا به — ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا ، واذا قبل لهم : تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول ، رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا ، فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ، ثم جاءوك يحلفون بالله أن أردنا الا احسانا وتوفيقا ؟ أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم ، فأعرض عنهم ، وعظهم ، وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا ، وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ، ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر

⁽۱) الطاغوت كل سلطان لا يستند الى سلطان الله ، وكل وضبع لا يجعل شريعة الله أساسا للحياة . سريعة الله أساسا للحياة . سيد قطب : المرجع السابق ، ص ٢٩ .

لهم الرسول ، لوجدوا الله توابا رحيما • فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) •

« النساء : ٠٠ ــ ٢٠ »

(انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ، بحكم بها النبيون الذين أسلموا _ للذين هادوا _ والربانيون والأهبار ، بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء • غلا تخشوا الناس والهشون • ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا • • ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون • • وكتبا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين ، والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن ، والسن بالسن ، والجروح قصاص ، فمن تصدق به فهو كفارة له ٠٠ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ٠٠ وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم ، مصدقا لما بين يديه من التوراة ، واآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ، ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة المتقين • وليحكم أهل الانجيل بما أنزل أنه فيه • • ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون • • وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ٠٠ فاحكم بينهم بما أنزل الله • ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق • لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا • ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ، ولكن ليبلوكم فيما التاكم • فاستبقوا الخيرات • الى الله مرجعكم جميعا ، فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون .. وأن احكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك • فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ، وان كثيرا من الناس لفاسقون ٠٠ أفحكم الجاهلية يبعون ؟ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ؟) ٠٠

« المائدة : عع _ ٠٠ »

وفى هذا القدر كفاية لتقرير نظرية الاسلام في شأن « الانسان » وتسليطه على عالم المادة وتسخيره له واتيانه القدرة على معرفة النواميس الكونية اللازمة له في الخلافة ٠٠ وفي الوقت ذاته تقرير عجزه عن معرفة

ذاته بمثل هذا الوضوح الذي يعرف به نواميس المادة ـ واعفائه ـ تبعا لهذا ـ من وضع منهج حياته الذاتية بنفسه ، وعون الله له بوضع المنهج الملائم لكيانه وفطرته ووظيفته في الأرض ٠٠ ثم ٠٠ الزامه باتباع منهج الله هذا ، وأخراجه من دائرة الايمان والاسلام ، أذا هو لم يتخذ هذا المنهج ، أو أذا هو أتخذ لنفسه منه جانبا وابتدع هو الجانب الآخر : « واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك) ٠٠ وانذاره بسوء الحال في الدنيا والآخرة أن هو فعل ذلك أو بعضه : (ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى) ٠٠٠

« db: 371 »

(هان لم تفعلوا هأذنوا بحرب من الله ورسوله) •• « البقرة : ۲۷۹ » وغيرها كثير •

ويبين لنا سيد قطب (١): وجهة النظر الاسلامية في حقيقة ما أعطى الانسان من الاستعداد لمعرفته وما لم يعط، ومقتضيات هذا وذاك في حياته •• نعود الى عناصر الماساة التي تعانيها البشرية اليوم، باتخاذها حضارة ومناهج حياة قائمة على ذبك « الجهل المطبق» بالانسان ـ كما يقرر « العالم» الغربي الكبير ـ فنجد هذا الجهل المطبق بالانسان ـ الى جانب المعرفة الواسعة بالمادة ـ عنصرا رئيسيا في هذه المساه •• لا لذاته • ولكن بسبب عدم الاعتبار به : ثم المضى معه في اقامة مناهج للحياة البشرية ، في معزل عن هدى الله ، بل في عداء واصرار على تجنب هدى الله وفي نفرة منه كالتي يصورها القرآن الكريم في قوله تعالى : فما لهم عن التذكرة معرصين • كأنهم حمسر مستنفرة • فرت من شدورة ١٤) • • •

« المدثر : ٤٩ ـــ ٥١ يه

من أجل ذلك جميعا ، يدهب جارودي الى أن الاسلام هو المل

(جارودى)

⁽١) المرجع نفسه ، ص ٣١ .

الوحيد ، وأن الحضارة الانسانية يرتبط مصيرها بالاسلام ، وحين يذهب الى ذلك ، فانه لم ينطلق من فراغ ، وانم نتيجة لبحث واستقصاء ونقد للحضارات والعظم الاجتماعية والسياسية ، قبل أن يهتدى الى الاسلام ، يقول جارودى مستخلصا من تأملاته في الستينات لأزمة الحركة الشيوعيه الدولية ، والانفصال الصيني ، وغزو تشيكوسلوفاكيا في عام ١٩٦٨ م ، والطريق المسدود أمام النظم المادية (١) ، أن « المراجعة الأليمة أصبحت ضرورية من الأن فصاعدا الشيوعيين ولغير الشيوعيين والمعادين والمعادين

ذلك أنه بجب طرح المسكلة في كل عمومياتها • لقد أصبح من الأمور العادية القول: أن امكانيات الانسان قد تزايدت في خلال عشرين سنة عنها خلال آلاف السنين • فماذا فعلوا في الدول الرأسمالية ، وحتى في أغنى هذه الدول من أجل تكيف العلاقات الانسانية مع هذا التحول الضخم ؟ وماذا تم في الدول الاشتراكية حيال نفس الموضوع ؟ •

ان الانتصار على « اللانهائيات » الثلاث قطع مرحلة حاسمة : فعند مستوى أصغر « اللانهائيات » فتحت السيطرة على الطاقة الذرية عهد التفتت المدروس للمادة ، الأمر الذي يتيح من الامكانيات قدرا تتلاشى معه الحدود أمام ثراء وسلطة البشر ،

وعند مستوى أكبر « اللانهائيات » أتاجت استكشافات الفضاء الأولى . آفاقا لا حصر لها للتعيرات الانسانية ، وربما لهجرتها عبر الفضاء • لقد تم تعدى الحدود العالمية للجنس البشرى •

وعند مستوى أعقد « اللانهائيات » حققت الثورة العلمية والتكتيكية أى ثورة « العقول » الالكترونية والتسيير الآلى للانتاج ، فى خلال سنوات قليلة أكبر المساعدات فى ميدان الحسابات والتقديرات البشرية حتى أن عقل الانسان الذى تحرر من وظيفته المبدعة قد اتسعت آفاقه

⁽۱) روجیه جارودی : التحول الکبیر ، ص ۲ .

فجأه الى درجه أن قدراته الحقيقية تجاوزت لفترة من الزمن خياله الذى أصيب بالدوار أمام الاحتمالات المكنة ٠٠

وأصبح المرء يشعر ، في نفس الوقت . أن كل شيء ممكن وأنه يوجد تخلف أليم بين الحياة التي هي في طريق التكوين والحياة الحقيقية •

ان غانبية الطاقة الدرية تستخدم فى تكديس وسائل التدمير وليس فى وسائل الانتاج وأصبحت ملحمة الفضاء الرائعة موضوع منافسه فى ميدان العظمة « مع بيات عسكرية غير معلنة » بين الدول الكبرى •

أما بالنسبة لنتائج صبغ أنشطة الانسان بصبغة الثورة العلمية والتكنولوجية فأن الشك لا يزال قائما بصددها : هل ستؤدى الى قيود وتنازلات جديدة في ظل السيطرة التكنوقر اطبة أم الى تفجير لم يسبق له مثيل لامكانيات الانسان المبدعة ٠٠ امكانيات كل انسان ؟ (١) » ٠

ويذهب جارودى الى أن طرح المسكلة « بهذه الصورة لا يعنى العودة الى مفهوم التمييز المطلق المعوامل التكتيكية •• كما لا يعنى الاستسلام ليكانيكبة تطور القوى الانتاجية وحدها والتى تنبع منها جميع أشكال المياة الاجتماعية ابتداء من الهياكل السياسية حتى الايديولوجيات (٢) »:

ويقول جارودى :

«نحن لا نعتقد أن العالم الحالى يمكنه بالضرورة ، عن طريق التدرج التاريخي ، أن يصل الى حالة التوازن ، أى أننا لا نعتقد أن النظام القائم في الولايات المتحدة سوف يصبغ بالصبغة الاستراكية بحكم الظروف ، وأن نظام الاتحاد السوفيتي سوف يصبغ بالصبغة التحررية بحكم هذه الظروف نفسها » •

من آجل ذلك أخذ جارودى في رحلته الفكرية يبحث عن نوع جديد من الإصلاح ، فطرح عددا من التساؤلات منها :

⁽۱) روجیه جارودی: السابق ، ص ۷ .

[·] ٧ ص ٤ عسة (Y)

- ما هي التغيرات التي تحدث الآن وما هي التناقضات الجديدة التي الموف تتبخض عنها ؟
- ما هي البادرات الضرورية لتكييف مجموعة العلاقات الانسانية مع هذا التحول ؟
- من الذي سيعى كنه التناقضات الجديدة ومن الذي سيتخذ المبادرات الضرورية لتخطى هذه التناقضات ؟

وهد اتجه حارودى منذ الستينات الى نقد سلوك القادة السوفييت دون تحفظ، ولا سيما منذ نبذ يوغسلافيا ومقاطعتها في عام ١٩٤٨ م حتى غزو تشكوسلوفاكيا في عام ١٩٦٨ م لا ونجاوز هذا النقد الى البحث عز هقيدة » يمكنها آن تنفق علاقات اجتماعية تتمشى مع متطلبات العصر وتجعل التحول العلمي والتكنيكي الهائل يخدم تحرير الانسان في مكان ، فاقترح جارودي نوعا من التفكير المسترك حول المبادرة الكبرى الضرورية نلرد على التحول الجوهري الذي يعيشه عصرنا ، وذلك بتقديمه مشروعات للعمل بالنسبة لأسئلة رئيسية منها :

- ١ حما هو كنه الثورة العلمية والتكنيكية الجديدة ؟ وما هى نتائجها ؟
 وهل تتفق متطلباتها مع متطلبات تطور الديمقراطية والتفتح المبدع
 للانسان ؟
- ما هى التناقصات الجديدة التى سيوجدها هذا التحول فى الدول الرأسمائية ، وما هى المبادرات التى اتخذت والتى يمكن أن تتخذ.
 لتخطى هذه التناقضات ؟
- س ما هي التناقضات التي سيولدها هذا التحول في الدول الاشتراكية ؟ وما هي المبادرات التي اتخذت التغلب عليها ؟ • هل النموذج السوفيتي يتمشى مع هذا المطلب ؟ أم النموذج الصيني ؟ أم النموذج اليوغسلافي ؟ أم أن الحل يكمن في البحث عن نظام جديد للانسانية ؟

إلى المعارات التي تنتج عن هذا التحول في ميدان العلاقات الدولية الوماهي المبادرات التي يمكن أن تكفل في المرحلة الحالية تنظيما عالميا للاحتياجات والموارد والآمال وذلك لتحقيق الازدهار الكامل للانسان ٠٠ كل انسان المحليات الكامل المنسان ٠٠ كل انسان المحتيات الكامل المنسان ٠٠ كل انسان المحتيات والموارد والآمال المحتيات والمحتيات والمحتي

ومن هنا أعلن جارودى أنه «لم يعد من المكن التزام الصمت (١) » • من أجل « الانسان » الذى آمن رجال العلم المخلصون بأن « الجهل به مطبق » • (٣) ، الى جانب الملابسات النكدة التي وقعت بين الكنيسة ، وانعلماء في أوربا ، جعلت الناس يشردون من ظل الكنيسة ـ ومن كن ظل الدين ـ شرودا لا عقل فيه ولا وعى ، ولا مجال لتحكيم العقل والوعى ، ولا لسماع أية كلمة مخلصة للتفرقة بين الدين في ذاته والكنيسة أولا ، ثم بين قدرة الانسان على العمل في عالم المادة وعجزه عن العمل في منهج حياة الانسان أخيرا •

وكان لهذا الشرود أسبابه المفهومة في أوربا • واليك عنصرا واحد! من عناصره: كانت مناهج البحث العلمي قد نشأت ـ في ظل الاسلام ـ في جامعات الأندلس والشرق كما يقول دوهرفج وبريفولت ـ وكانت أوربا في القرن الخامس عشر تنهل من هذه الجامعات ، وتعرف لأول مرة في تاريخها شيئا عن هذه المناهج ، وشيئا عن المذهب التجريبي (الذي عرف به فيما بعد روجر بيكون وفرنسيس بيكون) والأول يعترف اعترافا صريحا بأنه 'فتبس من «العالم »الاسلامي (٣) •

ولمي هذا يتول دوهرنج :

« ان آراء روجر بيكون في العلوم أصدق وأوضح من آراء سمبه المشهور (فرسيس بيكون) • • ومن آين استقى روجر بيكون ما حصله في العلوم ؟ من الجامعات الاسلامية في الأندلس • والقسم الخامس من

⁽۱) جارودى : التحول الكبير ، ص ۱۲ .

⁽٢) سيد قطب: الأسلام ومشكلات الحضارة ، ص ٣٤ ٠

⁽٣) سيد قطب: السابق ص ٣٤ ٠

كتابه : (Opus Majus) الذي خصصه للبحث في البصريات ، هو في متيقة الأمر نسخة من كتاب المناظر لابن الهيثم ، وكتاب بيكون في جملته شاهد ناطق على تأثره بابن حزم •

ويقول بريفولت في كتابه: «بناء الانسانية» والعلم العربية العروم بيكون درس اللغة العربية ، والعلم العربي ، والعلوم العربية في مدرسة أكسفورد ، على خلفاء معلميه العرب في الأندلس لا وليس لروجر بيكون ولا لسميه الذي جاء بعده الحق في أن ينسب اليهما الفضل في ابتكار المنهج التجريبي ، فلم يكن روجر بيكون الا رسولا من رسل العلم والمنهج الاسلاميين الى أوربا المسيحية ، وهو لم يمل قط من التصريح بأن تعلم معاصريه للغة العربية وعلوم العرب، هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقة ، والمناقشات التي دارت حول واضعى المنهج التجريبي ، هي طرف من التحريف الهائل لأصول الحضارة الأوربية . وقد كان منهج العرب التجريبي في عصر بيكون قد انتشر انتشارا واسعا ، وانكب الناس ، في لهف ، على تحصيله في ربوع أوربا » .

«لقد كان العلم أهم ما جادت به الحضارة العربية على العالم الحديث ولكن ثماره كانت بطيئة النضج ٠٠ ان العبقرية التى ولدتها ثقافة العرب في أسبانيا ، لم تنهض في عنفوانها الا بعد مضى وقت طويل على الحتفاء تلك الحضارة وراء سحب الظلام • ولم يكن العلم وحده هو الذى أعاد الى أوربا الحياة ، بل ان مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الاسلامية بعثن باكورة أشعتها الى الحياه الأوربية (ص ٢٠٢) •

« أنه على الرغم من أنه ليس تمة ناهية واحدة من نواحى الازدهار الأوربى الا ويمكن ارجاع أصلها الى مؤثرات الثقافة الاسلامية بصورة قاطعة ، فان هذه المؤثرات توجد أوضح ما تكون وأهم ما تكون ، فى نشأة تلك انطاقة الني تكون ما للعالم الحديث من قوة متمايزة ثابتة ، وفى المصدر القوى لازدهاره ، أى فى ألعلوم الطبيعية ، وفى روح البحث العلمى (ص ١٩٠) ،

« ان ما يدين به علمنا للعرب ليس فيه قدموه الينا من كشوف مدهشه لنظريات مبتكره و بل يدين لها بوجوده نفسه و فالعالم القديم ــ كما رأيبا ــ لم يكن للعلم فيه وجود و وعلم النجوم عند اليونان ورياضياتهم كانت عنوما أجنبية استجلبوها من خارج بلادهم و أخذوها عن سواهم و ولم تتأقلم في يوم من الأيام فتمتزج امتزاجا كليا بالثقافة اليونانية و وقد نظم اليونان المذاهب وعمموا الأحكام ووضعوا النظريات ولكن أساليب البحث في دأب وأناة وجمع المعلومات الايجابية وتركيزها والمناهج التقصيلية للعلم و والملاحظة الدقيقة الستمرة والبحث التجريبي وكل ذلك كان غوييا تماما عن المزاج اليوناني و ولم يقارب البحث العلمي نشأته في العالم القديم الا في الاسكندرية في عهدها الهايني و أما ما ندعوه العالم القديم الا في الاسكندرية في عهدها الهايني و أما ما ندعوه الاستقصاء مستحدثة و بطرق التجربة والمقاييس وتطور الرياضيات الى صورة لم يعرعها اليونان و وهذه الروح وتلك المناهج أوصلها العرب الى العالم الأوربي (ص ١٠٩) و

وعندما انتقل المنهج الاسلامي الواقعي التجريبي الى العقلية الأوربية كما بقول سيد قطب (١): « اتجه الفكر الغربي الى البحوث التجريبية • وبدأ البحث العلمي يكشف حقائق فلكية وجغرافية وطبيعية ؛ غير تلك المجموعة من الأوهام والأساطير والخرافات التي تتبناها الكنيسة وتعتبرها «حفائق مقدسة» وهي ليست من النصرانية في شيء ؛ انما هي مجرد أفكار _ غير علمية _ كانت شائعة في تلك الأزمان _ ولم يتنزن بها كتاب من عند الله _ فتبنتها الكنيسة ، ودافعت عنها بوصفها جزءا من « العقيدة » •

« وعندئذ كان ذلك الفصام النكد بين الدين والعام حتى مطالع القرن العشرين في اوربا ، وظل اندفاع الناس ـ والعلماء خاصة ـ في شرودهم الآبق عن الدين كله (كأنهم حمر مستنفرة ، غرت من قسورة) ، ولم يهدأ هذا الشرود ـ شيئا ما ـ الا في مطالع القرن العشرين ، حيث جعل

⁽۱) سعد قطب: المرجع نفسه ، ص ٣٦ .

بعضهم يقف لينتقط أنفاسه اللاهثة ، وهو يحس بالخواء الروحي من آثار الرحلة الجاهدة في التيه المقفر ، نحو أربعه قرون ٠٠٠

يقول سيد قطب:

« وما بنا _ في هذا البحث المجمل _ أن نستعرض بالتفصيل كل الملابسات والظروف ١ التي أحاطت بهذا الفصام النكد _ في أوربا _ بين العلم والدين (١) ، ولا أن نصف بالتفصيل كذلك نتلك الرحلة الشاردة الطوياة المجهدة في التيه المقفر ، ولا أن أتصور بالتفصيل مدى اللاواء والشقوة التي عانتها البشرية كلها ، وهي تشرد من الله ، وتتخلى عن كل ظل لمنهجه للحياة • وتعادى هذا المنهج وتبةدع لنفسها _ بجهلها المطبق _ مناهج من عند أنفسها طوال هذه القرون ، •

ما هي الثورة الملمية والتكنولوجية الجديدة ?

في الاجابة على هدا السوّال يقول جارودي في « التحول الكبير (٢) : « تبدو نهاية القرن العشرين لمن يكتفي بالنظر الى المشهد الذي تعطيه على السطح ، كضرب من ضروب الفوضى بسبب النزاعات التي تندلع من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب • • والثورات الوحشية الني تبدو كأنها تدميرية فقط والأوامر الكاذبة التي تلقى لغير ما غاية أو هدف .

ولكن ، هل هذه التقلصات التي تعتبر أكثر عمقا بكثير من تلك التي تميزت بها نهاية المعالم القديم هي مقدمة لعهد الظلمات والتدمير الذي. للجنس البشرى ٢ ٠٠ ان هذا ليس مستميلا ٠

ولكن نهاية هذا القرن العشرين باانسبة لن لا يكتفى بالمساهد

⁽۱) يراجع بتوسع في هذا الموضوع كتاب سيد قطب : « المستقبل لهذا الدين (فصل) الفصام النكد » . (٢) جارودى : التحول الكبير ، ص ١٣ .

السطحية ، ومن يبحث عن وحدة الأحداث ومعناها ، ليست فقط بوتقة تتجمع فيها آمال آلاف السنين الغابرة أو خرافة عصر لا نعرفه •

ألا يمكن أن تكون هذه الأزمة الكلية من النوع الايجابى الذى يكشف عن أعمق تحول للانسان منذ اكتشاف أدوات العمل والنار ! •

وربما لا تكون نهضة _ فنهضة القرن السادس عشر تبدو بجانبها « ريفية » وضئيلة القيمة ، بل بعثا حقيقيا « للانسان الانساني » •

ولكن ما هو كنه لا ذلك » الجنين • • وماذا يجب علينا أن نفطه حتى لا يخرج مبتسرا ؟ لأن ذلك أمرممكن •

اننا نريد دراسة هذه المسائل ابتداء من ملاحظات تخص أحتَّدُاتُ السنتبن الأخيرتين والمعنى العميق لأربع مجموعات من الأخداث لا اختلاف ، بينها في رأينا:

- □ حركة الطلبة •
- 🗖 اغراب العمال •
- 🗖 المساهمة الكبيرة « للكوادر » في هذه الاضرابات :
- الاتجاه السياسى الجديد لتشيكوسلوفاكيا من شنهر يناير حتى أغسطس ١٩٦٨ م ٠

تعتبر حركة الطلبة ــ المرتبطة بحركة الانتاج و في المنافقة الطلبة المنافقة المنافقة و في المنافقة على ظهور وضع جديد و وعلق المنافقة و المنافقة

ان صفة انشمول لثورة الطلبة المخطوف المر الفكلي المقالة المنافقة ا

طابع الشمول وأحيانا الترامن الذي اتصفت به الحركات الطلابية لا يجب أن يخفى عنا اختلافات هذه الحركات العميقة تبعا لانتمائها لدول العالم الثالث أو للدول الرأسمائية المتقدمة أو للدول الاشتراكية • ان الحركة الطلابيه في بلد ليس بعيد العهد بالقهر الاستعماري ، تكمل الحركة الوطنية وتقف في وجه تسويات الاستعمار الجديد • أما في بلد رأسمالي متقدم فان مبدأ مجتمع الاستهلاك نفسه والنظام الاستبدادي الذي كثيرا ما يلازمه يكونان هما هدف التمرد •

والأمر في البلد الاشتراكي يعنى في نفس الوقت ادانة الاتجاه صوب مجتمع يمكن أن يشبه المجتمعات الرأسمالية الاستهلاكية ، وكذلك الثورة ضد الأشكال البيروقر اطية للدولة ، وليس من المستبعد أبدا استغلال هذه الحركات ، في جميع الأحوال لا لأغراض ليست ثورية بل رجعبة بواسطة القوى التي تعمل على الحفاظ على الفوضى القائمة ،

ولا يستطيع المرء أن يستبعد كذلك ما أطلق عليه اسم الظـواهر المشعة » التى تلهب حماس جماهير الطابة وتخلق تيارات تتعدى الحدود الوطنية حول مشكلات نتعدى بدورها هذه الحدود مثل النضال العالمى ضد حرب فيتنام ، أو بالظواهر « المعدية » كظواهر الثورة الثقافية فى الصين أو ما تثيره بعض نماذج السلوك الثورى كسلوك شى جيفارا من حماس أو التهافت على بعض الأيديولوجيات ، مثل فلسفة « ماركولاس » مثل د

ولكن لا يجب أن يخفى شىء من هذا عن أعيننا ما هو جوهرى أى الأسباب العميقة لهذه الحركة العامة التى تجرف جماهير الطلبة والتى تخلق للكوادر مشكلة رئيسية •

ان مجرد أن بعض الحركات الطلابية استطاعت أن تتخذ شكلا حادا في الدول الرأسمالية والدول الاشتراكية على السواء يدل على أن الأمر ليس فقط ثورة ضد علاقات الانتاج القائمة _ على الرغم من أهمية النضال ضد علاقات الانتاج _ كما يدل على وجود عامل مشترك لجميع هذه الحركات يجب البحث عنه في تطور القوى الانتاجية •

وفى رأى جارودى _ أن جوهر الشكلة _ ومنبع هذه الحركات التى تتميز عن بعضها البعض ظاهريا _ يتمثل فى أن تطور الانسان الكامل يصبح عند مرحلة معينة من مراحل تطور القوى الانتاجية « المرحلة الحالية للثورة العلمية والتكنولوجية » الشرط الضرورى للتطور التاريخى •

ان ما يطفو على السطح بقوة لدى الطلبة والكوادر ، وكذا لدى العمال وفى فرنسا كما فى تشيكوساوفاكيا ، أو الولايات المتحدة ، انما بمثل « الذاتية » الانسانية لعصر الثورة العلمية التكنولوجية ضد الميكانيكية . العمياء للمدنية الصناعية ،

والعامل المسترك للمطالبات العمانية ولتساؤلات الكوادر ولآمال الطلبة بكمن في المطالبة بالمساهمة في المبادرة التاريخية وفي القرارات التي يتوقف عليها مصيرهم وذلك في ميادين الاقتصاد والسياسة والثقافة • أن وراء جميع حركات عامى ١٩٦٨ ـ ١٩٦٩ م الرفض في الاندماج في نظام ، بدون مناقشة معنى هذا الاندماج وقيمته وغاياته •

ان السلطات الجديدة التي حصل عليها الانسان في الثلث الأخير من القرن العشرين ليست ببساطة امتدادا للسلطات القديمة • فنحن يمكننا أن نكشف في ربيع عام ١٩٦٨ في باريس كما في براغ العلامات الدالة على أزمة نمو هائلة وعلى حدوث تغير «كيفى» في مصير الانسان • لقد بلغنا عتنة مرحلة جديدة • • فالسلطات الجديدة التي فاز بها الانسان في نضاله مع نفسه ومع بيئته يمكنها أن تغير من طبيعته بنفس العمق الذي هدث منذ آلاف السنين عند اكتشاه، أدوات العمل • •

وهذه الهزات التكنولوجية ما زالت في بدايتها ويمكن للانسان أن يتوقع أنها سوف تفجر بالتدريج ثورة دائمة لجميع عناصر الحياة ، وقد بكون هذا الثلث الأخير للقرن العشرين هو عهد الفروق المتزايدة والمتوترات الأكثر حدة أو قد يكون ، على المكس عهد التحول الذي يعفقه بالتغلب على هذه الفروق والتوترات بأكملها ،

وهنا يحق التساؤل هل سنستطيع أن سيطر على تقدم التكنولوجيا

ان لتفاؤننا أساسا تاريخيا موضوعيا وبوسعى أن أقول على غرار العبارة الشهيرة (١): «قليل من التكنولوجيا يبعدنا عن الانسان وكثير من التكنولوجيا يفربنا منه » • • • فاذا كانت تكنولوجيا « عصر التصنيع الذى تميز به القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين قد عملت على سحق « ذاتية » الانسان فان تكنولوجيا الثلث الأخير من القرن العشرين يمكنها أن ـ تخلق شروط انفجار « الذاتية » الانسانية ، وذلك منذ اللحظة التى تظهر فيها ، بصرف النظر عن أى اعتبار أخلاقي أو انساني ، ومن وجهة نظر الانتاجية والربح البحتة ، « وباستثناء مشكلة توزيع الموارد » فان الاستثمار الانساني عند مرحلة معينة من مراحل التكنولوجيا هو أكثر الاستثمار ات ربحا » •

ثم يتحدث جارودي عن:

١ _ التد_ول:

« الشرط الأول لدراسة هذه المشكلة هو ادراك كنه التحول الجوهرى الجارى تحقيقه الآن » •

١ ــ ان الثورة التى تفجرت « فى » العمم مهدت الطريق لطهور ثورة « مطريق » العلم • لقد جاء التحول الحالى نتيجة لتراكم الاكتشافات ــ منذ بداية العصر ــ عند مستوى البحوث الجوهرية فى ميادين الطبيعة النووية, وكيمياء الذرة وعلم « السوبرناطيقا » (٢) والبيولوجيا وعلم الاجتماع ــ اننا نعاصر تغيرا فى العلم نفسه فمفاهيم علم

⁽۱) العبارة التي يشير اليها جارودي : هي تول أخد الفلاسفة « قليل من الفلسفة يبعدك عن الله وكثير منها يتربك منه » .
(۲) الذي يدرس طبيعة عمل « الحركة » وطرق التحكم في الآلات وتوجيه الكائن البشرى على حد التعريف الذي أورده معجم « لاروس » .

« السوبرناطيقا » حلت محل « الميكانيكية » كعلم قائد — كما نعاصر تغيرا في مفهوم العلم ، فهناك « ديالكتيكية » جديدة في طريق التبلور للكائن وللمادة • ويبدو أنه لا يمكن مجاغاة للروح التجريبية والأسلوب الايجابي ، نعريف العالم الموضوعي بعيدا عن الانسان الذي يسبق الحقيقة الموضوعية بافتراضاته ونماذجه •

فالحقيقة العلمية هي دائما رد على سؤال ٠٠ والرد هو دائما _ والى حد كبير _ تجسيد وظيفى للسؤال المطروح ٠

٣ ـ تتبلور الثورة « بطريق » العلم عندما تنعكس نتائج هذه الثورة « في » العلم على الجهاز الفنى للانتاج •

ان كون العلم قد أصبح أكثر فأكثر ، في الثلث الأخير من القرن العشرين قوة انتاجية فورية ، أمر يثبته جارودي على النحو التالي :

(1) لقد أصبحت الفترة الزمنية التى تفصل ما بين الاكتشاف العلمى والتطبيق العملى لهذا الاحتشاف واستخدامه الصناعى ، تميل الى التناقص بأستمرار • لقد مرت ١٠٢ سنة قبل أن تستخدم عمليا ، وتنفذ صناعيا الاكتشافات التى جعلت التصوير الفوتوغرافي أمرا ممكنا (١٧٢٧ – ١٨٢٩ م) ولم يستعرق نفس الانتقال بالنسبة للتليفون سـوى ست وخمسين سنة (١٨٢٠ – ١٨٧٠ م) وبالنسبة للراديو سوى خمس وثلاثين سنة (١٨٢٠ – ١٩٠٧ م) وبالنسبة المتافزيون سوى أربع عشرة سنة (١٩٢٠ – ١٩٠٣ م) وبالنسبة المقنبلة الذرية سوى ست سـنوات (١٩٢٠ – ١٩٠٠ م) وبالنسبة للراديو « الترانزيستور ، سوى خمس سنوات (١٩٣٠ – ١٩٤٠ م) وبالنسبة الراديو « الترانزيستور ، سوى خمس المنوات (١٩٤٨ – ١٩٥٠ م) والنتيجة الأولى لدور العلم المتزايد كقوة منتجة بطريقة فورية هو احتلال العمل الذهنى مكانة تزداد أهمية في اطار العمل الانتاجي ككل •

وان ازدياد عدد الكوادر والطلبة ذلك الازدياد الضخم ، ليعد مؤشرا لهذه الحانة ، وهناك احصائية خاصة بسبعين دولة تشير الى أن عدد

الطلبة قد أزداد خلال الفترة من عام ١٩٥٥ م الى عام ١٩٦٤ م من ٥٠٧ ملايين الى ٢٠ منيون طالب أى أن هذا العدد تضاعف ثلاث مرات ٠

وتبلغ نسبة المهندسين الى مجموع العماليفى الولايات المتحدة الأمريكية ١٠/ وتصل هذه النسبة في صناعة الطائرات الى ١٣٪ وفي الصناعات البترولية ٥٠٠٪ وفي الصناعة الذرية ١٠٤٪ وتتكرر في هذا المجال ظاهرة مشابهة لتلك التي تبلورت أثناء الثورة الصناعية حيث عكست حركة التصنيع سريعا العلاقة العددية بين العمال الزراعيين والعمال الصناعيين وأن ما بدأ يظهر في الأفق اليوم هو انعكاس مشابه للعلاقات العددية بين العمال اليدويين والعمال الذهنيين (المثقفين) •

(ب) وتعدر هذه الثورة عن نفسها بانعكاس آخر ويعنى به ب خارودى - انعكاس العلاقات بين العالم والتكنولوجيا •

على الرغم من أنه لا يمكن في هذا الميدان ــ كما في غيره ــ الاكتفاء بعلاقات ميكانىكية بحتة في اتجاه واحد بين العلم والتكنولوجيا وعلى الرغم من وجود عملية تلقيح متبادلة وعلاقات ديالكتيكية بين التكنولوجيا والعلم فانه بمكن القول بأن ظاهرة جديدة قد بدآت تتبلور •

كانت متطابات التكنولوجيا والانتاج حتى اواسط القرن العشرين هى المحرك الرئيسى للتقدم العلمى • والمثال التقليدى على ذلك هو اكتشاف القوانين المجردة في علم الطبيعة والخاصة بالعلقات بين الظواهر الميكانيكية والحرارية في بداية القرن التاسع عشر « مبدأ كارنو _ جول وماير » والتي نجمت عن أبحاث المهندسين الخاصة بالانتاجية القصوي للآلات البخاريه •

ويبدو أن هذه العلاقة تميل الى الانعكاس بعد اجتياز مرحلة معينة ، حيث يصبح التقدم العلمى عاملا محركا لتطوير الانتاج ، وهو يجذب هذا الانتاج اليه لأنه يسبقه بدلا من أن يتبعه ، وقد سيبقت نظريات « اينشتاين » استخدام الطاقة الذرية وارساء قواعد تكنولوجية ذرية ،

كما أن مولد علم « السوبراطيقا » قد سبق استخدام الحاسبات الالكترونية .

ان العلم بدأ يشق طريقا خاصا به ، مستقلا عن القوة المحركة طريقا تمهده متطلبات الانتاج •

ويبدو أن هناك قانونا تاريخيا قد بدأ يتبلور : فبقدر تقدم الدولة اقتصاديا وتكنولوجيا بقدر ما يعتمد تقدمها الاقتصادي والاجتماعي ، مباشرة على تقدم العلم •

ففى الولايات المتحدة الأمريكية تزيد بنود الانفاق على عمليات البحث (العلمى) على مجموع الاستثمارات الأخرى (٢٠ مليارا من الدولارات) ويتضاعف عدد الباحثين في الولايات المتحدة الأمريكية ، كما في الاتحاد السوفيتي كل سبع أو ثماني سنوات .

(ج) تعبر هذه الثورة عن نفسها عن طريق التغير في مفهوم التكنولوجيا نفسه و همفتاح التغيرات منوجهة النظر التكنولوجية موازاة لما هو حادث هفي ميدان العلوم من حيث أن العامل الالكتروني يلعب دورا تزيد أهميته شيئا فشيئا بالنسبة للعامل اليكانيكي مدكما قال ماكلوهان مديدو في حقيقة أن « الاتصالات Communications » بالمعنى الواسع لهذه الكلمة « أي بمعنى توسع جسد وحواس الانسان » بدأت تحل محل العمل (١) كأساس لملنظام التكنولوجي و

وهكذا يتلخص الانعكاس الكبير في احلال مبدأ « السوبرناطيقا » محل المبدأ الميكانيكي الأمر الذي ينجم عنه نتيجتان فوريتان :

ا _ كانت حركة التصنيع تؤدى الى تقسيم _ وتجليل _ مترايد للعمل أما الثورة العلمية والتكنولوجية الجديدة فتعكس حركة الثورة الصناعية فهي لا تهدف فقط للتحليل بل للابتكار والابداع •

⁽۱) استخدم جارودى كلمة العمل هنا بمعنى ضيق وعامى للغاية التوة المضلية للانسان التى تستخدم للتأثير على الأشياء ، ويقول مكالوهان أن المعرفة تلعب دورا متزايد الأهبية في مفهوم العمل تفضه .

٧ — وتتولد عملية انعكاس ثانية من عملية الانعكاس الأولى ، ويعنى بها جارودى انعكاس علاقات الكائن والأشياء • ففى حين كانت طريقة الانتاج الصناعي تعمل على اخماد ذاتية العامل الذي كان يقتصر عمله على خدمة ميكانيكية معينة الأمر الذي جعل منه شيئا يخضع لشيء (الآلة) التي كان تابعا لها ، فان صبغ الانتاج والادارة بالصبغة «السوبرناطيقية» يعمل على وضع الانسان على هامش الانتاج المباشر ويحدد دوره •

- _ عند « منبع » الآلة : لعمليات التحليل ووضع البرامج .
- _ عند « مصب » الآلة : الصدار القرارات والتوجيه .

_ وعند مستوى الآلة للقيام بعمليات الاشراف وذلك بزيادة عدد وظائف عمال الصيانة والاصلاح الذين يطالبون بالتمتع بنظرة عامة شاملة لمجموع العملية التكنولوجية « مع بقائها مع ذلك جزئية ومحصورة في حيز التخصص »:

ودور العامل عند هذا المستوى يتطلب: القدرة على تحديد المشكلات •

" __ تتمخض تلك الثورة « في » العلم والثورة بالعلم التي تنجم عنها سلسلة من النتائج ، وفي مقدمتها نتائج اقتصادية ، ويجب أن يتفادى المرء هذا خطأين :

الخطأ الأول هو الاعتقاد أننا بصدد « قطيعة » مفاجئة وفورية و فهناك في الحقيقة اختلافات كثيرة في الستويات التكنولوجية والأنظمة الاجتماعية ويوجد في جميع الدول المتقدمة اقتصاديا تلاحم بين النتائج القديمة للثورة الصناعية _ تلك النتائج التي ما زالت تحدد الى حد بعيد معالم الحياة _ وبين نتائج الثورة الجديدة العلمية والتكنولوجية التي بدأت تعصف بجميع مظاهر الحياة .

_ والخطأ الثاني الذي لا يجب ارتكابه هو الاعتقاد بأن هذا التمول

سيكون انعكاسا سلبيا لتعيرات الهياكل الأساسية و فنحن سنواجه في المحقيقة سلسلة من « البدائل » انفتاح أفق جديد « الممكنات » ولهذا فانه لا يوجد هنا أي تحديد ميكانيكي و فاختيارات الانسان وأعماله ونضاله هي التي ستحسم الأمور و ونحن عندما ندرس النتائج الاقتصادية للتحول الكبير فلن يسعنا الا الحديث عن قوانين « اتجاهية » والآن ما هي مع أخذ هذه التحفظات في عين الاعتبار للتائج الاقتصادية للتحول الحديث عن الاعتبار التنائج الاقتصادية التحول الحديث الاعتبار المنائح الاقتصادية التحول المنابع المنابع الاعتبار المنائح الاقتصادية المنابع ا

١ ــ تكوين ((نموذج)) جديد للتنمية :

(1) فعوامل التنمية الجديدة تصبح: التجديد التكنولوجي والتعليم «مع العلم بأن العاملين ما زالا يخضعان لسباق التنافس » لقد كانت التنمية الاقتصادية حتى الآن تعتمد قبل كل شيء على تراكم رأس المال وازدياد عدد العمال • أما من الآن فصاعدا فسوف تعتمد أكثر فأكثر على المستوى الذي بلغه البحث العلمي ، وعلى التوسع السريع للأنظمة التي تخضع كلية لعلم « السوبرناطيقا » وعلى مستوى جودة العمال المبتكرين الذين يشرفون _ ويخططون _ على عمليات الانتاج والادارة (١) •

وبعبارة أغرى فان العوامل « الكيفية » و « الكثيفة » للتنمية « تطبيق العلوم ــ تجديد التكنية ـ الارتقاء بمستوى التخصص والادارة » نتغلب على العوامل الكمية وغير الكثيفة « زيادة عدد الآلات وحجم العمالة » •

(ب) أما النتائج بالنسبة للعمالة ما فتبدو ، لأول وهلة محيرة :

١ ــ يمكن أن نتوقع أن يتمخض انتشار التسيير الآلى انتشار! سريعا في عمليات الانتاج ، من وجهة النظر الكمية ، عن الحاق الضرر

⁽۱) يجب صقل هذه الملاحظات بسبب الحدود التي تفرضها على هذا الاتجاه العام مشكلات توزيع الموارد ، فالباحث في ميدان طبيعيات القوى المحركة الحديثة مثلا يكلف سنويا ، ، ، ر ، ، ، هرنك (، ، مليون فرنك قديم) : جارودي ،

بعدد كبير من العمال ومن اندلاع أزمة بطالة تكنولوجية خطيرة عى المدى القصير • ولكن الحقائق لا تؤيد هذه المخاوف •

ففى الولايات المتحدة حيث يتسم هذا التطور بالسرعة (١) نجد معدل البطالة ، على الرغم من الزيادة السكانية (ثمانية ملايين نسمة سنويا)! بميل منذ عام ١٩٦١ م الى الانخفاض ، غبعد أن كان هذا المعدل ٧٦٠٪ في عام ١٩٦١ انخفض الى ٢ر٥٪ عام ١٩٦٤ ، ٧ر٤٪ عام ١٩٦١ م ؟ خيام ١٩٦١ م وتدل ٤٪ عام ١٩٦٦ م ، ومن المتوقع أن ينخفض الى ٥ر٣٪ عام ١٩٦٨ م وتدل الشواهد على أن فرص العمل ستميل الى الزيادة حتى عام ١٩٧٥ م وتكثر فرص العمل هذه بوجه خاص بالنسبة للعمال المهرة المتخصصين أما حجم العمالة غير المتخصصة فسيظل على ما هو عليه ،

وباختصار فان التسيير الآلى في ميدان الانتاج ينجم عنه الفي المدى القصير ، نقل العمل من قطاع الى آخر لا الغاؤه ، أما في المدى الطويل ، وبشرط أن تتناسق العلاقات الاجتماعية مع هذا التطور الجديد للقوى الانتاجية ، فمن المتوقع أن يؤدى التسيير الآلى الى تقصير يوم العمل وزيادة أوقات الفراغ ،

٢ ــ هل سيؤدى انتشار التسيير الآلى فى ميادين الانتاج الى زيادة عدد العمال المهرة المتخصصين أو الى القضاء على مهارات وتخصصات الجمهرة الكبيرة من العمال ٢ • يمكننا فى هذا المجال أيضا أن نتوقع ، فى المدى القصير تحقيق الافتراض الأخير ولكن الحقيقة غير ذلك •

لقد كان الاتجاه العام حتى أواسط القرن العشرين ـ وفى فرنسا حتى قرابة عام ١٩٥٦/١٩٥٥ ـ هو « القضاء على المهارات » ونتيجة لذلك ارتفعت نسبة العمال غير المهرة ولكن فى خلال السنوات الخمس عشرة الأخيرة بدأت هذه الحركة تنعكس ويجب أن نضيف أن مفهوم

⁽۱) وهى سرعة نسبية ، فامكانيات نظام التسيير الآلى لا تستغل فى الولايات المتحدة الا بنسبة ١٠٪ تقريبا ، أما فى اوربا فهذه الامكانيات لا تستغل الا بنسبة ١٪ فقط ،

التأهيل المهنى نفسه قد تطور ، فالتأهيل المهنى ، وخاصة فى القطاعات القيادية _ انصناعات الالكترونية « البنروكيميائية » • • النخ • • _ الم يعد فقط ذلك التأهيل الذى يكتسبه صاحبه مرة واحدة عند دخوله المهنة عن طريق تدريب متخصص ، بل اقد أصبح » أكثر فأكثر بسبب انتشار التسيير الآلى فى ميادين الانتاج والادارة ، يكمن فى قابلية العامل الألمام بجميع العملية التكنولوجية عتى يستطيع تفسير مؤشراتها كما أصبح هذا التأهيل بسبب التغيرات السريعة فى القوى الانتاجية يكمن فى المتمر ، يكمن فى المتدريب المستمر ،

وهكذا غالظاهرة الجديدة تتمثل في القدر المتزايد لشكل معين من أشكال الثقافة العامة في ميدان التأهيل المهني (١) • تشير تقديرات أمريكية وتشيكية وسوفيتية الي أن ٧٠/ من العمال في المجتمعات الاقتصادية المتقدمة سيتمتعون ، خلال العشرين سنة القادمة عند دخولهم المهنة ، بثقافة عامة يعادل مستواها المستوى المطلوب للانخراط في سلك التعليم العالى ولنقل مستوى نهاية الدراسة الثانوية •

(ج) تتطلب الثورة العلمية والتكنولوجية الجديدة أشكالا جديدة في ميدان الادارة لقد كان التركيز الى أقصى حد ممكن في مجال البادرة واتخاذ القرارات هو أكثر عوامل الادارة ربحا منذ نصف قرن مفي أي في الوقت الذي كانت تسود فيه نظريات المهندس « تايلور » الخاصة بالتنظيم العلمي للعمل • وتعكس الثورة العلمية والتكنولوجية الجديدة ، بالنسبة لهذه النقطة كذلك الأوضاع ذلك أن ما يعد أكثر ربحا من الآن فصاعدا هو تعدد المراكز التي تتضف البادرات – الاقتصادية والقرارات • وهو ما يحتم زيادة عدد الكوادر الفنية والادارية زيادة ضخمة ويفسر منحني العمالة الذي أشار جارودي اليه آنفا •

والتحول في هذا الميدان يعنى احلال التنظيم العلمي ذي الطابع

⁽۱) الثقافة كما كتب « كانت » هى تأكيد الاستعداد والمقدرة لدى الكائن الماقل من أجل أية غاية بوجه عام ، اننا ما زلنا بعيدين جدا عن هذا التعريف .

« السوبرناطيقى » محل التنظيم العلمى ذى الطابع الميكانيكى فى رسائل ونظم الادارة •

فتنظيم « تايلور » العمل يعكس التنظيم ذى الطابع الميكانيكي في شكله الكامل وكان هذا التنظيم يتميز بمعاملة الانسان معاملة الأشياء وبالتالى باهمال ذاتيته تماما ٠٠ لقا أجاب « تايلور » على جماعة من العمال جاءت لتقترح عليه بعض التعيرات في تنظيم عملهم بقوله: « ان التفكير يبطىء ردود الفعل الملاشعورية • اني أمنعكم من التفكير ، فهناك المخرون يتقاضون أجرا من أجل ذلك » ونموذج هذه الادارة مستوحي من المفهوم الموضوعي المتنظيم العلمي ذي الطابع الميكانيكي حيث مصدر الدفع (للعمل) واحد وحيث يتردد هذا الدفع خلال أجهزة سلبية نتيجة لقرار مباشر وشعا لتدرج رئاسي محدد تحديدا تاما حتى انه لا يوجد في نهاية المطاف غير شخص واحد يفكر ويقرر للجميع •

لقد رأينا كيفأن الثورة العلمية والتكنولوجية الجديدة تتطلب عند مستوى الانتاج ، القدرة على التركيب والتجميع وعلى التساؤل وعلى التجديد الأمر الذي يحتم مساهمة ايجابية لا سلبية في اتخاذ القرار • ومن هنا أصبح من غير الممكن ، فنيا اغفال ذاتية المرؤوسين بل على العكس فان ذاتية هؤلاء المرؤوسين تصبح عاملا جوهريا التنبيه •

وهكذا أصبح على التنظيم العلمى الجديد للادارة أن يتبنى بالضرورة مبدأ احلال تنظيم من نوع جديد محل التنظيم السابق ذى الطابع الميكانيكى على أن يتضمن التنظيم الجديد فترة « الأثر الرجعى » تلك الفترة التي تتخذ خلالها مبادرات متعددة تصل الي مستوى كوادر الادارة الدنيا وهكذا يصبح عمل الادارة من الآن فصاعدا عهو تنسيق وتوجيه مجموعة معقدة غير نابعة من مراكز « الابتكار » تتمتع بقدر معين من الاستقلال الذاتي يتداخل ويتشابك نشاطها باستمرار ، وذلك بدل اصدار وفرض التعليمات الجامدة ،

ويبدو أن الحاسب الالكتروني يمكن أن يقف في هذا المجال ضد تيار

هذا الاتجاه طالما أنه يكفل امكانية مركزية الادارة الى أقصى درجة وبالتالى مركزية اتخاذ القرارات • ولكنه يسمح كذلك بنشر البيانات ، وبوضعها فى النهاية فى متناول « الجميع » وبمعنى آخر فانه يتيح « للجميع » اتخاذ المبادرات والقرارات بطريقة مستقلة •

ان الماسب الالكتروني يحتم نظاما متناقضا لنظام « تايلور » :

(د) الأهمية المتزايدة لأوقات الفراغ تجعل من المحكن تنمية « الذاتية » ليس فقط (في) العمل بل كذلك (خارج) العمل •

كانت غترة راحة العامل في مرحلة التصنيع عبارة عن الوقت الضرورى بيولوجيا للمحافظة على قوة العمل وفي أحسن الظروف لتكاثر هذه القوة وفي هذه المرحلة لا ينفصل وقت الفراغ عن العمل بل يكون أحد مقتضياته الدنيا ولهدا لم يكن من المكن أن يؤدى الى تفتح وازدها الشخصية و

ووقت الفراغ ، على هذه الصورة . لا يمكن الا أن يكون سلبيا لا ايجابيا مبدعا ، ان وقت الفراغ الضروري لمتطلبات الثورة العلمية والتكنولوجية الجديدة هو من نوع آخر ،

تشير تقديرات جان غوراستييه (الأربعين ألف ساعة) وهى تقديرات قريبة جدا من النتبوّات السوفيتية الى أنه من الضرورى أن يطول وقت الفراغ حتى يصل الى ثلاثين ساعة على الأقل الأمر الذى يفترض تقصير مدة العمل الى ثلاثين ساعة أسبوعيا بالنسبة لأربعين أسبوع عمل فى السنة •

وتثبر الحركة الانعكاسية هنا الدهسة لأنه لأول مسرة في تاريخ الانسان يفوق وقت الفراغ في حياة كل درد وقت العمل •

ولن يكون هذا التغير من النوع الكمى فقط فلن يصبح هناك فقط أوقات فراغ أكثر من أوقات العمل بل سيكون أيضا تغيرا كيفيا: لقد كان وقت الفراغ حتى الآن ـ والذي كان له دور ثانوى مصلح للأضرار

التى يحدثها العمل أو معوض لها بمثابة « تساية » ، تأجيل مؤقت لحياة العمل اليومية ، وكان الغرض منه هو استعادة النشاط بتوفير القوى لأقصى حد ممكن وذلك بمشاهدة حفل والتمتع به بطريقة سلبية أو بالاثستراك في لعبة أو عمل يدوى في البيت بقصد التسلية تكمن فيه نواة الحياة المبدعة أو بتعويض وهمى يقف عند حدود الحياة الحقيقية للمنادو المدرجات الرياضية للمناهد السينما في أمسيات السبت المشغوف بنجومها ...

ويعكس الاستهلاك المادى أو الروحى « للتقاليع » أو للقصص المصورة في انصحافة أو لمجلات الرياضة أو السينما التي تكرس صفحاتها لمغامرات « النجوم » عيوب نظام الانتاج ، ويعمل على زيادتها •

وسوف نفرض مشكلة جديدة نفسها ليس فقط عندما يصبح وقت الفراغ أطول من وقت العمل بل عندما لا تعد غاية وقت الفراغ ـ بعد أن يحرر العمل النشاط المبدع للانسان ـ هي تعويض التعب ، بل اشعال جذوة الابداع والابتكار كما يحدث اليوم بالنسبة للباحث أو الفنان الذي تلعي بالنسبة له المسافات بين العمل والفراغ .

ماذا سيصبح وقت الفراغ عندما لا يصبح العمل هو « الجزية » الضرورية لاشباع الرغبات ؟ • • وماذا سيصبح وقت الفراغ عندما لا تصير الأخلاق ، كما هو حادث في عالم القحط وعدم الإكتفاء ، هي اتباع القواعد بل صنع هذه القواعد ، وعندما يحل علم الجمال محل علم الأخلاق وعندما يصبح تساؤل جان روستان : على أي صورة يريد الانسان أن ياد بناؤه ؟ • • • وأين يمكن تعلم مهنة البناء ؟ • • • عندما يصبح هذا التساؤل هو موضوع الساعة •

(ه) ان الحركة الانعكاسية الكبرى التي تحدث عند مستوى العمل هي في جوهرها انعكاس لعلاقات الكائن والأشياء .

لقد أدت حركة التصنيع في عهد الميكنة البسيطة أي العهد

(الميكانيكى) الى تفتيت العمل الى حركات بدائية بسيطة يحكمها استعمال الآلة ، وأصبح الانسان ، على حد تعبير ماركس « ترسا من اللحم فى آلة من الفولاذ » • وظل كذلك طالما أن وجوده كحلقة من حلقات سلسلة نقل القوى كان يكلف أقل من تكلفة الآلة •

و « تقسيم العمل » هذا كما أوضح ماركس أيضا يعد بمثابة تشويه للإنسان وقتل للشعوب لأنه يبعد عن العمل كل ما هو انسانى بحت ، فلقد كان الهدف هو اختراع الطرق والوسائل حتى لا يستخدم فى الانسان غير « آلة » عظامه وعضلاته وأعصابه • وهكذا أصبح العمل وهو التعبير الانسانى البحت للانسان نشاطا خاضعا لارادة ولذكاء ولذاتية خارجية • وتحول الى وسيلة تخضع فى سلبية لأغراض يجهلها • • • لأغراض خارجية معادية •

هكذا وصف ماركس في كتابه رأس المال انعكاس علاقات الكائن والأشياء •

وعند هذا المستوى لا يصبح العمل رغبة داخلية للابداع ، بل ضرورة خارجية للحصول على القوت والرزق ، انه لم يعد ، كعمل مبدع نهاية حياة الانسان بل ، كعمل مفروض ، وسيلة « لكسب العيش » • • • لكسب الحياة • • الحياة التي لا تبدأ الا بعد انتهاء العمل ، وخارج العمل (١)! •

ان الثورة العلمية والتكنولوجية الجديدة تبرز ، كما رأينا تباشير «رفض الرفض » أى انعكاس جديد للعلاقات بين الكائن والشيء بين الانسان والآلة ، مضفية على الكائن ، على الانسان أولويته وسيادته متخطية التناقض بين الادارة والتنفيذ ، بين العمل الذهني والعمل العضلى ، محققة

⁽۱) عندما كان كارل ماركس يتكلم عن «الغاء» العمل غانه لم يكن يهدف الى المعنى التالى: القضاء على نظام ينزل بالعمل الى شكله الحيواني ويجرده من جميع صفاته الانسانية (وخاصة تحديد غاياته الخاصة) ويجعل منه « ضرورة طبيعية » خارجة عن الانسان .

أنظر اسس الاقتصاد السياسي _ الجزء الأول ص ٢٧٢ - ٢٧٤ .

بذلك للانسان كليته وكماله بدل ثنائية الماضى الخبيثة (١) • وهى الثنائية المتى وجد جارودى علاجها الناجع في الاسلام •

ثم ينتقل جارودى الى التحدث عن:

٢ _ ((الانساني)) المكن!

فيقول:

« يجب ، لمواجهة هذه المشكلات التي أم يسبق لها مثيل والتي نجمت عن هذا التحول ، استبعاد عدد من الأوهام والخرافات •

أولها أوهام وخرافات التلقائية أو الآلية •

- ففى العالم الرأسمالى يجب استبعاد الخرافة التى تقول أن تطور القوى الانتاجية وحدها يسمح بحل المشكلات التى تفرضها الثورة العلمية والتكنولوجية الجديدة وذلك بدون تغيير جذرى لعلاقات الانتاج ، والعلاقات الطبقية أى بدون اختفاء الرأسمالية ومبدئها نفسه ،

_ وفي الدول الاشتراكية يجب استبعاد الوهم المضاد تماما والذي يقول ان تغير علاقات الانتاج وحدها من شأنه ايجاد حل للمسكلات دفعة واحدة عكما أن من شأنه أن يولد ، أوتومانيكيا ، الانسان الجديد ، كما لو كان القضاء على المتناقضات الجوهرية الرأسمالية عند مستوى القاعدة الاقتصادية يكفى لالغاء التناقضات عند مستوى الهياكل العليا ويوجد حلا _ بدون مصادمات _ المشكلات التي تنجم عن التغيرات الكيفية في مينان تطور القوى الانتاجية ،

يحاول أصحاب نظريات الراسمالية الجديدة وأنصار الاصلاح في العالم الرأسمالي الايهام بأن الرأسمالية في طريقها الى الزوال لأن

⁽١) جارودى : النحول الكبير ، ص ٢٧ .

الفنيين يحلون بالتدريج محل الرأسماليين ، وملاك وسائل الانتاج في ادارة الاقتصاد والسياسة •

ويعتبر ذلك أكذوبة لأن النظام في جملته لا يخضع لقوانين المنطق التكنولوجي بلقوانين المنطق الرأسمالي التي تهدف جميعها الى الربح ويزداد اليوم باستمرار عدد الفنيين الذين بدءوا يدركون التناقض القائم بين المنطقين •

ان ما ينتجه البلد الرأسمالي لا تحدده ألبتة الاعتبارات العلمية أو التكنولوجية وأقل منذلك أيضا الاعتبارات الانسانية ، بل قوانين السوق والربح ، وتتحكم متطلبات الربح بدورها في متطلبات السوق لأن الجمهور الذي يتكون منه « الطلب » يخضع للدعاية (التجارية) كما أن النظام كله يخضع لبدأ الربح ، والقطاع الآخر الذي يمثل « الطلب » هو الدولة التي يوجه انفاقها نتيجة لاختيارات سياسية (انشاء قوة عسكرية رادعة حرب فيتنام الخ ، ، ،) وهكذا فان عمل الفنيين يخضع لغاية بعيدة عن منطق هذا العمل نفسه ،

ان اتخاذ القرارات الهامة في جميع الدول الرأسمالية يقوم به القائمون على « دنيا الأعمال »: « الحكومة والجيش ومختلف جماعات الضغط ، والفنيون في هذه الدول ليسوا الا أداة لماتنفيذ ، حتى أذا كان ذلك عند أعلى المستويات » ،

والوهم الثانى الذى يروجه هؤلاء الذين يعملون على الابقاء على النظام الرأسمالي هو الوهم القائل بأن الرأسمالية تتحول شيئا فشيئا ، نتيجة لتطور الفنون التكنولوجية والانتاجيه على مجتمع لا طبقى وذلك عن طريق الارتفاع المستمر في مستوى المعيشة الذى يؤدى الى اختفاء الطبقة العاملة ،

والحقيقة أنه من الخطأ الفاحش القول بأن عدم المساواة في توزيع الدخول يميل الى التلاشى ، فنحن اذا اتخذنا الولايات المتحدة الأمريكبة

أى الدولة التى قطعت فيها الثورة العلمية والتكنولوجية الجديدة أكبر شوط ، وحيث يعتبر الدخل الفردى أعلى من أى بلد آخر ، • • • اذا اتخذنا الولايات المتحدة الأمريكية كمثل • • وجدنا عدم المساواة واضحا تمام الوضوح : في ٢٠٪ من السكان الأكثر ثراء يحصلون على ٤٠٪ من مجموع الدخول ، ٢٠٪ من السكان الأكثر فقرا يحصلون على ٢٠٪ فقط من مجموع الدخول •

ولكن عدم المساواة هذا عند مستوى توزيع الدخول والاستهلاك ليس الانتيجة _ وانعكاسا _ للتفاوت الرئيسى عند مستوى الانتاج حيث تظهر التفرقة الجذرية بين هؤلاء الذين يملكون وسائل الانتاج ويحصلون على فائض القيمة وبين هؤلاء الذين لا يملكون شيئا يعرضونه للبيع غير قوة العمل وينتجون للفئة الأولى فائض القيمة في حين أن الفئة الثانية محرومة تماما من اتخاذ القرارات • لا وتخضع » لادارة خارجية تملى عليها سلوكها في ميدان الانتاج كما في مبدان الاستهلاك •

ومن خلال هذه الدراسات والتحليلات ــ التى سبقت اسلام جارودى ــ يصل الى أن الغرب قد أخفق تماما بكل أفكاره وأيديولوجياته • ويدخل جارودى فى حوار مع الحضارة الاسلامية يخلص منه الى أن الانسان الغربى قد فقد كل علاقة مع الله والطبيعة والمجتمع • •

يقول جارودى في كتابه « الاسلام دين المستقبل » ان الانسان قد انفصل عن الطبيعة التي اعتقد أنه سيدها ومالكها — ان الانسان الغربي الذي يعتقد أن الطبيعة تعود اليه يعتبرها كأنها فقط احتياطي للمواد الأولية أو أنها مستودع لفضلاته ، يتلاعب بها بلا رادع وذلك بواسطة تقنيات منحته سلطة تدمير الأرض ومن عليها ، فليس المأرض أي معنى بالنسبة اليه ، ان المسيحية بانضمامها منذ القرن الرابع الي الثنائية اليومانية وبتنازلاتها المتعلقبة منذ عصر النهضة لمبدأ العلموية الدي يدعى أنه يحل كل مشاكل الحياة ، لم تنجح في مساعدة الانسان المحافظة على هذا البعد الكوني لاوعلى هذا الاتحاد الودى مع كل الكائنات

فان القديس فرنسوا (١) • هو بمفرده الذي عرف كيف يحتفظ بتلك العلاقات أما الاسلام فعلى الرغم من انرؤيا الغربية المسوهة التي فرضها الاستعمار ، يمكنه أن يساعدنا في استيعاب هذه الوحدة التي هي جوهره وايمانه الأساسي والأولى •

فمنذ عصر النهضة حكم على الانسان في مجتمعاتنا الغربية بالعزلة والانفصال عن الآخرين بسبب الفردية التي ما زال احتدامها يزيد منذ عصر العزوات الاستعمارية وحتى عصر الانحطاط النهائي في حياة المجتمع المنعزل، وبسبب انتشار المنافسات الوحشية في الاقتصاد التجاري حيث يقضي أقل الناس ضميرا على أقلهم امكانية للدفاع عن نفسه، وبسبب تقنيات الطمع التي تشكل الدعاية والتسويق أقصى تعبير عنها، اذ تفرض احتياجات مصطنعة كبديل حقيقي لاشباع الرغبة والأنانية والأنانية والأنانية والأنانية

هذا النظام يولد العنف بشكل محتوم ، في مجتمعات حرم فيها كثير من الشباب أسياء قد اعتادوا ممارستها من طمع • وجريا وراء شهواتهم المحنونة ، يتزايد عدد الذين يحاولون الاستيلاء بالعنف الصريح على ما بمتلكه غيرهم من المحظوظين ومن ورثة التراث والمعارف بشكل قانوني أو غير قانوني بالمضاربة والغش • ان اعلان « حقوق الانسان والمواطن » الذي يصرح أن حريتي تتوقف حيث تبدأ حرية الآخرين يعتبر حرية الآخرين حدا وليست شرطا لحريتي الخاصة • الحرية هكذا هي حالة خاصة من حالات الملكية : تخضع لنظام التسجيل الأسمى مثلها •

ان فردية كهذه تهيىء بالضرورة حرب الجميع ضد الجميع حتى ينتهى الأمر بهم الى أن تتحول بسبب منطقها ذاته الى المعنى المعاكس ، الى الاستبداد ، الى الفرد الذى تتمثل به مجموعة منتصرة فيصبح رمزا يحول الإخرين لخديمة المجموعة الوهمية التى تشكل الدولة أو الحزب أو الطبقة •

⁽۱) تديس ومؤسس نظام جماعة الفرنسيسكان . انظر : جارودى : الاسلام دين المستقبل ، ترجمة الاستاذ عبد المجيد بارودى .

ان مجتمعات الأوروبية « ومجتمعات انعالم الثالث التي صيغت على شماكلتها أو قلدتها » لم نتوقف عن التأرجح منذ أربعة قرون بين فردية شربعة الغاب وبين استبداد الجماهير العشوائي •

ولم تجد المجتمعات الأوربية العلاج في المسيحية لأنها تعرضت الشذوذ ثنائية الاغريق التي حدت بها الى تفسير تناقض الرب مع قيصر بشكل بعبر عن الاستسلام والفصل بين المعقيدة والسياسة ـ ذلك التناقض الذي كان من حيث البدأ رفضا جذريا لادعاءات قيصر الاستبدادية ، وهذه الثنائية فصلت بين الايمان والسياسة ، فقد تركت لقيصر منذ عهد قسطنطين كامل السنطة على الحياة السياسة والاجتماعية ـ بل ساعدته في مهمته لأن السياسة بهذه الثنائية الهشة تجعل من الايمان قضية خاصة ليس لها أي تأثير على تنظيم الدينة ، وهكذا أصبحت السياسة مستقلة عن قضايا الانسان والدين ولها أهدافها الخاصة بها ، وليس لها أي رابط يربطها بالانسان وبالله » .

وهنا يصل جارودى الى تقرير حقيقة مؤكدة تتلخص فى تعبيره « ان الاسلام هو حامل الأمل » • • يقول :

« ان الاسلام برفضه فصل الثنائية المزعومة بين السياسة والايمان و وبرفضه التفريق أيضا بين علاقة السياسة بالدين لل التي هي علاقة بين بعدين من أبعاد الانسان المسلم والعلقات الكنسية والدولة للتي هي علاقة بين مؤسستين تاريخيتين وبربطه الدائم بين التسامي والأمة ويمكنه مساعدتنا على انعاش المسيحية ذاتها وتجاوز أزمة نفكا النسيج الاجتماعي و

وأخيرا يمكن للاسلام بربطه كل شيء بالله ، أو بنظرته القائمة على ارتباط كل شيء بالله ، أى نظرته الى ذل ملكية أو سلطة أو معسرفة أو محاكمة عقلية ، نظرة نسبية ، انطلاقا من ربطها بالغائية الكبرى التى تسمو على كل شيء في هذا الوجود ـ يمكن للاسلام أن يكون خميرة تحرر

ونضال ضد كل أشكال التسلط والعبودية المفروضة على الانسان بحجة المروحات مزيفة تبعده عن أصالته ومركزه •

ولقد استطاع الاسلام فى بوم ما من خلال صراعه ضد الاستلاب والغزو الاستعمارى أن يلعب دورا رئيسيا فى المواجهة والتحرر ، وخير شاهد على ذلك ما فعله مجاهدوا الجزائر » وأفغانستان ، أو ايران عند انتفاضتها صارخة الله أكبر ضد الاضطهاد الداخلى وضد النموذج الغربي الذى فرض عليها من قبل •

هذا واذ! لم يسيطر بعض المتعصبين في ايران _ على مبادرات الشبعب فيطفئوا عندها ضوء الثورة الاسلامية ، مقلدين بذلك دور الكنيسة والحزب ، هذا الدور المعارض لكافة تعاليم الاسلام •

لكن في هذا المجال ، من الأفضل للغربيين بدلا من وقوفهم موقف المراقب المتسلط على الأنظمة السياسية التي تنتسب للاسلام ، أن يطرحوا على أنفسهم تساؤلين يقودانهم الى التواضع •

أولا: ما هو نصيب الغرب المستعمر من المستولية تجاه تعصبه ضد الاسلام ؟

ان دفاع الشعب المسلم عن اسلامه وبشكل باسل وشجاع ، تحت نير الاستعمار كان الطريقة الوحيدة المكنة للمحافظة على هويته : فكل أبعاد حياته الأخرى من الاقتصاد حتى السياسة ومن اللغة حتى الثقافة كانت مقولة حسب متطلبات المحتل ، وكان الاسلام يمتلك طهارة البعد الواحد للحياة الذى لا يمكن أن يعاش ، تحت السيطرة الاستعمارية ،

ثانيا: المحافظة على أدنى حد من الاستقامة ترتكز على عدم مقارنة النظام الاسلامي كما هو بالسيحية كما يجب أن تكون » أو بالاشتراكيه كما يجب أن نكون ا ان من يسألني بسخرية بلهاء: أين هو هذا الاسلام الذي تجعلونه مثاليا على الفريطة ! أجيبه دون خوف: تجرأوا وضعوا

اصبعكم على خارطة العالم لتبينوا الى أين هو المجتمع المسيحى ؟ أو المجتمع الاشتراكى ؟ • ليست غايتى الدخول فى حرب كلامية للمقارنة بين ما حققه هؤلاء وما حققه الآخرون رغم انه بحسب ترتيبات المسئوليات والمآسى من الحروب انصليبية حتى الاستعمار العومن بعبع الاستغلال الى المبادلات اللامتكافئة المسبة للمجاعات • لا يجوز للحضارة الغربية والمسيحية أن تدعى أنها لعبت دور القاضى أو مدرس الأخلاق الحميدة •

ان غايتي غير ذلك : فأمامنا المساكل التي هي اليوم مشاكلنا وحيث الرهان هو بفاؤنا وهو معنى حياتنا ، ان مسيحياتنا وأشتراكياتنا مهما كان عجزها التاريخي واخفاقها في الماضي ، فانها تبقى خميرة لاجتماعاتنا ومشاريعنا • لكنها لم تجنب الغرب السعى نحو ضياعه ، وأن يجر العالم خلفه نظرا لتفوقه المادى • ان هذا الشكل من النمو وهذا الشكل من الثقافة التى فرضها الغرب بالسلاح والتجارة وبتقسيم العمل وبالمبادلات اللامتكافئة وبالارساليات والمدارس ، كل هذا أوقف حتى الآن ومنع أشكالا من انتطور والابداع • لقد قادتنا ، وجميع العالم معنا الى حافة الافلاس والفوضى • لقد حان الوقت _ ربما متأخراً ونكون بذلك قد حكمنا على أنفسنا بحياة دون معنى ودون هدف وبالموت ـ لكى نسأل ونبحث عما يوجد لدى العوالم الثلاث من معتقدات ، انحاول أن ندرك ونعيش أشكالا أخرى من الوجود • فالانسان يعيش في عالم لا يستسطيع تحويله وحسب وانما تجاوزه • فعندما لا يشعر مجتمع بالحاجة الى هذا التجاوز فانه يتلاشى • ما الذى يستطيع الاسلام أن بقدمه لنا لنتهيأ بالمسؤوليات التي غرضتها القوة العلمية والتكنونوجية على كل الناس في هذه الأيام ؟ المشكلة عالمية ولا يمكن أن يكون حلها الاعلى مستوى العالم وكان جارودى فيمرحلة « التحول الكبير » قد نبه الى هذه المشكلة وبين « أن كل جيل منذ الاف السنين وحتى الآن كان يجد نفسه أمام ظروف حياته العامة وكأنها احدى « المعطيات » التي لا تتغير أبدا أثناء مترة حياته .

والفتيان والفتيات الذين يبلغون اليوم العشرين من عمرهم ، هم في نفس سن الثورة العلمية والتكنولوجية الجديدة ، وهم يعاصرون تحولا يغير

من مجموع ظروف الحياة وشروطها أكثر مما فعلت التطورات التي ترجع الى مئات السنين • ومن الآن فصاعدا سبصبح الأمر على الوجه التالى: سبعرف كل جيل أثناء حياته ؛ عدة تقلبات متعاقبة تجتاح حضارتنا • وحياتنا •

ان شباب عام ١٩٦٩ م (١) يمثل « المقدمات » لهذا التحول ولهذا فمن يمكنه أن يدهش أمام قلق هذا الشباب وثورته أو يعيب عليه هذا القلق وتلك الثورة ؟ و « خلافات الأجيال » التي تبلغ درجة من العنف لم يسبق لها مثيل هي النتيجة الحتمية للتحرك المستمر لأسس مجتمعاتنا نفسها •

وان المرء ليعاصر في كل مجتمع متصلب داخل اطار « الأوتوماتيكيات » التي تكونت في الماضي وحتى في الماضي القريب ، وفي كل مجتمع يرفض للشباب حقه في اعادة النظر في جوهره وقيمه وغاياته ، وفي كل مجتمع لا يسمح لكل عضو فيه بالمساهمة في وضع القرارات التي تحدد مستقبله ٠٠٠ ان المرء بعاصر في كل من هذه المجتمعات ازديادا كبيرا في جرائم الشباب وسلبيته ذلك الشباب الذي يحس بسخاغة النظام الذي يعيش في ظله وبالأغلال التي تقيده فيه ، سواء كان هذا النظام اشتراكيا أم رأسماليا ،

لذلك توصل جارودى الى أن الاسلام هو الحل الوحيد ، ويقع على عاتق الاسلام الذى يحرر الانسان من القيود التى تتميز بها جميع الأنظمة الطبقية فيما وراء العهد الذى نتحدد فيه حاجياتنا وأهدافنا فى ظل اقتصاديات التقشف لل اشباع الحاجيات الجديدة التى تخلقها الثورة العلمية والتكنولوجية الجديدة ، وأولها تلك الحاجة ذات الصبغة الانسانية البحتة ٠٠٠ حاجة الانسان الى أن يكون « مبدعا » ٠

هذه هي المهمة الرئيسية للاسلام عند جارودى: اتاحة الفرصة الحقيقية لكل انسان لكي يصبح انسانا أي مبدعا ، وذلك عند جميع مستويات وجوده الاجتماعي أي المستوى الاقتصادى ، والسياسى ، والثقافي •

⁽۱) عن كتاب جارودى : التحول الكبير ، ١٩٦٩ .

اننا لا مستطيع أن نذهب أبعد من ذلك في تعريف الحاجيات لأن تنبؤاتها لها حدود تخضع لمبدأ معين: فنحن رجال غارقون حتى آذاننا في قيود الماضي وأغلاله ولا يمكننا أن نعرف ماذا ستكون عليه اختيارات وأسس وقرارات الرجال الذين سيتحررون من هذه القيود والأغلال •

والمسكلة في هذا المجال هي اعداد أجيالهن البشر ينمشى تفكيرها مع أنماط التفكير والعمل والحساسية التي يحتمها التحول المجارى تحقيقه الآن •

كيف يمكن تكوين أجيال من البشر ليسوا عرباء فى هذا العالم الجديد عالم العلم والتكنولوجيا ، ويكون فى مقدورهم التحكم فيه بدلا من رسوخهم فى أغلال قوتهم نفسها ؟ ٠٠

ان أكبر خطا يمكن أرتكابه هو وضع الانسان في مدرسة الآلة والأعلان مسبقا ، عن « موت الانسان » في حين أن التحول « السوبرناطيقي » يجعل من المكن ازدهار الذاتية الانسانية ازدهارا لم يسبق له مثيل ،

ان تفوق الحاسب الالكتروني من حيث « الدقة » يعد تفوقا سريعا و المشكلة الرئيسية للتأهيل الثقافي في أيامنا هذه لا تكمن في ادعاء منافسة هذا الحاسب بل في كيفية استعماله بطريقة تسمح بطرح المشاكل عليه وتحديد عايات محددة له ت وأن أهم صفة يجب تنميتها ليست « المنطق » بل « الخيال » والا أنزلنا الثقافة الى المرتبة الوظيفية البحتة . أي تلك المرتبة التي تعتبر فيها الغايات كمعطيات ويستخدم فيها الحاسب الانكتروني لتضخيم الوسائل الى الحد الأقصى •

ويقضى الاستعمار الانسانى لهذا الجهاز العظيم الماسب الدليكترونى بأن يرى فيه المرء وسيطا ، بين مجموعات البيانات ، والمخيال المبدع للانسان وعلى عكس آلة الفرن التاسع عشر التى جعلت الانسان يقتصر على دور الخادم « والوسيلة » فان الآلة في القرن العشرين يمكنها أن تحرر الانسان من جميع المهام التي لا تتضمن تحديد المشكلات واختيار الغايات •

فالشكلة لم تعد ، كما كانت خلال آلاف السنين هي تكوين نوع من الانسان يمكنه مسايرة متطلبات نظام اجتماعي مستقر ، بل اعداد الانسان ، لتكوين نفسه طوال فترة حياته ، انسان يعيد صنع نفسه في عالم يتغير تغيرا دائما وسريعا ، ان الأمر ، كما يقول رودوفان ريشتا هو جعل التعليم ذا دور ابجابي فيما يتلقاه الانسان (١) ، هذا الانسان الجديد هو الذي يكونه الدين الاسلامي تكوينا يحقق الهدف المنشود ،

ويتطلب ذلك تغييرا في وسائل التعايم وفي غاياته وأهدافه و فاذا كان التعليم المستمر سيفوق رويدا رويدا الدرسة التي يقتصر دورها حتى الآن على تلقين مجموعة معارف معينة وعناصر تدريب صالحة ، من حيث المبدأ ، لفترة الحياة كلها و واذا كانت عمليات التدريب الدورية ستصبح أكثر شيوعا فان مبدأ التعليم القديم سيؤدي سريعا بسبب زيادة عدد المدرسين الى هذه السخافة : نصف سكان الأمة سيدرسون لنصفها الأخر ، وسيزيد تدريب المسئولين عن التعليم أنفسهم من هذا الوضع الغريب والغريب والمنافقة المنولين عن التعليم القديب والمنولين عن التعليم القديب والمنولين عن التعليم الفسهم من هذا الوضع

ولهذا فانه يجب التفكير في أن الفنون الالكترونية سوف تهب لنجدة المدرسة ، وأن تدريب العناصر على استخدام الحاسب الالكتروني وطرق تشعيله سيصبح من الدراسات الأساسية ، مثل القراءة والحساب ، وأنه ابتداء من هذه النقطة فان أهم ما في التعليم سيتم عن طريق التلفزيون والات التسجيل وأنه سيمكن نقل أهم المحاضرات بل عرضها في صورة مرتبة _ الى ملابيين الأطفال والرجال والنساء ، في أي سن من سنى حياتهم .

وبتلك الطريقة وحدها يمكن لكل فرد أن يستوعب أسمى المنجزات العلمية والفنية ، وأرقى مبتكرات الحياة والعقل وأن يصبح متمرنا على الابداع •

وبهذه الطريقة وحدها أيضا يمكن لكل فرد أن يعتاد على مشكلات (١) في كتاب بعنوان « المدنية عند منترق الطرق » .
(جارودي)

بناء المستقبل ، وأن يحاط علما بالمواضيع والأهداف والاختبارات الممكنة وبدائلها في عملية تحديد المخططات الطويلة المدى ، أن يساهم ايجابيا في عملية البناء وأن يشعر بانه أداة فعالة في المدنية العالمية ، التي صورها الاسلام وجعل « الانسان » فيها هو « المخلوق المسئول » عن صنع الحياة وتحقيق القيم العليا ، ولذلك يستعرض جارودى في كتابه « الاسلام دين المستقبل » ما قدمته الأمة الاسلامية من انجازات تاريخية واجتماعية في مجالات الاقتصاد والقانون والسياسة من خلال المبادى، الاسلامية الموهرية بيقول :

« الملك لله وحده الذي يشرع ، وهو وحده الذي يحكم:

ان مفهوم الملكية لدى أمة المدينة التى أنشأها صلى الله عليه وسلم هو على نقيض المفهوم الرومانى • فالملكية فى القانون الرومانى هى — حق التمتع كما هى أيضا حق اساءة الاستخدام — اذ يتمتع المالك بسنطة على ما يملك لا يحق لأحد التدخل فيها • ويشكل هذا المبدأ الرئيسى أساس قوانين نابليون وأساس النظام الاقتصادى الحالى كله • انه يمنح المالك حقا الهيا مؤكدا فبامكانه أن يخرب ما يملكه دون أن يناله العقاب حتى نو أدى بتصرفه هذا الى حرمان المجتمع من المصيرات الضرورية لحياته ، ويمكنه أن يكدس الخبرات دون حدود • ففى القانون المرسى تعتبر المؤسسة الحرة امتدادا للقانون الوراثى ، ويمكن لأصحابها أن يوقفوا نشاطها أو ينقلوها أو يسرحوا موظفيها ، ان مختلف التشريعات أن يوقفوا نشاطها أو ينقلوها أو يسرحوا موظفيها ، ان مختلف التشريعات التى دعت الى نزع الملكية من أجل المصلحة العامة وحتى الاجراءات التى اتخذت من جراء ضغط العمال لم تحسن الامتيازات الا بشكل طفيف • فأى تحديد لهذا الامتياز يتعلق فى كل لحظة بعلاقة القوة بين الذين يستفيدون منها والذين بتحملون نتائجها •

منذ البدء يتعارض المفهوم الاسلامى بصلابة مع هذا النظام • أن الملكبة المتعلقة بالمرجع المتسامى ، بالمسرجع الالهى ، حسب المفسهوم الاسلامى «ليست حقالفرد أو مجموعة أو للدولة ، أنها وظيفة اجتماعية •

أيا كان المالك ، فردا أم جماعة أو حتى الدولة ، فيجب أن يقدم حسابا عن ملكيته نائمة ، انه ليس الا وكيلا مسؤولا عنها ، ونجد هنا مبدأ كان آباء الكنيسة المسيحية قد دافعوا عنه سابقا ، لكن الغرب نسيه منذ زمن طويل . • ليست السرقة أن نستولى على ما نحن بحاجة اليه • بل أن نكدس لدينا ما لسنا في حاجة اليه • هذه هي متطلبات مفهوم الايمان من خلال نظرة جماعية •

وأننا نجد في تعاليم القرآن الكريم نهيا عن البخل وتكديس الأموال

واذا كان الاسلام يسعى الى توزيع أفضل للثروات ، فأنه يعترف بحق الملكية الفردية المكتسبة بالعمل ، أو بالوراثة ، أو بالهبة » لكن العمل يلعب دورا أساسيا ٠٠ ففى أحد أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من أحيا أرضا ميتة فهى له » ٠

وقد أشار « شارل جيد » (١) في دراسة (الاقتصاد السياسي) الى أن : « التشريع الاسلامي لا يقبل الملكية الفردية للأرض الا على أراض خاضعة لعمل فعال » • ونم يكتف القرآن بادانة الربا ففي الأزمنة الأولى لانتشار الاسلام لم يكن الاقتصاد يمنح حق الاستيلاء على الأراضي

⁽۱) شارل چيد: اقتصادى نرنسى (۱۸٤٧ ــ ۱۹۳۲ م) لقد قام بنشر مؤلفات حول الاقتصاد السياسى وايد مبدأ التعاونية (نظام اقتصادى) يمننج التعاونيات دورا هاما . جارودى: الاسلام دين المستقبل ترجمة عبد المجيد بارودى .

وانما فقط فرض ضريبة (الخراج) ، وآثر تدهور الهدف المبدئي ، نشأ نظام المالكين غير القاطنين والمستغلين لأعمال المزارعين .

ان المفهوم الاسلامي عن التجارة هو الأولى أن نأخذ به كتشريع أساسى للمجتمع:

فى الغرب تكون التجارة _ كما كانت متصورة فى عصر الليبرالية بشكل أمثل _ عملية سير عامة يعبر المجتمع من خلالها عن حاجاته • بينما فى عصر انحطاط النظام الرأسمالى ، وعصر الامتيازات التجارية انقلبت السلسلة ، حبث قام المنتجون الأقويا، يبحثون عن أسواق لتصريف بضائعهم • ان الاقتصاد الاسلامى ، من حيث المبدأ على الأقل ، ليس منسجما مع ذلك المفهوم الرأسمالى للسوق ، ولا مع شكله الليبرالى • ولا مع شكله الليبرالى • ولا مع شكله الاحتكارى • واذا كان ووجد السوق مقبولا فليس هو غاية فى ذاته ، ان عليه أن يلبى الحاجات الحقيقية ، وعليه أن يكون تابعا فى غاياته ووسائله الى حكم موجه نحو هدف يتجاوز السوق والمجتمع الذى يعمل فيه • وعليه أن يحترم معايير الاسلام التى تنطوى على توزيع عادل للعائدات وترفض الاحتكارات التى تحول دون اظهار السعر الحقيقى للتكاليف •

ليس الاقتصاد الاسلامي محايدا اذن تجاه القوى المتنافسة فالأمر لا. يتعلق فقط بمراقبة انتظام الصفقات ، وهذا من صلاحية المحتسب كما قال ابن خندون • وقد أحدث الأوروبيون هذه الوظيفة بعد الحملات الصليبية تحت اسم « مراقب البيع » • في المجتمع الاسلامي الأهداف هي المهامة ، وما السوق الا وسيلة لبلوغ الغايات • وقد ذكر القران أولئك الذين : (لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة)

ان الزكاه ، هذا القسم المقتطع من المال حسبما يأمر به الدين ، ليست فقط من العائدات ، وانما على رأس المال أيضا وتشكل أحد أهم أركان الاسلام الخمسة ، انها وسيلة دائمة لاعادة توزيع الثروات على المجتمع ولفسح المجال لحركية اجتماعية ، ان هذا الشكل الأولى للضمان الاجتماعي

الذى لم تأخذ به الدول الأوربية كفرنسا الا فى منتصف القرن العشرين ، بعد صراع طبقى قديم وبعد عدة قرون قد أخذ به الاسلام على أنه احدى ضرورات الاعالة منذ آربعة عشر قرنا » •

يقول جارودي أيضا:

« وهناك ابداع اسلامي آخر : انشاء نظام الضرائب غير المباشرة التي تفرض على انتاج الكماليات ، وهكذا نشأت امتيازات للدولة ونظام تفاضلي للجمارك تتناول كل المنتجات التي يتعلق بها أمن ورفاهية الأمة • ان مبدأ فريدريك الثانى « دى هوهنشتاوفن» - الذى كان من كبار المعجبين بالثقافة العربية ويتكلم هذه اللغة بشكل ممتاز __ امبراطور المملكة الرومانية المقدسة وملك صقلية اعتبر من أوائل رجال الدولة الحديثة • لأنه نقل هذه المبادىء الى أوربا وألمانيا • وبشكل مختصر نقول ان الاقتصاد الناجم عن المبادىء الاسلامية هو نقيض النظام الغربي الهادف نلنمو ، والذي يعتبر هيه الانتاج والاستهلاك غايتين في ذاتهما • نزايد وتسارع في الانتاج ، والاستهلاك • بغض النظر عن كونه مفيدا أو ضارا ، مفسدا أو قاتلا ، ودون الأخذ بعين الاعتبار للاهداف الانسانية • فالاقتصاد الاسلامي لا يهدف في مبدئه القرآني الى النمو بل يهدف الى التوازن • لذا لا يمكن مقارنة الاقتصاد الاسلامي بالنظام الرأسمالي « على الطريقة الأميركية مثلا » ولا بالنظام الجماعي « على الطريقة السوفيتية مثلا » ان من ميزاته الأساسية عدم المضوع الى حركية عمياء تجعل الاقتصاد غاية في ذاته • بل يتعلق بأهداف سامية انسانية والهية تتجاوزه ، تتجاوزه ، لأن الانسان لا يكون انسانيا بشكل حقيقى الا بارتباطه مع الله » •

وينتقل جارودى الى دراسة القانون في الاسلام انطلاقا من مبدأ « الله وحده هو المسرع » فيقول :

« بما أن الله هو المالك الوحيد ، غانه هو المشرع الوحيد ، هذا هو مبدأ الاسلام في رؤيته للتوحيد ، اذن لا تقوم الأمة على مبدأ « اعلان

حقوق الانسان » ولكن على وحبى سماوى يحدد وظائف وواجبات الانسان • لن نطيل الحديث عن كثرة المذاهب المختلفة من حنفية ومالكية وشافعية وحنبلية وتشعباتها فى هذه البقعة أو تلك من بقاع الاسلام • فهذه المذاهب تختلف من حيث درجة تمسكها وتشددها • فالبعض يقول انه يأخذ بحرفية القرآن بالضبط وكأنهم يستطيعون أن يأخذوا منه قانونا مفصلا قابلا للتطبيق فى كل زمان ومكان ، وآخرون استندوا بشكل كبير الى المنبع المثانى « الأحاديث » أى أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وذلك لحل المشاكل المموسة بطريقة جديدة • وهناك أيضا من أكدوا أهمبة الشورى ، أى استشارة فقهاء التشريع ، وآخرون اقترحوا مبدأ القياس وليس فقط بالاستنتاج من أجل حل للأوضاع المستجدة •

وعن تسامى القانون الاسلامي يقول جارودى :

« ان التعليم القرآني المعاير لنظرتنا الفردية لا ينظر للانسان على أنه حقيقة منعزلة • وانما يشكل جزءا من كل هو الأمة ، وهذه الأمة موجهة هي أيضا نحو غايات أسمى • فقولنا ان الانسان يشكل جزءا ليس له في المنظور الاسلامي المعنى ذاته كما في الغرب الذي لا يتصور أي بديل عن الفردية الاسيطرة الدولة التامة •

ان الكل الذي يشمل المسلم جزءا منه ليس هو الشمولية العضوية كما عرفها هيجل ولا كما عرفها المفهوم الفاشي الذي جاء فيه ان الانسان كفرد ليس له معنى ولا قيمة ولا حقيقة الا بولائه للدولة • وليس الرابط بين الانسان وهذا الكل الكبير المتمثل في الأمة رابطا بيولوجيا بدائيا كالذي بين الخلية والعضو الذي تنتمي اليه •

انه ليس رباطا وظيفيا أو اجتماعيا أو سياسيا يفرضه على كل فرد تقسيم العمل الذي يجعل منه كائنا مجزءا مخنوقا في دور تقنى أو اقتصادى أو سياسي يستلبه ويفتنه •

ان هذا اللوع من العلاقات لا يمكن أن يوجد الاضمن مجتمع لا غاية له الا في ذاته عاى أنه ليس حاملا لأى مشروع آخر غير نموه وقوته •

وهكذا فان الأمة الاسلامية تتجاوز الأهداف الخاصة بها الى الأهداف التى حددها الله و ان هذا التسامى المزدوج فى العلاقة بين: الأمة بالنسبة للانسان والله بالنسبة للأمة لا ينتج عنه طبقة معينة ولا اضطهاد الانسان للانسان و الله مليست الملكية الفردية ، ولا تنافسات الأسواق ، ولا المجابهات العنيفة أساسا لحرية الانسان لكنها خضوع مشترك لعاية الهية تتعلق بها كل السلطات البشرية وكل مستويات السلطة السياسية والثروة الاقتصادية والثقافة على اعتبار أنها تخصص اصطفائى أو نفوذ تقنى » •

ويقارن جارودى بين مفهوم المساواة في الغرب ومفهومها في الاسلام فيقول:

انها ليست من خصائص الفرد الانعزالى وانما هى تعبير ونتيجة لارتباط كل عرد بالمطلق ، وللشعور الالهى هيه ، الذى يسمح له بأن يأخذ أبعاده ، بعدا غير محدود تجاه المؤسسات الانسانية وكل النزعات البشرية للسيطرة ، هذا هو الأساس القرآنى للقانون ،

لا شك في أنه نم يعرف الا القليل من الانجازات الملموسة حتى في الوقت الذي كانت فيه الحضارة الاسلامية في أوجها ، وكذلك أوروبا المسيحية وبخاصة في زمن سيطرة الكنيسة اذ أنها لم تر الا قليلا جدا من الانجازات التاريخية الملموسة المطابقة المجتمع الذي نادت به تعاليم يسوع الناصري •

لكن في اللحظة التي اكتسحتنا واستولت علينا فيها أمواج انحرافات عصرنا من الرغبة العمياء في النمو ومن محاولة السيطرة لدى الدول والقوميات المتعددة ومن مظاهر العنف ومن توازن الارهاب على جميع مستويات الدول كأفراد وجماعات ومن المبادلات غير المتكافئة التي زادت من خطر سيطرة البعض ومن بؤس عدد كبير فليس الوقت وقت فتح نزاع حول حسنات البعض التاريخية أو تخلي البعض الآخر عن أهدافه ومن الضروري بالنسبة للجميع أن ينشئوا مشاريع بناءة لكل فرد ، فالأفكار القوية جديرة بتحريك طاقات العالم كله حول مشروع مشترك ،

لقد قادتنا المبادىء الفردية في عصر النهضة الغربي • ثم الثورات البورجوازية الى الفوضى • كما قادتنا المحاولات الاستبدادية لقلب هذا التيار بتزييف معنى الأمة في النظام الفادى أو مفهوم الطبقة في النظام الشيوعي الى المأساة •

وفي هذا العصر ما الذي يمكن للاسلام أن يقدمه بنظامه القائم على مبادئه العظيمة ؟

ان التأمل البناء في الأهداف الاسلامية يمكن أن يخصب الكثير من محاولات التحرر التي ظهرت لدى بعض المسيحيين منذ عشرين عاما خلت » •

وعن الاسلام والقانون الدوني يقول جارودي :

من الأمور الثابتة والمحققة أن المسلمين قد وضعوا أنظمة للتجارة البحرية حتى في أيام الحرب • وقد دونت هذه القوانين عام ١٣٤٠ م في برشلونة في فنصلية البحر ، فيما عرف بالمرجم البحرى الذي صاغ مبادئه القديس لويس لدى عودته من الحملة الصليبية الأولى ، مقلدا بذلك المسلمين •

ان أول كتاب يضم مجموعة قوانين مبوبة في الغرب ، كان على يد الفونس العاشر (۱) بأجزائه السبعة ، وهو يحوى في جزئه الثاني تشريعا حول الحرب مأخوذا عن النصوص الاسلامية حول هذا الموضوع وقد جمع في عام ١٢٨٠ م في اسبانيا المسلمة (الأندلس) وبحثت فيه حماية الأطفال والشيوخ والنساء والعاجزين واحترام الالتزامات وقوانين الشرف التي يجب احترامها في زمن الحرب •

ومما يستحق الاعجاب ابان الحروب الصليبية أن أطباء العرب في

⁽۱) ولد فى طليطلة وقد لقب بالحكيم وكان ملك كاستيل ولبرن وامبرطور الفرب وكان مثقفا كبيرا وقد نشطت الحركة العلمية فى عصره وسميت الجداول الفلكية باسمه (الجدوال الالفونسية) .

فلسطين جاءوا الى المسكر المسيحى بعد المعركة للاعتناء بالجرحى ، وقد اعترف لهم بجداراتهم العالية •

ان روح انفروسية عند صلاح الدين الذي طرد الصليبيين من القدس قد أصبحت أسطورة وأما تقاليد الفرسان الصليبيين الغربيين التي تحمل الوحشية والهمجية فقد اكتسبت شيئا من الرحمة بعد أن احتكوا مع أعدائهم من انفرسان المسلمين ولهذا كان الفرسان التيتونيون يقومون بزيارات الى بلاط فريدريك الثاني الذي كان من أشد المعجبين بالحضارة العربية في عملكة صقلية و

وينهى جارودى دراسته للقانون الدولى في الاسلام بنداء يوجهه للغرب قائلا:

« اليوم اذا لم يعترف الغرب بتأثير هذه الحضارة الاسلامية التي أخصبت العالم خلال ألف عام ، على القانون الدولى ، فلابد أن يكون لديه تعصب أعمى ٤ وهو التعصب الذي طالما اتهم به الاسلام ، وهو منه براء » .

ويخلص جارودي من بحث مفهوم الأمة في الاسلام الى :

ان الأمة ليست ثمرة للعقد الاجتماعي انها أمة الايمان القائمة على اليقين عند كل فرد يشكلها • ان هناك هدفا يتجاوز المصالح الفردية وحتى مصالح المجموعة مهما كانت واسعه • هذه الأمة تعنى الانسانية في مجمل تاريخها وتطلعاتها • ان الأمة الاسلامية هي حاملة هذه الكلية لأن كل فرد من أعضائها متحد مع الآخرين كاغة بعيدة عن اختلاف ألعرق أو الأرض أو الماضي التاريخي بنفس الابمان في التوحيد السامي •

من وجهة النظر الاسلامية الخالصة « القومية » هى مرض غربى • النه ارث مشؤوم من تجزئة الاستعمار للأمة الاسلامية • وهذا ما ينطبق على « الديمقر اطية » على الطريقة العربية مع مواجهات وصراعات أغرادها وجماعاتها التي جزأها التنافس ، وتلاعب بها الاعلام ، ليست

له علاقة مع مبدأ الشورى ، واستشارة الناس الذين لا يرجد بينهم رباط أفقى ناشىء عن التنافس وانما رباط عمودى عند كل فرد مع المطلق الواحد •

ان السلطة مثل الملكية موجهة نحو أهداف تتجاوزها و ليس هناك أى تعليم فعلى فى وقت تجعلنا فيه تجربة عصرنا نعى بأنه لا يمكن أن تكون هناك اشتراكية داخل طريقتنا فى السعى وراء النمو الأعمى دون هدف انسانى ولا يمكن أن تكون هناك عدانة اجتماعية من خلال فرديتنا الغربية التى تشكل الرأسمانية أساسا لها وتعبيرا عنها فى آن واحد و ولا يمكن أن تكون هناك عدالة احتماعية دون تسام ، دون أمكانية دائمة لقطع الصلات مع حتمياتنا واستلاباتنا ولقد أصبح الوضع الراهن لا يطاق العيش فيه والثورة أصبحت مستحيلة لأن الانسان الغربى لا يضعر مطلقا بالحاجة الى التسامى و وأن كل ثورة ستسقط اذا ادعى الانسان انه غير كل شى ولم يغير نفسه و

(ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) « الرعد: ١١ »

وهذا القانون الألهى في التغيير ظل جارودى يبحث عنه طوال رحلته الفكرية من المسيحية الى الماركسية والتحول الكبير ولم يتعرف عليه الا في الاسلام • وهذا التغيير لا يكون الا بدراسة الانسان — ومن أقوال جارودى في الستينات يتضح أن دراسه الانسان تزيد صعوبة • بل تكاد تكون متعذرة في سائر أفراده • على كل ما يجمع أفراد الجنس كله من الخصائص « الانسانية » دون المعرفة الكاملة بالسمات الميزة لكل فرد على حدة — في فرديته المتميزة — على فرض أنه أمكن الوصول — في ملايين السنين — الى معرفة كل التركيب العضوى والنفسى العام في ملايين السنين — الى معرفة كل التركيب العضوى والنفسى العام للجنس البشرى • •

وفى هذه الفردية يقول دكتور كاريل:

« ان الفردية جوهرية في الانسان • انها ليست مجرد جانب معين من الجسم أد أنها تنفذ الى كل كياننا • • وهي تجعل « الذات » حدثا

فريدا في تاريخ العالم ١٠٠ انها تطبع الجسم والشعور كما تطبع كل مركب في الكل بطابعها الخاص ، وان ظلت منظورة » ٠٠٠

« يميز الأفراد كل منهم عن الآخر بسهولة بواسطة تقاطيع وجوههم واشاراتهم وطريقتهم في المشى ، وصفاتهم العقلية والأدبية الخاصة ، ومع أن الزمن يحدث تغييرات كثيرة في مظهر الأفراد الا أنه يمكن دائم معرفة كل فرد ــ كما أثبت برتلون منذ أمد بعيد ــ بواسطة أبعاد أجزاء معينة من هيظه ٠٠ وكذلك فان خطوط أطراف الأصابع مميزات قاطعة للفرد ، ومن ثم فان بصمات الأصابع هي التوقيع المقيقي للانسان ٣ ٠٠٠

وعلى كل حال فان تكوين الجلد جانب واحد من فردية الأنسجة وقد تظهر فردية الأنسجة نفسها بالطريقة التالية:

« طنعتم سطح جرح بقطع من الجلد أخذ بعضها من المريض نفسه ، والبعض الآخر من صديق أو قريب ، فلوحظ بعد أيام قليلة أن الجلد الذي أخذ من المريض نفسه قد تماسك مع الجرح ، وبدأ ينمو ، في حين أن الجلد الذي أخذ من الأشخاص الآخرين أخذ في التراخي والانكماش ، وسرعان ما عاش الأول ومات الثاني » • • •

« ان القاعدة أن أنسجة أى شخص ترفض قبول أنسجة شخص آخر ومينما خيط الأوعية ويمر الدم ثانية فى كلية متطععمة فان هذا العضو يفرز البول مباشرة ويكون تصرفه طبيعيا فى بادىء الأمر • الا أنه لا تكاد تمضى أسابيع قليلة حتى يظهر الزلال أولا ، ثم الدم فى البول ؛ وسرعان ما تصاب الكلية بمرض أشبه بالالتهاب يؤدى الى ضمور الكلية سريعا • • ومع ذلك لو أن العضو المطععم أخذ من الحيوان نفسه لعاد الى تأدية وظيفته بصفة دائمة • اذ من الواضح أن الأخلاط تكتشف فى الأنسجة الغربية ، اختلافات تركيبية معينة لا يمكن اكتشافها بأى اختبار آخر • ال الملايا معددة بالنسبة المؤشفاص الذين تتبعهم • ولقد حالت هذه الخاصية حتى الآن دون التوسع فى استعمال تطميم أو ترقيع الأعضاء الخراض علاجية » • • •

« فمن المحتمل أنه لم يوجد فردان بين ملايين الملايين من البشر الذين استوطنوا هذه الأرض ، كان تركيبهما الكيماوى متماثلا • وترتبط شخصية الأنسجة التى تدخل فى تركيب الخلايا والأخلاط بطريقة ما زالت غير معروفة حتى الآن • ومن ثم فان فرديتنا تتأصل جذورها فى أعماق ذاتنا •

« وتطبع الفردية جميع أجزاء الجسم المركبة • فهى موجودة فى العمليات الفسيولوجية • كما هى موجودة فى التركيب الكيماوى للأخلاط والخلايا • ولهذا فان كل شخص يتفاءل بطريقته الخاصة مع أحداث العالم الخارجى • • مع الضوضاء والخطر والطعام والبرد وهجمات الميكروبات وانفيروسات » • • •

« تمتزج الفرديات العقاية والتركيبية والأخلطية بطريقة غير معروفة ، وتحمل كل منها للأخرى العلاقات نفسها التي تحملها وجوه النشاط الفسيولوجي ، والعمليات المخية والوظائف العضوية ، انها تهبنا وحدانيتنا وتجعل كل انسان أن يكون نفسه ، وليس شخصا . آخر ، ،

« كل فرد بدرك أنه فريد • وهذه الوحدانية حقيقية » •••

« ان فحص الفردية الفسيولوجية فحصا كاملا ، وقياس أجزائها المركبة غير مسور حتى الآن ، كما أننا لا نستطيع تحديد طبيعتها بالدقة ، وكيف يختلف كل فرد عن الآخر ، بل اننا عاجزون عن اكتشاف الصفات الجوهرية لشخص بعينه ، فضللا عن أننا أكثر عجازا عن اكتشاف المكانياته » • • •

« وحقيقة الأمر أن السيكولوجيا ام نصبح بعد علما • لأن الفردية وأمكانياتها ايست قابلة للقياس حتى الآن » •••

هذه المقاتق الأساسية الثلاثة: حقيقة أن الانسان كائن فذ في هذا الكون • وحقيقة أن الانسان كائن معقد شديد التعقيد • وحقيقة أن الانسان يشتمل على عوالم متفردة عددها عدد أفراده •

« هذه الحقائق تقتضى منهجا للحياة الانسانية يرعى تلك الاعتبارات كلها • يرعى تفرد « الانسان » في طبيعته وتركيبه • وتفرده في وظيفة وغاية وجوده ؛ وتفرده في مآله ومصيره • كما يرعى تعقده الشديد وتنوع أوجه نشاطه وتعقد الارتباطات بينها • ثم يرعى « فرديته » هذه مع حياته « الجماعية » (۱) •

وبعد هذا كله يضمن له أن يزاول وجوه نشاطه كلها ، وفق طاقاته كلها • بحيث لا يسحق ولا يكبت ، كما لا يسرف ولا يفرط • وبحيث لا يدع طاقة تطغى على طاقة ، ولا وظيفة تغطى على وظيفة • • ثم سفى النهاية سيسمح لكل فرد بمزاولة فرديته الأصلية مع كونه عضوا في جماعة • •

ولكن _ نظرا لجهالتنا بالانسان _ فان مناهج الحياة التى اتخذها البشر لأنفسهم لم تستطع _ وهذا طبيعى _ مراعاة هذه الاعتبارات المتشعبة المتشابكة المتفاوتة المتناسقة .

والمنهج الوحيد الذي راعى هذه الاعتبارات كلها كان هو المنهج الذي وضعه للانسان خالقه ، العليم بتكوينه وغطرته ، الخبير بطاقاته ووظائفه ، القادر على أن يضع له المنهج الذي يحقق غاية وجوده ويحقق التوازن في أوجه نشاطه ، ويحقق فرديته وجماعيته كذلك (٢) ٠٠

ان اسلام المفكر الكبير جارودى خير دليل على هذا النفاذ بالعقول والضمائر الى عالم الروح من خلال الذرة على شعاع من نور ، مؤكدا أن و مضارة المادية لا تلائم الانسان ، الذى جعله الله فى الأرض خليفة . وأيا ما كانت الملابسات التى أدت الى مأساة الحضارة المادية ، فان المقيقة الواقعة ، أن هذه الحضارة المحديثة ـ ولو أنها قامت ابتداء على أسس الانجاهات التجريبية العلمية انتى اقتبستها أوربا من الأندلس

⁽۱) ، (۲) عالج سيد قطب هذا الموضوع بتوسع في فصل « حقيقة الانسان » في كتاب : « خصائص التصور الاسلامي ومقوماته » وفصل « نظام انساني » في كتاب « نحو مجتمع اسلامي » ، . . .

ومن الشرق الاسلامى ، النابعة ابتداء من التوجيهات القرآنية لتدبر النواميس واستغلال الطاقات والمدخرات في الأرض ، ومن روح الاسلام الواقعية الانسانية ، الا أنها حين انتقلت الى أوربا لم تنتقل بجذورها الفلسفية ، انما انتقلت علوما وطرقا فنية ، ونماهج تجريبية • وصادفت ذنك « الفصام النكد » الذي تحدث عنه سيد قطب (١) ، بين الدين والنهضة الحضارية • ومن ثم لم يلحظ في بنائها هذا « الانسان » المفروض أنه صانعها ، وأنها من أجله صنعت • وكذلك أصبحت لا تلائم هذا « الانسان » بل تسحق خصائصه الأساسية التي تجعل منه هذا الكائن الغوي ، والتي بدونها لا يملك هذا الكائن أن يؤدى دوره • كما أن اغفال بعضها في أي نظام اجتماعي أو اقتصادي ٤ ويقضي كما أن اغفال بعضها في أي نظام اجتماعي أو اقتصادي ٤ وفي أية حضارة ، من شأنه أن يحدث الاختلال في الكينونة البشرية ، ويقضي نظرا لأن الجهاز الانساني كل مركب متناسق •

وعندما اهتدى جارودى الى نور الاسلام كشف لعالمه الغربى عن سر ازدهار الحضارة الاسلامية وعلومها التى قامت فى جوهرها على الربط بين العلم والايمان ، وكون الانسان غاية للعلوم وكون العلوم بدورها وسيلة الانسان فى التعرف الى خالقه وآداء رسالته على الأرض ٠٠ يقول:

« لا يمن الحكم على تطور العلوم والتقنيات في حضارة في حضارة من الحضارات دون أن نأخذ بعين الاعتبار الاحتياجات الواجب تلبيتها والمنهج الثقامي في ذلك المجتمع و لا يمكننا الاكتفاء بالتساؤل عن كيفية حدوث هذه الانجازات العلمية والتقنية بل علينا أن نتساءل عن السبب الذي حدثت من أجله والغايات التي كرست في سبيلها وعلى هذا فانه لم بتم وضع أسس العلم الاسلامي بشكل منفصل عن مفهوم الانسان وحياته اللذين وجدت من أجلهما هذه العلوم والتقنيات و

⁽۱) يراجع بتوسع مصل « الفصام النكد » مى كتاب « المستقبل لهذا الدين » للأستاذ سيد قطب .

ان الاهتمام بالغاية الانسانية لهذه العلوم والتقنيات لم يكن قط عائقا في سبيل ازدهارها و واذا لم يكن العلم الاسلامي قد سلك الطريق ذاته الذي سلكه العلم الغربي منذ القرن السادس عشر فليس هذا لأنه أقل قيمة بل لأن المسلمين رفضوا النظر في أي فرع من هذه العلوم بشكل منفصل عما يحتبره الاسلام غاية الوجود ومغزاه ٢٠٠

بهذه الروح يلقى جارودى نظرة اجمالية لتقييم العلم الاسلامى ودراسة تطلعاته متحاشيا قبل كل شيء أن يرى فيه _ كما فعل مؤرخوا الغرب _ اما مجرد نقل للعلم الاغريقى أو الفارسي أو الهندوسي أو الصينى وأما مجرد حلقة في سلسلة الاكتشافات التي يعتبرونها بمثابة عصر ما قبل التاريخ » بالنسبة للعلم الحدبث ، وتتلخص فائدتها التاريخية في أنها مهدت السبيل للعلم الغربي الذي يدعونه بصلف « العلم » بدلا من أن يسموه بكل بساطة العلم الغربي ال

ثم يتحدث جارودى عما يسميه : مرحلة التمثل : فيقول :

« ولكي نفهم العلم الاسلامي في مضمونه ومغزاه • فان من المهم أن لا نفصله عما تفرض عليه غايته الا وهو الايمان الاسلامي • فلا يمكن فهم العلم الاسلامي دون فهم الاسلام ذاته ، تلك القوة الحية التي هي روح ذلك العلم •

ان مبدأ التوحيد وهو حجر الأساس في تجربة الاسلام لمعرفة الله يلغيكل ما يفصل بين العلم والايمان و وبما أن كل شيء في الطبيعة هو دلالة على الوجود الالهي تصبح معرفة الطبيعة _ مثلها في ذلك مثل العمل _ شكلا من أشكان الصلاة وسبيلا للتقرب الى الله و فالقرآن والحديث لا يفتآن يمجدان العلم ويحثان على البحث العلمي حتى لو كان الباحثون لا يرتبطون بالايمان الاسلامي وهذا ما يفسر دور الاسلام المخصب لا يرتبطون بالايمان الاسلامي وهذا ما يفسر دور الاسلام المخصب والتجديد العنمي الذي حدث في كل مكان بفضل انتشاره و أو لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم:

« ما من رجل يسلك طريقا يلتمس فيها علما الا سهل الله له طريقا الى الجنة (١) ٠٠٠ » ٠

« يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء » (٢) •

بدأ عصر العلم العربى بروح انفتاحية فائقة ، وبمجهود منظم الاستيعاب تراث كافة ثقافات الماضى ، بدأ هذا العصر بشكل خاص بعد عام ٧٥٠ م مع العباسيين فى بغداد ، فعندما استولى هارون الرشيد (٢٨٦م – ٢٠٨م) على أنقرة أو عندما أحرز الخليفة المأمون (١٨١٤م – ٢٨٨م) النصر على الامبر اطور البيزنطى ميخائيل الثالث ، لم يطلب أى منهما كتعويض عن خسائر الحرب الا أن يسلموا المخطوطات القديمة والمؤلفات الاغريقية الموجودة فى بيزنطة وهذا ذو مغزى عظيم الله ا

وقد نظم في بعداد عمل ضخم للترجمة • فمنذ القرن الثامن اجتذب هارون الرشيد الى بلاطه أصحاب العلوم واللغويين من كافة الجنسيات وأسس الخليفة المأمون وهو أحد خلفاء هارون الرشيد مدرسة للمترجمين هذه الأكاديمية كانت في أول الأمر تحت ادارة شخص فارسى من جند يسابور يدعى بحيى بن ماسويه وكان طبيبا ورئيس مترجمين خلال حكم هارون الرشيد • وظل في مناصبه في ظل حكم المأمون • وخلفه في هذه الأعمال المحرك الشهير لفرق الترجمة حنين • وما كان حنين هذا الذي ارتد الى المسيحية ، يترجم فقط المؤلفات الطبية لأبقراط وجالينوس وديسكوريد • بل أيضا مؤلفات الرياضيين والمفلكيين وعلماء الطبيعة • مبطاب من المتمون ترجم الفزاري وعدل كتاب الفلك «سيد هانتا » للعالم مبطاب من المتمون ترجم الفزاري وعدل كتاب الفلك «سيد هانتا » للعالم الهندي براهما جوبتا • وبما أن العرب أخذوا عن الصينيين فن صناعة الورق منذ القرن التاسع فقد أسسوا أول مصنع للورق في بغداد عام

(۲) آخرجه ابن عبد الله من حديث ابى العرداء بسند عير صحيح ، وابن الجوزى في العلل ورواه الشيرازى عن أنس .

⁽۱) رواه مسلم وابو داود والنسائى والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والحاكم قال صحيح على شرطهما ، (۲) اخرجه ابن عبد الله من حديث أبى العرداء بسند غير صحيح ، وابن

٨٠٠ م • وكان على العرب أن بنتظر أربعة قرون كى يعرف هذا الاختراع ويستخدمه بفضل العرب!! •

وقد أخذت المكتبات تزداد في أرجاء الوطن العربي كله و ففي عام مرام حيث كانت أوروبا تجهل القراءة ، أسس الخليفة المأمون « بيت المحكمة » وكان يضم مليون مجلد و وفي عام ١٩٨٩م أحصى أحد المسافرين أكثر من مئة مكتبة عامة و وفي القرن العاشر كاتت مدينة النجف في العراق تلك المدينة الصغيرة تمتلك أربعين ألفت مجلد وكان بحوزة ناصر العين الطوسي رئيس مرصد مرجا مجموعة من أربعمئة ألف كتاب و وفي الطرف الآخر من الأرض الاسلامية ، في أسبانيا المسلمة ، كان الخليفة المحكم في قرطبة يمتلك في القرن العاشر مكتبة تضم أربعمائة ألف مجلد بينما لم يستطيع ملك فرنسا « شارل الخامس » الملقب بالحكيم أي العالم ، أن يجمع بعد أربعة قرون تسعمائة مجلد ولكن لم يستطع أحد أن ينافس خليفة القاهرة « العزيز » حيث أن مكتبته ضمت مليونا وستمائة ألف مجلد منه ستة آلاف في الرياضيات وثمانية عشر ألفا في الفلسفة الماه

مدا الشعف بالكتب وهذه البادرة الأولى لتمثل الثقافات السابقة في فارس ، والصبن والهند واليونان ما كانت تنطوى على نوع من الاصطفاء ، فقد تلقى المسلمون هذا التراث وجددوه على هدى من أفكارهم » .

ثم ينتقل جارودي الى دراسة النظام التثقيفي عند السلمين:

« قدم المسلمون أكثر المساهمات غنى في الثقافة العالمية وذلك بواسطة ايمانهم و لقد قاد التعصب أوروبا الى الركود و خلال عدة قرون بيئما غرف المسلمون المنتصرون أن يتمثلوا التراث الثقافي بدلا من أن يدمروه مهيئين بذلك الادهار والتشار ثقافتهم: ثقافة مستوحاة من كافة وجوهها من رؤيا القرآن التوحيدية وهذا ما يعبر عنه النظام التثقيفي الضافين بالاسلام و

ان نقطة الانطلاق في أي نوع من التعليم هو القرآن الذي يدرس في ان نقطة الانطلاق في أي نوع من التعليم هو القرآن الذي يدرس في

المسجد ، فان حكمة الايمان تجمع كافة العلوم في كل عضوى لأنها جميعا تصبو الى عالم هو في كايته تجل من الله أي وحي بآيات الله ، فما الكون الا مشهد ديني تتجلى فيه عظمة القدرة الالهية .

ان احدى ميزات العام العربى الجوهرية والمستقاة من مبدأ التوحيد هي مبدأ ترابط العلوم فيما بينها فليس هناك فاصل بين علوم الطبيعة وعلوم المرئيات من جهة والدين أو الفن من جهة أخرى ، كما أنه ليس هناك حاجز عنيع بين مختلف العلوم من الرياضيات وحتى الجعرافيا ، وهذا ما يفسر عدد العبقريات الموسوعية في الثقافة الاسلامية ، ففي التقليد الغربي لا يوجد الا ليوناردو دافنشي واحد ، أما في الاسلام فان المفكرين يعدون بالعشرات من بينهم الكندي والرازي والبيروني وابن سينا الذين أبدعوا في آن واحد في مجال الطب والرياضيات والاسلاميات والجغرافيا وكثيرا ما تفوقوا حتى في مجال الشعر مثل الرياضي عمر الخيام ، أو الفيلسوف العربي ابن عربي ، أو في الموسيقي مثل الرازي العظيم ،

هذه الرؤيا التوحيدية تفسر أيضا الأهمية التي أعطتها الحضارة الاسلامية لتصنيف العلوم • فحين نوضح وحدة الواقع والمعرفة نكون منساقين الي تأمل في وحدة العالم والي وحدانية الله التي تدل عليها وحدة الطبيعة • وهكذا يكون الانتقال غير منقطع من المسجد الي المدرسة • حيث يبقى تعليم وحدانية الله ووحدة الطبيعة أساسا لكل معرفة • وهذه حال القيروان في فاس والزيتونة في تونس • والأزهر في القاهرة • وجامعات سمرقند وقرطبة • وليس هناك فاصل بين أمكنة التعليم وأمكنة البحث الأخرى مثل المراصد ، التي بني أولها الخليفة الأموى عبد الملك في دمشق عام ٧٠٧م أو المسافي ، التي كانت في الوقت نفسه كليات اللطب •

أما خارج العالم الاسلامي فقد أنشئت كليات الطب الكبرى: كلية سالون في صقلية بعد نهاية الحكم العربي وكلية بولونيا وكلية مونبلييه

بفرنسا على غرار كليات الطب العربية وتحت تأثير تعاليمها • وكذلك الجامعات الأوروبية من جامعة باريس الى جامعة أكسفورد التى أنشئت على الطراز الاسلامي بعد ثلاثة قرون •

واذا تجاوزنا الأحداث الواقعية ، واذا تجاوزنا أولوية الاكتشافات العربية التي لا تقبل الجدل ، تلك الاكتشافات التي كانت تنسب دائما وبشكل مضحك الى هذا أو ذاك من العاماء الاغريق أو العربيين • فان روح العلم انعربي الأساسية هي التي تجعل منه شيئا آخر ليس مجرد حلقة العلوم القديمة والحديثة ، ولذا فليست العلوم العربية علوما ممنطة أكل المنقر عليها وشرب قياسا الى العلم الحديث ، وانما هي تصلح المستقبل كما صلحت الماضي بما يكمن فيها من حكمة وروح » •

وحينما نستوعب العلوم الاسلامية في مضمونها وجوهرها وغايتها الله في منجزاتها التاريخية فحسب نرى أنها تمنحنا الطريق والأسلوب للتخلص من النزعة العلمية التي تفصل بين العلم والعقيدة • وتعمل على تهيئة الفكر والعقل لخدمة أهداف مرسومة • أو مبطلة الزعم القائل أن العلم المبتور المجرد من أبعاده يساهم في تفتح وبناء الشخصية الانسانية وفضلا عن ذلك فان النزعة العلمية العربية تعمل على جعل العلم قيمة مطلقة بذاتها نزن الأمور بحسب فوائدها ومنافعها دون النظر الى الأهداف السامية الاهدف تحقيق النمو والقدرة » •

بهذا المنهج العلمي المنصف يتحدث جارودي عن الرياضيات - في المنظور الاسلامي فيرى أنها نقطة اتصال بين المحسوس والمفهوم بين عالم المبيرورة وعالم الخلود ، ففي العلوم والفنون من العمارة الى الموسيقي حيث تسود الهندسة والعلاقات الرياضية ، الرياضيات هي طريق الوحدة إ

« ان ما نسميه ـ نحن الغربيون ـ الأرقام العربية ، والتى يسميها العرب الأرقام الهندية معترفين بالفضل ؛ ادخلها الخوارزمى الى أوروبا ، وكان الكتاب الهندى « سيد هانتا » الذى أحضر الى بلاط المأمون عام

٧٧٧ م يحتوى على نظام الترقيم العشرى الذى يسمح بواسطة تسعة رموز بالاضامة الى الصفر بالتعبير عن أى رقم • لقد أحدثت انقلابا في الرياضيات • هذه الطريقة الجديدة في الحساب حملت اسم ذلك الذى عمم بشكل منهجى منظم الاكتشاف الهندى ، فكان لوغاريتم الخوارزمى الذى قلب رياضيات أنغرب بعد ذلك بقرنين بفضل جامعة قرطبة الاسلامية على يد الراهب جيربير الذى أصبح فيما بعد البابا سليفستر الثانى • وكانت صقلية هي الطريق الثانى للدخول _ فقد كتب ليوناردين بوناتشى والذى لقب فييوناتشى في أحد كتبه :

« الرموز الرقمية التسعة عند الهنود التالية 9-8-7-6-6-4-2-1-1 وبهذه الأرهام التسعة والرمز 0 الذي يسمى باللغة العربية صفرا يمكننا كتابة أي عدد كان • بالنسبة للهنود الصفر المرموز له بدائرة يعنى العدم ، الفراغ " Sunya " وترجمه العرب حرفيا : الصفر الذي يعنى الفراغ (الفارغ) » •

بما أن العدد _ 1 _ هو الرمز الأكثر مباشرة للمبدأ الالهى فان سلسلة الأعداد وتراكيبها هى السلم الذى يرقى بها الانسان من المتعدد الى الله و وهكذا تكون الرياضيات مرتبطة مباشرة مع الرسالة الأساسية: رسالة التوحيد و انها اذن علم مقدس وهى واحدة من عمليات القياس التى توحى بوجود ما هو الهي فى العلوم الأخرى كما فى هندسة الفنون و فاذا ما تذكرنا أن العدد \$\$\$\$ يكتب بالأرقام الرومانية معبة جدا ، نستطيع أن نتصور دور هذا الترقيم المعتمد على مكان الأرقام والكتشاف الصفر فى تطور العلوم والتقنيات وكذلك فى الصناعة والتجارة والمحاسبة و

بدءا من ذلك الوقت جعل العرب الرياضيات تقفز قفزة حاسمة بشكل منفصل عن الاغريق بعد أن تمشلوا كافة اكتشافاتهم وبخاصة لأنهم ما عادوا يرفضون كل ما ليس بمحدود على أنه غير عقلانى • وعلى

العكس فان عمنهم كان منصبا على غير المتناهى • فثابت بن قرة (١) الذى توفى عام ٩٠١م يخائف أسلوب التفكير الاغريقى ويبحث عن المجموعات اللانهائية والتي هى جزء من مجموعة أخرى لا نهائية » مثل مجموعة الأعداد الزوجية بالنسبة لمجموعة الأعداد •

وكان الخوارزمى رائد علم الجبر والتسمية نفسها « الجبر » هى عنوان كتابه الشهير ، ومع مبدع الجبر يجرى الانتقال من المفهوم الاغريقي للعدد ككمية صرفة الى مفهوم العدد كعلاقة صرفة ، أما القاشاني فقد حسب فيما بعد العلاقة بين الدائرة وقطرها العدد . على ، وطور عمر الخيام نظرية الأعداد الصماء مبتعدا بذلك عن تعصب الاغريق لفكرة المحدود كما كتب بحثا منهجيا عن المعادلات من الدرجة الثالثة وظل بحثه هذا سائدا حتى القرن السابع عشر ، لقد افتتح ثابت بن قرة الحساب التكاملي في القرن التاسع وربط الهندسة بالجبر ، وانصب اهتمام الطوسي والبيروني وأبو الوفا على العسلاقات انجيبية واكتشفوا القاطم قبل كوبرنيك (٢) بعدة قرون ،

ويذهب جارودى الى أن المسلمين غد أخذوا في ميدان الفلك بتراث بطليموس وتجاوزوه بشكل واسع وكان عملهم في هذا الميدان أيضا متوافقا توافق تاما مع الغايات الأساسية التي يتوخاها الاسلام • كتب البتاني (٨٧٧ ــ ٨١٨) وهو أحد كبار الفلكيين في القرن التاسع: « بعلم النجوم يصل الانسان الى برهان على وحدانية الله والى معرفة حكمة الله في ما خلق » •

⁽۱) ثابت بن قرة : أبو الحسن الحمداني (۸۲٦ – ۹۰۱) عالم رياضيات وفلك وطبيب عربي واحد المترجمين من اليونانية الى العربية ترجم كتب ارخمينس ــ اقليدس وبطليموس وغيرهم .

كانت قياساته للقطع المكافىء والأجسام الفراغية المتولدة منه منسيرة للانتباه ومن مؤلفاته الطبية كتاب « الذخيرة » .

⁽۲) نيقولاً كوبرنيك هو عالم غلكى بولونى ، لقد برهن على ان حركة الكواكب المزدوجة حول نفسها وحول الشمس (۱٤٧٣ – ١٥٤٣ م) • چارودى : الاسلام دين المستقبل ، ترجمة الاستاذ عبد المجيد بارودى •

ويعقب جارودي على ذلك بقوله:

« ان العلم العربى هو علم تجريبى على عكس الاغريق • فقد أقام الخليفة المأمون مرصدا فى بغداد لرصد حركات الكواكب بشكل منظم • وقد أجريت قياسات دقيقة تحت اشراف يحيى بن منصور وتم التأكد منها فى مركز جند يسابور كما تم التحقق منها بعد ذلك بثلاث سنين فى مرصد جبل قاسيون قرب دمشق • ونظم فلكيو المأمون الجداول « المأمونية » التى طورت جداول بطليموس بشكل جذرى • وكتب ثابت بن قرة كتابا : « فى الأسباب الداعية الى الاستعاضة عن جدول بطليموس بجداول محققة بالبراهين » • « وضع جداول محققة بدلا من جداول بطليموس » •

وعن الطبيعة والجغرافيا في القرآن الكريم يقول جارودي بعد دراسة عميقة :

« تناول العلماء المسلمون الجغرافيا بالروح نفسها • وكتب البيرونى في كتابه _ الآثار الباقية عن القرون الخالية ـ « لقد اخترق الاسلام العالم من الشرق الى العرب وتقدم في أوروبا ووصل الى حدود الصين وأثيوبيا وبلاد الزنج (جنوب أفريقيا) وأرخبيل ماليزيا وجاوة وبلاد الترك والسلاف • لقد تعلمت شعوب عديدة التفاهم المتبادل وهذا أمر لا بهيؤه الا ترتيب من الله » • وفي هذا المجال أيضا تحقق تقدم كبير على بطليموس •

وهناك كثير من الأمكنة وصفتها جغرافية بطليموس في شرق بعض الأمكنة وهي ألآن في غرب الأمكنة الأخرى ١٠ يعود سبب هذه الأخطاء الي غموض في المعطيات مثل تقديرات خطوط الطول وخطوط العرض » •

لقد أتى الاتفاق التام من القياسات: كفطوط الطول والعرض ، ومن الملاحظة ، فتطور رسم الخرائط وتشكيل التضاريس والجغرافية البشرية المرتبطة بالتاريخ ، وتضافرت المؤثرات العديدة كمتطلبات التجارة والايجار والجمع والادارة وتأمل العمل الالهى ورموزه لتجعل من الجغرافيا —

مع الرياضيات والفلك والطب _ أحد العلوم التي قدمت فيها الحضارة العربية الاسلامية للعالم أعظم الهبات • ان القرآن هو كتاب الله المسطور ، أما الطبيعة فهي كتابه المنظور الذي يدل على ابداعه وذاته ووجوده •

وأرض الجغرافيين مثلها في ذلك مثل سماء الفلكيين هي دليل على وجود الله سبحانه وتعالى •

ليست الطبيعة شيئا فارغا من المعنى كما يجعلها علم الطبيعة عند ديكارت الذي يعتبر كل حقيقة مجرد كمية صرفة والذي يعتبر أن الحيوان ما هو الا آلة وهذا المفوهم طبيحته لامترى فيما بعد (١٧٠٩م - ١٧٥١م) على الانسان ذاته ، أما في العلوم الاسلامية فلم يتفصل من أي منها من الفلك الى الجغرافيا ومن الرياضيات الى الطب _ الواقع المدروس عن النأمل في أصوله وغاياته ، والعلم الاسلامي الذي لا يبعدنا عن الملاحظة الدقيقة جدا ، والحساب هو اأذى علم العلم الغربي الطريقة المتجربيية المناقضة لطريقة الاغريق التي تهتم بالنظريات أكثر مما تهتم بالواقع ، وطرق الرياضيات الحديثة ، لأنه طبقا لأسسه الأولى لا يفصل العلم عن الحكمة ،

ويخلص جارودى من دراسته للجغرافيا في الاسلام الى أن امتداد رقعة المضارة الاسلامية التي فاقت في الساعها كل امبراطورية سابقة ا والتحرك عبر المحيطات والصحارى من المحيط الهادى الى المحيط الأطلسي ومن الصحراء الى آسيا الوسطى اقتضت معرفة صحيحة بالأرض •

ولما كان الحج الى مكة من كافة أصقاح العالم المعروفة أنذاك يضاعف عدد الذين يشاركون في هذه الأسفار وبالتالى عدد الذين يحتاجون هذه المعرفة و ولما كانت التجارة ذات المدى البعيد نتطلب بالاضافة لرسم الخرائط بدقة للمسافرين والقوافل معرفة عميقة بالمصادر والاحتياجات في كل مكان فقد ازدهرت الجغرافيا عند السلمين و

وعن الجغرافيا الاقتصادية والبشرية يقول جارودى :

اعتبارا من القرن التاسع شق الملاحون العرب المحيط الهندى ، وفى القرن العاشر ـ أى قبل ماركوبولو (١٢٦٤م - ١٣٣٤م) بثلاثة قرون - القرن العاشر العربى سليمان أول وصف ، وفى القرن الرابع عشر طاف ابن بطوطة (١٣٠٤م - ١٣٥٦م) العلامة والرحالة الكبير فى كل البلاد العربية من تومبكتو الى بخارى ثم مر بأفعانستان ووصل الى دلهى فى الهند ثم سيلان وأخيرا وصل الى كانتون فى الصين وكانت مذكراتة تعبيرا عن عجائب مشاهداته ،

وتحت عنوان « ازرعوا أرض الله » يقول جارودى في كتابه « الاسلام دين المستقبل » :

« ولكن بالاضافة للتأمل والدراسة والبحث هناك أيضا العمل الذي يمارس على هذه الطبيعة • (ثم سواه ونفخ فيه من روحه) • (واذ قال ربك الملائكة انى جاعل فى الأرض خلبفة) فالانسان اذن مسئول عن التوازن الطبيعى ، مسئول عن الطبيعة انتى يجب عليه أن يجعلها أكثر جدارة بخالقها. •

وفى هذا المجال أيضا لا يوجد انفصال بين الجغرافيا والزراعة أو الجيولوجبا وعلم النبات أو بين المعرفة والتطبيق • فان بين دراسة تغيرات التضاريس ـ تكون طيات الجبال وتشكل السهول وحتى المحيطات. وتوضع الرسوبيات وتشكل المياه الجوفية ، وبين استخدام الانسان لهذه الدراسة لمتابعة زراعة الأرض بحسب مسيئة الله « توجد علاقة ونيقة هي علاقة الأرض بالسماء علاقة الانسان بخالقه جل جلاله ،

ثم ينتقل جارودى في دراسته للعام الاسلامي الى نظرية الطب وتطبيقاتها في الحضارة الاسلامية فيقول:

« من العبث أن نتطرق لاحدى أجمل زهرات العلم الاسلامي : الطب ع دون أن نؤكد الى أى حد تنبع خصائصه الجوهرية وطريقته في التعرض للمسائل من رؤياه الاسلامية للعالم • لا نرتكز الطريقة التجريبية - على

الملاحظة والتطبيق السريرى في التعليم فقط وانما بشكل خاص على الاهتمام الدائم بالوحدة عطبقا لبدأ التوحيد الاسلامى ، الذي يجد هذا تطبيقا مباشرا عليه ، وحدة الجسم الناتجة عن ترابط الأجزاء مع الكل ، وحدة الكائن الحي مع بيئته ومع مجموع التأثيرات الكونية ، وحدة الروح مع الجسد التي تبشر بالطب النفسي — الجسماني ، وهكذا تحتل مفاهيم التوازن والتوافق الجوهرية في الاسلام المكانة الأولى في نظرية الطب وتطبيقه ،

هذه النظرية الطبية ، المرتبط بما وراء الطبيعة وبعلم الكون وبالفلسفة في الاسلام ، والتي تعتبر الانسان عالما أصغر يختصر في ذاته مجمل درجات الكائن ، ترتبط بشكل وثيق بالتطبيق العملي ، فلا يتم تعليم الطب إلا في المستشفى ، وتؤكد هذه النظرية الطبية على الوقاية فالاجراءات الطقسية في الوضوء ونظافة الجسم والامتناع عن الكحول والصوم تقود مثلا الى نشر كتاب عن الحمية الغذائية في الأندلس الاسلامية في القرن الثاني عشر «كتاب الحمية» لأبي مروان بن زهر ،

منذ منتصف القرن الثامن أصبح الطب الاسلامي وريثا للماضي كله و ففي نهاية القرن الثالث اجتمع في جند يسابور أطباء الهند وايران ومصر و وعند اغلاق مدرسة ايديسيا في بلاد ما بين النهرين جعلت مركز اللاطباء ، ووجد فيها آخر علماء وفلاسفة مدرسة أثينا ملاذهم عندما طردهم الامبراطور جستنيان في عام ٢٩٥ م وأدخل اليها الطب الهندي في القرن السادس وهكذا جمع الاسلام في جنديسابور والاسكندرية أهم مركزين للطب •

وكانت الكنيسة المسيحية قد سدت الطريق غى وجه تطور الطب ففى عام ١٣١٥م ، فى مجمع لاتران ، استصدر البابا أنيوسان الثانى قسرار الحريم : « كل طبيب يعالج مريضا قبل أن يعترف هذا المريض ، يقع تحت طائلة الحرمان ، لأن المرض ناتج عن الخطيئة » ،

بسبب هذا الموقف لم تكن كلية الطب في باريس تمتلك طوال ستمئة

سنة الا كتابا واحدا يلخص كل العلم الطبي في العالم منذ العصور الوسطى القديمة وحتى عام ١٩٢٥م ، وكان هذا الكتاب من تأليف عالم مسلم هو أبو بكر انرازى ، الذى ما زال تمثاله مع تمثال ابن سينا قائما فى المدرج الكبير في شارع « الآباء القديسين » • وان موسوعة الرازي الطبية الكبرى (١٩٦٥ - ١٩٢٥م) هي الكتاب العلمي الوحيد الذي بقي مسيطرا عشرة قرون • وطبع بحث الرازى عن الجدرى والحصبة المكتوب غي القرن العاشر أكثر من أربعين مرة بين ١٤٩٨م و ١٩٦٦م • وحتى مجيء كلود برنارد • إن كتب الرازى التي ترجمها (فاراجو) الى اللاتينية عام ١٢٧٩ م بأمر من شارل الأول قادت خطى الطب عن كافة شعوب الغرب على مدى ألف عام + وفاق تأثير ابن سينا ، المولود في بخارى عام ٩٨٠ م والمتوفى في همذان عام ١٠٣٧ م ، على تأثير الرازى ، وبقى كتابة القانون غى الطب الذي ترجمه جير ارد وكريمون (توفي عام ١١٨٧م) ، الموسوعة الكبرى في الطب في عصر النهضة لوضوح تصنيفه للأمراض والدراسة المنهجية لأعراضها • وبقيت طرقه تشخيص ذات الجنب والتهاب الرئة وتضخم الكبد والتهاب الصفاق متداولة خلال ثمانية قرون • ولقد كان ابن سينا كالرازى عبقريا جامعا: كان طبيبا وعالما في الطبيعيات وغيلسوفا وشاعرا وعالما في الدين .

واننا مدينون لابن الهيثم المعروف في الغرب باسم الحسن المولود في بصرى عام ١٠٣٥م ، والمتوفى في القاهرة عام ١٠٣٥م ، الرياضي الكبير والفلكي والمهندس بأبحاثه على البصريات التي دشنت العلم التجريبي ، واقد قام فضلا عن ذلك كطبيب عيني بأول وصف تشريحي العين ،

ولم يتردد روجر بيكون الذى تلقى علومه فى جامعات أسبانيا الاسلامية فى نسخ بصريات ابن الهيثم فى الجزء الخامس من كتابه (الكاتب الكبير) المكرس لدراسة علم البصريات ، وهذا ما جعل منه رائد الطريقة التجريبية والعلم الحديث فى الغرب ، ان روجر بيكون يعترف بنفسه باقتباساته على الأقل فى ميدان الفلسفة فقد كتب: « الفلسفة نابعة من الأرض العربية ولا يستطيع أى لاتينى أن يفهم المكمة والفلسفة اذا لم يكن يعرف اللغات التي ترجمت منها » •

وفي عام ١٠٠٠م في بغداد نجح طبيب عينى آخر هو الموصللي في شفاء مرض الساد « الماء الزرقاء ــ وهو تكثف في عدسة العين يمنع الابصار » بطريقة الامتصاص بواسطة ابرة مجوفة وهذه العملية لم تنجح في الغرب الا في عام ١٨٤٦ م قام بها الدكتور بلانشيه •

أما ابن النفيس (١٢١٥م – ١٢٨٨م) الذي فسر أعمال ابن سينا بكتابه الذي سماه (شرح تشريح القانون) فقد اكتشف الدورة الدموية الصغرى قبل هارفي بأربعمائة سنة ، وقبل ميشيل سيرفيه بثلاثمائة سنة ، وأحد تلامذته أبن القف المسيحي (١٢٣٣م – ١٢٨٩م) •

وقد اكتشف ابن النفيس الأوعية الشعرية التى لم يكشفها ما لييجى بواسطة المجهر الا في عام ١٩٦٠م أى بعده بثلاثة قرون • وكان العرب يمارسون التلتيح ضد الجدرى بواسطة شق يسمح بادخال قليل من صديد بثرة خفيفة التقيح قبل جينير بعشرة قرون •

ولقد درس الجراح الأندلسى أبو القاسم (توفى ١٠١٣م) سل الفقرات (مرض بوت) فبل برسيفال بوت (١٧١٣م - ١٧٨٨م) بسبعة قرون وأجرى ربط الشرايين فى حالة البتر قبل امبرواز باريه (١٥١٧م - ١٥٥٩م) بستمئة سنة وبالاضافة لذلك زود أبو القاسم أطباء العيون والأسنان والجراحين بأدوات لاجراء العمليات •

ولقد كان تأثير العوامل النفسية على الجسم موضع اهتمام ابن سينا الذي كتب:

« علينا أن نعتبر أن أفضل العلاجات وأكثرها فعالية يقوم على زيادة المقوى العقلية والنفسية عند المريض وتشجيعه على المقاومة وخلق جو مريح حوله واسماعه موسيقى عذبة وأن نفسح له المجال للقاء أشخاص بفضلهم ويحبهم » •

ويقول جارودى بعد دراسته المستفيضة للعلوم والثقافة في الحضارة الاسلامية :

« لم نعدد هذه المظاهر التى أدتها المساهمة العربية الاسلامية فى تطور العلوم والثقافة بشكل عام الا لكى نبين ضرورة التغيير الجذرى فى النظرة التاريخية التى شوهتها بعمق المركزية العرقية الغربية التى كانت أقامت حاجزا بين الثقافات الأغريقية ، الرومانية والثقافة التى كانت تسود فى عصر النهضة » •

وعن أوروبا. والتراث العربي الاسلامي ـ يقول جارودي :

« وهكذا أذا تخلينا عن اعتبار أوروبا مركزا للتاريخ كله ، واذا اعتبرنا أن التطور البشرى كثل ، فيجب أن نعترف أنه ليس هناك من القرن السابع وحتى القرن الرابع عشر أية فجوة سوداء بل ازدهار احدى ألم الحضارات في التاريخ : الحضارة الاسلامية ، لم يرث عصر النهضة تعاليم الحضارة الاغريقية مباشرة بعد عصر مظلم يسمى أحيانا « عصر النهضة » : والمسيحية ليست امتدادا الفكر الهلليني وليس القديس توما خلفا لأرسطو ،

هذه الأسطورة الأولى المتعمدة على مركزية أوروبا والتى يجب تبديدها كما يطرد حلم كاذب • لقد أخصبت الحضارة العربية الماضى وهيأت المستقبل خلال ألف عام ، وتحملت طوال هذه المدة مسؤولية هذه الثقافة التى نقلتها الى أوربا عبر أسبانيا وصقاية •

لقد مارست الثقافة العربية الاسلامية تأثيرها على الغرب بواسطة ترجمة المؤلفات الاسلامية في طليطلة الى اللاتينية على يد الأسقف ريمون (١١٢٦م - ١١٥١م) بايحاء من الفونس الرابع ملك قشتالة زوج ابنة خليفة قرطبة • ومن فريديريك الثانى دى هوهنشتان ملك صقلية الذى طلب من ميشيل سكونوس ترجمة كتاب الحيوان لابن سينا وكتساب « شروح أرسطو لابن رشد » للعمل على ايصالها الى جامعات الغرب • • • •

فطبعت هذه المؤلفات القادمة من أسبانيا ومن صقلية نظرة الغرب الى العالم بطابعها الخاص •

وهكذا ولد الغرب الحديث في اسبانيا تحت حكم ألفونس السادس وفي صقلية تحت حكم فريدريك الثاني وكلاهما معجب شغوف بالثقافة الاسلامية ، فكانت الحضارة العربية الاسلامية هي أصله ومنبعه » •

ويقول جارودي عن ٠٠ العلم والحكمة:

لا يرى انفكر الفلسفى فى الاسلام ٠٠٠ العالم متطورا فى اتجاه أغتى مستقيم وانما فى اتجاه تصاعدى : فالماضى ليس خلفنا وانما هو تحت أقدامنا ٠

وهكذا فان العلم والتكنولوجيا الموجهين نحو غايات أسمى لا يستطيعان أن يصبحا غاية في حد ذاتهما كما في التقليد الغربي منذ عصر النهضة ٠

لقد سمى هذا المرض فى الحضارة الغربية « الحداقة » هذا المرض هو عكس للعلاقة بين الوسائل والغايات ، لقد أصبحت الوسائل فى المنظور الغربى غاية ، ولم يعد انعلم والتكنولوجيا متلائمين مع البيئة ولا كانا فى خدمة الانسان ، بل على العكس أصبح الانسان ومحيطه خاضعين لتطور العلوم والقنيات المستقبلة والفتاكة ، ونتيجة لعكس هذه العلاقة بين الوسائل والعايات ما زال نصف سكان العالم يناضلون فقط من أجل العيش بعد الثورة الصناعية بقرنين ، تاك الثورة التى تنبأ لنا متنبئوها الكاذبونبازدهار غير محدود للانسان ، كما ماتتخصون مليونا من الكائنات البشرية فى العالم الثاث من الجوع فى عام ١٩٨٠م ، وهل هناك ادانة أكثر وضوحا ابرنامج التنمية فى الغرب الذى لم يستطع بعلومه وتقنياته أن يحل أى مشكلة حيوية على وجه الكرة ، فقد كتب البيولوجى الكبير جوزيف فيدهايم فى عام ١٩٦٩م : « لدينا أسباب كافية تدفعنا للاعتقاد بأن مشاكل العالم لن تحل طالما أننا ننظر اليها من وجهة نظر أوروبية محضة » ،

ان الكمية والسعى وراء القوة والنمو والفردية قد أشهرت الهلاسها و للا يمكن لأى حضارة أن تبنى على هذه الأسس و فقد انتهى العلم وانتكنولوجيا اللذان ولدا فى هذه التربة الى نتائج متعارضة بشكل كامل مع مشاريع ووعود النهضة الغربية و

فما العلم والتكنولوجيا الا وسائل رائعة في خدمة الغايات الانسانية فاذا فصلنا العلم ـ الذي هو نتظيم للوسائل ـ عن الحكمة ـ التي هي تبصر في الغابات أصبح العلم هداما للانسان •

لهذا السب لم نؤكد على المظاهر التي لعب الاسلام فيها باكتشافاته دور السابق للعلم الغربي الحالى ، ولكن على مزاياه الخاصة في اخضاع الوسائل البشرية للغايات الالهية ، وفي هذا المنظور فان على القرن العشرين وبعد حين القرن الحادي والعشرين ، أن يتعلما الكثير من الاسلام ، ولابد لنا هنا أن نكرر أن السلمين بايمانهم قدموا أكبر مساهمة في العلم العالمي ، وفي المقام الأول بتأكيدهم المطلق على التسامي ، من ناحية العاوم ، هذا يعني أن العلم والتكنولوجيا منظمان بحسب غايات أسمى من غايات النمو والقدرة ، غايات أسمى من غايات الانسان الفرد أو المجتمع ، وهذا يعني أن هناك استخداما للعقب ليختلف عن الشرد أو المجتمع ، وهذا يعني أن هناك استخداما للعقب ليختلف عن استخدامه الذي ينزل به من سبب الى سبب ومن سبب الى نتيجة ، فان هناك عقلا يصعد به من غاية الى غاية ، من غايات دنيا الى غايات أسمى ، ودون أن يصل الى النهاية ، يصبو الى الوحدة الكاملة التي تضفي معنى على كافة الغايات ،

يتساءل سيد حسين نصر في كتابه «!!علوم الاسلامية » عن العلاقات بين العلم المسمى « العلم الحديث » وبين العلم الاسلامي وعن عكس العلاقات بين العلم والحكمة:

« لو قدر لعلماء المسلمين في القرون الوسطى أن يبعثوا الى الحياة فال دهشتهم لن تكون من التقدم في الأفكار التي ولدت أصلا في أحضانهم ١١ بل أن دهشتهم ستكون من أن نظام القيم قد قلب رأسا على

عقب !! وسيرون أن مركزا الرؤية أو بؤرتها التى انطلقوا منها قد صار هامشيا ، وأن محيط تلك الرؤية قد صار هو المركز وان تلك العلوم المحيثة التي كانت في الدرجة الثانية من اهتمامات المسلمين قد تصدرت ساحة اهتمامهم الآن في الغرب •

أما علم المحكمة الثابت ذلك العلم الأول فسوف يرون أنه تضامل حتى كاد ينعدم الله

وينطلق جارودى فى دنيا الفنون الاسلامية مطوفا بين البانى المختلفة ثم يخلص من ذلك الطواف الى حقيقة هامة هى أن كل الفنون الاسلامية تقود الى المسجد «ثم يقول:

« كنت أشعر دائما وبشكل حى أن كل المساجد قد بناها شخص واحد تلبية للاله الواحد الأحد الذي لا اله غيره » •

ثم يضيف جارودى:

لا السجد بأحجاره المنقوشة والمزخرفة والتي تبدو وكأنها خاشعة الله تصلى له ، هو مركز اشعاع كافة نشاطات الأمة الاسلامية هو نقطة الالتقاء التي تتجه اليها كافة الفنون ، ان البنية الأساسية لكل مسجد تذكر ببيت النبي : باحة يمكن فيها للمرء أن يتطهر بالوضوء ، ثم فناء أو ممر تحفله الأعمدة للاحتماء من الشحس وأهم ما في المسجد المصراب الذي يدل المؤمنين على القبلة ، وهكذا فان مصور كل مسجد قطعة من شعاع يتجه نحو الكعبة المشرفة في مكة (ان أول بيت وضع للناس الذي ببكة مباركا وهدى العالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا) « آل عمران ٩٦ » وهكذا ينشأ في كل مسجد شعور بالاتحاد مع مركز العالم ، وكذلك كل مسجد بجداره الرئيسي للدوائر التي تنتظم حول مركز واحد تحيط بالكعبة الى آخر حدود العالم ، الدوائر التي تنتظم حول مركز واحد تحيط بالكعبة الى آخر حدود العالم ، الدوائر التي تنتظم حول مركز واحد تحيط بالكعبة الى آخر حدود العالم ، الدوائر التي تنتظم حول مركز واحد تحيط بالكعبة الى آخر حدود العالم ، الدوائر التي تنتظم حول مركز الكون ويجسد في الوقت نفسه وحدة

الأمة الاسلامية في العالم: هناك توافق بين بنية المسجد ووظيفته و فانه لا يشبه الكتيسة المسيحية ولا المعبد الاغريقي لأنه ليس اطارا يحتفظ فيه برفات قديس ولا مكانا لاحتفالات طقسية وعلى عكس المعبد الاغريقي والهيكل المسيحي المتمدين بشكل طولى ، يمتد المسجد بشكل عرضي ليسمح لأكبر عدد ممكن من المؤمنين بالوقوف في مواجهة القبلة مباشرة و

ليس هناك أى نص فى القرآن يحرم الصور ولكن القانون الأساسى. فى الاسلام يحتم أن لا يكون انتباه المؤمن مشتتا خلال تأمله فى الوحدة الالهية ، وهذه رغبة فى الانعتاق من ظواهر العالم واغراءاتها الوثنية بقصد اعادة النفس الى الواحد المتعال على كل حقيقة جزئية • فلا يمكن التعبير عن التوحيد الا عبر نظام رياضى ، عقلانى ، متناسق وموسيقى فى آن واحد يتجاوز كل تصوير مادى •

فالأشكال الوحيدة التي يمكن أن نجده! في المسجد هي اذن أشكال هندسية يعادل تكرارها الفنان فالمنحنيات التي لا تعرف المحدود والتوريقات والمسدسات المرسومة ضمن دوائر ، والمثلثات المتقابلة الرؤوس ترمن الى عظمة الله اللامتناهية » •

(والله ما في السموات وما في الأرض والى الله ترجع الأمور) • « سورة آل عمران ــ آية : ١٠٩ »

وينتقل جارودى الى البحث فى نظرة الغرب للاسلام _ تلك النظرة التي وقفت عقبة بينهما وبين حوار الحضارات _ فيقول :

ان وجهات نظر مختلفة جدا تسمح لنا بتحديد هذه النظرة •

يقول « رودينسون » ان الحروب الصليبية ساهمت فى اعطاء صورة سيئة عن الاسلام الى جمهور واسع وان مؤلك الراهب غيبير دى نوجان المتوفى عام ١١٢٤م الذى يحمل العنوان التالى: (الفرنسيون « الصليبيون » يرضون وجه الله) ، انه برنامج التزمت اللاحق كله •

انه يعرف بسذاجة مبدأ الصورة المشوهة التي أعطاها ، بعد أن يعترف بأنه ينقل الأحداث كما تناقلتها الألسن يحدد نظريته : يمكننا أن نذم دون تردد ذلك الذى تفوق طبيعته المشؤومة كل ما يمكن أن يقال عنه من سوء • ولعل أغضل ما يقال بأن هذا سب واضح •

ويضيف جارودى:

« بعد اخفاق الصليبين الكامل أصبحت البعثات التبشيرية المسماة بالاستشراقية بديلا عنها وبناء على اقتراح رامون لول « ١٢٣٤م – ١٣١٦ م » ، الراهب الكاثوليكي الذي جاب أفريقيا الشيمالية والشرق الأوسط حيث أدرك أهمية الثقافة العربية قرر مجمع فيينا الديني الذي انعقد في عنم ١٣١٦م انشاء مجموعة كليات للغة العربية في كل من باريس وأكسفورد وبولونيا وأفينيون وسالامتك » .

وعن الاستشراق يقول جارودى .

«لقد ولد الاستشراق ولكنه لم يكن عملا يهدف الى البحث العلمى دون غاية أخرى بل كان يهدف الى تذليل العقبات فى وجه مشروع تبشيرى ، وقد لعب الاستشراق فى أحيان كثيرة هذا الدور المشبوة لصالح الكنيسة أو الاستعمار أو لجعل الشرق يتناسب مع رغبات وحاجات السيطرة الغربية ، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر الأمثلة الشهيرة : ان الجد الأكبر « للاستشراق العلمى » ليس بالنسبة لفرنسا فقط بك بالنسبة لكل أوروبا (ومن خلاله بشكل خاص تلقن جوته أصول الشعر الفارسي) هو سليفسر دى ساسى (١٧٥٧م - ١٨٣٨م) ، أول أستأذ للعربية في مدرسة اللغات الشرقية (فقد أصبح مديرها عام ١٨٢٤) ، وأستأذ في الكلية الفرنسية (الكوليج دو فرانس) ، أن هذا المعلم المتمكن في الاستشراق قام بعمل مماثل في وزارة الملاقات الخارجية ، فقد أصبح سيتشارا للسياسة الشرقية في فرنسا ٤ وقام بتأليف نشرات فقد أصبح سيتشارا للسياسة الشرقية في فرنسا ٤ وقام بتأليف نشرات باللغة العربية نجيش نابليون الكبير ثم نداء الجيش الفرنسي لاجتياح الجزائر سنة ١٨٣٠م ،

(جارودی)

ان ماكس ميلر الذى أتقن تدريس الأغة العربية ، والسنسكريتية : والديانات الشرقية ، وأبدع فيها قد أشرف فى جامعة أكسفورد على تدريب وتخريج دفعات من الحكام المستعمرين نتسيير أمور الحكم فى الهند .

آما « روث بيندكت » (١٨٨٧م - ١٩٤٨م) الأستاذ في جامعة كولومبيا فقد كتب في عام ١٩٤٦م مؤلفه الشهير : « السيف والأقحوان » بناء على طلب مخابرات الجنرال ماك أرتور وبمساعدتهم لتسهيل ادخال اليابان ضمن متماريع السياسة الأمريكية •

ان هذا الاستشراق الذي كان غالبا لخدمة المساريع التبسيرية أو الأمبريالية أو الاستعمارية أو السياسية قد ساهم في خلق تبرير علمي لأحكامهم السبقة وادعاءاتهم التسلطية • وأخيرا لسيطرتهم على العائم الثالث •

وقد ظهر هذا الموقف من (الشرق) أو بادىء ذى بدء فى تلك النظرة الى الآخرين غالغرب لم يحاول أن يستوعب الشرق ويتعلم منه ، ويسبر ما يحركه من الداخل ، من عقيدة وحضارة ، بل نظر اليه نظرة سطحية منطلقا من معييرنا (نحن الغربيين) فى استيعاب الأمور وكأن الحضارة الغربية هى القدرة العليا التى يجب اتباعها ، وفى آفضل الأمور كان الغرب يدرى ما لدى الشرق لكن لم يكن يكين له المحبة ،

ويسخر جارودي من نظرة العرب الى الشرق فيقول:

وليس من الأهمية بمكان أن يمثل الشرق على الطريقة الأوروبية فى القرنين السادس عشر والسابع عشر فى مسرحية (القدس المحررة) لتاس أوفى ، تيمورانك ، لمارلوف أوفى ، عطيل ، لشكسبير ، أو أن يبحث نوليتر راسين عن جمل تركية حقيقية فى مسرحية (البرجوازى النبيل) وأن يتجادل راسين مع كورنى فى مقدمة «باجازيت » حيث قال لقد الترمت بتعبير جيد فى ماساتى عما تعرفه من أخلاق ومبادى والأتراك الأساسية ،

ان ما يهم هنا هى المضارة الغربية التى تعتبر نفسها هى الوهيدة الجديرة بالتعبير عن ما هو شامل • أما فى القرن الثامن عشر فقد كان الأمر على عكس ذلك فهؤلاء الذين يعارضون النظام يحاولون أن يجعلوه نسبيا وذلك بمقارنته مع الشرق الذى تخيلوه بشكل يعكس عالمهم •

وهكذا فالشرق لم يكن له اى وجود خاص به لكنه النفى الذى يمكننا أن نحكم وأن ندين من خلاله سلطة لويس الخامس عشر فى الرسائل الفارسية لمونتسكيو ، فالشرق أصبح ببساطة الوجه الآخر للحقيقة الفرنسية وصورتها المقلوبة ، ووجهة نظرها الانتقادية فلقد استخدم الشرق دائما : لصالح الحقيقة الغربية والفرنسية ، فان رأينا فيه مع بيير بابل فى قاموسه النقدى من خلال سيرة حياة شريفة لمحمد نموذجا من التسامح يعارض القمع الدينى فى فرنسا ، أو أننا نرى فيه مع فولتير ، فى كتابه هم مدوذ الشياسى فالاسلام (وبشكل أعم الشرق) لم يدرس أبدا اداته بل يسخر خدمة اللصراعات الأيدلوجية الغربية ،

لقد تبدلت صورة الاستشراق مع بداية القرن التاسع عشر ، ان غزو نابليون لمصر قد أشار الى نوع جديد من العلاقات بين الشرق والعرب ، فى بادىء الأمر علاقة سيطرة وضحينة ، فبونابرت الذى اصطحب معه « فولنى » صاحب كتاب السفر الى مصر والى سوريا الصادر فى عام ١٧٩٧م ، لم يتردد أن يؤكد للشعب فى الاسكندرية ضمن اعلان صادر فى الثانى من تموز ١٧٩٨م : « نحن المسلمون الحقيقيون » اعلان صادر فى الثانى من تموز ١٧٩٨م : « نحن المسلمون الحقيقيون » ومع احتقاره لكل دين مهما كان ، حاول نابليون التظاهر بأنه يحارب من أجل الاسلام ، ونتيجة لهذه الغزوة ٤ أى الصدام الأول السياسى والعسكرى المحسوس بين الشرق والغرب فى القرن التاسع عشر ولدت فى مصر حركه اصلاحية مسلمة تختاط بين الحداثة وتقليد الغرب ، فى نفس الوقت الذى ولد فى أوروبا (وخاصة فى فرنسا) ميل فاسد نحو الاغترابية الرومانيسية المفتلطة بعقدة تقوق الغرب ، ففى مقدمة كتابه « الشرقيات » الصادر عام ١٨٢٩م امتدح فيكتور هوجو كون : « ان

الدراسات الشرقية قد وصلت الى حد لم تبلغه من قبل • ففى عصر لويس الرابع عشر كنا هلنستيين اغريقيين والآن نحن شرقيون ، حيث لم يساهم مثل هذا العدد من الأدمغة على نبش التراث الآسيوى العظيم من قبل » •

لكن هذا لم يمنع فيكتور هيجو أن يكون صورة مشوهة عن الشرق مستوحاة من مجموعة تخيلاته التامهة •

أما شاتوبريان في كتابه « رحلة من باريس الى القدس » الصادر عام ١٨١١م فانه لا يرى في الشرق غير أبعكاس لذاته بنظرة ابداعية •

وقال عنه ستاندال « معلقا على كتاب شاتوبريان » لم أجد قط شيئا ينضح بالأنانية والتبجح أكثر منه » • لكن ما قاله ستاندال لم يمنع شاتوبريان الذى يحمل آلاف الأحكام المسبقة أن يكتب عن المسروب المليبية ما إلى :

« ليس المهم فقط ، تحرير هذا القبر المقدس وانما معرفة من الذي سيسيطر على هذه الأرض (القدس) أهى تلك الديانة الصليبية المعادية لكل أشكال الحضارات والمشجعة من حيث المبدأ على الجهل والاستبداد والاستعباد ، أم نلك الديانة الاسلامبة الني عرفت كيف تحيى عند المعاصرين احترام العصور القديمة الحكيمة والتي ألغت الرق ٠٠٠

حتى الكانب الكبير « جيرار دى نيرفال » لم يجد في الشرق الذى طاف به بين عام (١٨٤٢ م - ١٨٤٣م) شيئا غير الفراغ بالاضافة الى تكرار لبعض المعلومات التى اقتبسها حرفيا من المستشرق الانكليزى (لان) ، أما فلوبير فقد أخذ على عاتقه في رواية (سالمبو ١٨٤٩م - ١٨٥٠م) مهمة بعث شرق وهمي تمخضت عنه تصوراته الخيالية ،

وهكذ! غاننا دائما أمام فكرة عن الشرق اخترعها الغرب لنفسه معتقداً في بعض الأحيان انه يعيد بعثه على طريقة اورنس العرب السخيف

الذى كتب بغرور: «كان هدفى أن أصنع أمة جديدة ٠٠٠ وان أوهم عشرين مليونا من الساميين بأني أعطيهم مرتكزات يبنون عليها قصورا وهمية من أغذارهم الوطنية ، أن كل مقاطعات الامبراطورية لا تساوى عندى موت انجليزى واحد • واذا كنت قد أعدت للشرق بعض الشعور بالذات وبالهدف والمثل الأعلى فقد كيفت هذه الشعوب مع نموذج حكم جديد تنسى فيه السلالات الأوروبية المسيطرة انجازاتها الفظة » •

ويؤكد جارودى ان الشرق والغرب ان ينفصلا بعد الآن فيقول:

« فى ألمانيا التى لم تستعمر الدول الاسلامية كما استعمرتها انجلترا وفرنسا قامت محاولات لفهم الاسلام • لقد أقر « هيدرر » أن العرب هم أساتذة أوروبا ، وقد أكد « فريدريك شليفل » منذ عام ١٨٠٠م على ضرورة تحالف النمط القوطى مع الشرق ضد المدرسة الكلاسيكية أما « جوته » بشكل خاص فقد كتب منذ عام ١٧٧٤م قصيدة فى تمجيد محمد • وفى عام ١٨٢٩م دعا فى ديوانه الشرق الغربى الى هجرة نحو الشرق ليستمد منه شبابا جديدا • وجوته برى فى الاسلام ايمانا ومجتمعا قائما ليس على الاستسلام بل على العمل •

فجوته الذى كان معجبا من خلال تأثره بكتاب مختارات أدبية عربيه السيلفستر دى ساسى _ بالشعراء القارسيين المسلمين ، بالرومى ، وبالسعدى ، وحافظ وجامى ، كتب جوتة : « لم يعد ممكنا فصل الشرق عن العرب وقد استنتج فى كتابه هذا : اذا كان الاسلام يعنى الخضوع الله ، فاننا نعيش ونموت على الاسلام ، وكان يؤيد جوته ما ورد فى كتاب « العلوم الالهية » ، أما هيجل رغم اعترافه بأن التوحيد فى الاسلام فى الاسلام فى الاسلام يستبعد كل تمييز عرقى أو طبقى أو ملكى ويفرض المسيام والزكاة ، يورد فى مقاله وفى الصفحات القليلة التى خصصها الاسلام (فى الجزء المخصص للعالم الجرمانى !!) كافة أفكار المركزية الأوروبية المتداولة ، حتى وصل به الأمر الى تسمية الاسلام بالمحدية وهذا يفضح جهله بمزايا الاسلام .

وعن سماحة الاسلام _ يقول جارودى :

فى ألمانيا عام ١٩١٧ كتب « أوسفالد شبنجلر » فى كتاب « تدهور الغرب » ، تاريخا دون نظرة عرقية أوروبية يمكن أن يكون تاريخا وحيد الا نظير له فى العالم ، وهناك آخرون الاحظوا مثلا أن قوة الساسانيين العسكرية قد هزمت فى معركة واحدة فقط هى معركة « نهاوند » فى عام ١٩٣٧م أو أن مملكة القوطيين الجنوبيين قد انهزمت فى معركة واحدة بانقرب من سهر « ربوباريات » فى عام ١١٧م ،

ان هذا الكاتب بلغ من السخف في النصح لقومه بما كان يجب القيام. به وما يمكن فعله في الوقت الذي بقى غياب المقاومة بالنسبة له أمرا ليس له تفسير •

ان «شبنجلر » الذى لم ينغلق على ذاته خارج التاريخ الشامل فى معزل أبديولوجى غربى ومسيحى قد جمع فى حزمة واحدة كل التجمعات اليهودية والمسيحية والأريوسية والنسطورية والقائلين بطبيعة المسيح انواحدة والمجوسيين لا ويوضح أن سر انتشار الاسلام المذهل لا يكمن فى عنفه الحربى • نقد استوعب الاسلام بشكل مباشر تام تقسريبا : اليهودية والمجوسية ، وأيضا كنائس الجنوب والشرق • وها هو ذا بطريرك «سبلوسى » يعقوب الثالث يتذمر بأنه منذ ظهور الاسلام الأول دخل فيه عشرات الألوف من المسيحيين وفى أفريقيا الشمالية أى فى وطن القديس أوجستنيوس سجد شعب هذا البلد كله أمام الله •

ويستنتج «شبنجار» ما يلى: «عرفت المسيحية فترتين لحركة الفكر الكبيرة «منذ بداية الميلاد وحتى عام ٥٠٠٠م فى الشرق ومنذ عام م١٠٠٠م متى عام ١٥٠٠ فى الغرب» • ان هاتين الفترتين هما ربيع الثقافات التى احتضنت أيضا انتيارات الدينية المخالفة للمسيحية التى تنتمى اليها •

ولكى استوعب التاريخ بنظرة واحدة ، من المفروض أن نتخلى عن غربيتنا التي أصبحت شيئا فشيئا مطية وأن نلقى نظرة شاملة على مسيرة

وانما كان ذلك بأبشع صورة: القوة وحتى القوة العسكرية • ومنذ ذلك الحين ظهر تياران فكريان: الحداثة أو المحافظة وبدأ ذلك في مصر أولا ثم تبعه العالم الاسلامي العربي كله وشيئا فشيئا كافة مناطق الحضارة •

ويستعرص جارودي الحداثة ونتائجها _ فيقول :

بالنسبة البعض – أى أنصار التجديد – كان المستقبل يتمثل بتقليد الغرب ، وأول ما استورد منه – أمراضه ، وبما أن النظرة القومية قد جزأت الأمة نبى أوروبا المحسب أهواء الحسروب الطويلة بين الأمراء الاقطاعين التدامى ثم حسب أهواء منافسات السوق بين التجار صناع البرجوازية الجدد ، فقد تشكلت الحدود بين الوحدات القومية في أوروبا في القرن التاسع عشر بالاعتماد على وحدات جمركية أو بحد السيف وخلال الحروب بين العائلات المالكة في أوروبا الاقطاعية ، وقد نقلت الى العالم المستعمر حروب ومنافسات الأمم الأوروبية الستعمرة «كما نقلت علاقة القوة في كلا الحالين السابقين » •

فهذه الحدود القومية في كل من أميركا اللاتينية وأفريقيا السوداء وعلى الأرض الاسلامية ما هي الا نتيجة للاقتسام الاستعماري وبشكل خاص بين أسبانيا والبرتفال وفيما بعد بين هولندا وانجلترا وفرنسا •

وفى المجال السياسى كانت المداثة تعنى النظام البرلمانى أى تصدير بنية وثقافة الى بلدان تختلف عنها جذريا وتصدير أنظمة ولدت من شروط تاريخية خاصة بانجلترا وفرنسا وكذلك ادخال قوانين السوق « الذى يعتبر جرا من حيث المبدأ » الى الساحة السياسية في مراحل الرأسمالية الأولى •

وفى المجال الاقتصادى كانت الحداثة تعنى الانضمام الى السوق الغربية وطبقا لعلاقة القوى الموجودة فى هذه السوق امتنعت عن تسميل نقل طرق انتاجها للتصنيع للوجودة في شجعت بشدة تقليد طريقتها في الاستهلاك وذلك لأنها تريد أن توجد مستهلكين لها لا منافسين و

ونتيجة لذلك أجبرت البلدان التى استعمرت أولا ثم أخضعت لتبادلات غير متكافئة على تقديم المواد الأولية واليد العاملة لتسمح لأقلية أطلق أعليها اسم النخبة — أى بعض وسطاء المحتل أو المستعمر — بالمساهمة في طريقة الاستهلاك هذه •

وفي المجال الثقافي ، كانت الحداثة تعنى تبنى فلسفة النمو على الطريقة الغربية بشكل ضمنى ، لأن التقنية ليست أبدا محايدة فانها تحمل في مضمونها مسوغاتها الذاتية التي تسمح لها أن تتخذ مكانة « هدف بحد ذاته » و « القيمة » المثلى : أي التطور الذي يعنى ازدياد السيطرة على الطبيعة وعلى البشر ، ومن هنا ينتج رفض كل أشكال التعالى !ذ أن « الهدف بحد ذاته » في السلطة التكنوقراطية يأخذ مكان هذا التعالى ووظيفته ، ان تمجيد الفردية — اذ تجعل منافسات السوق وكما أوضح ذلك « هويس » منذ خطوات الرأسمالية الأولى ، تجعل من الانسان ذئبا لأخيه الانسان — وقصر الفكر على البحث عن الوسائل دون الغايات لأن الأهداف قد حددتها مسبقا طبيعة النمو والقوة المسيطرة ،

منذ ذلك الحين لم يعد ينطبق على كافة مفاهيم الحداثة تعريفها على أنها ازدهار الثقافة والايمان الاسلاميين الذى يستجيب للاحتياجات المجديدة عند الشعوب ذاتها وانما كغرس لطريقة حياة أوجدتها شعوب أخرى لتلبى حاجاتها الخاصة ،

ان اقحام الاحتياجات الغربية في حياة المسلم قادته لكي يصبح غريبا عن نفسه وذربته وتاريخه وثقافته ومستقبله ، ان ما اقترح على العالم العربي الاسلامي ليتخذ طابع الحداثة هو أن يمر بالمراحل ذاتها التي اجتازتها أوروبا منذ أربعة قرون ، وأن يعتبر ماضي الآخرين على أنه مستقبل له ،

ويجيب البعض بشكل معارض تماما على السؤال ذاته : كيف يمكن للعالم العربى الاسلامى أن يؤكد حقه فى الوجود ؟ بدلا من أن يقولوا كما قال السابقون : « بتقليد الذين يقتلوننا وبأن نصبح مثلهم ») يعتبرون

أنه اذا كان هناك انحطاط فى العالم العربى الاسلامى فهذا لأن المسلم قد ابتعد عن دينه وعن تعاليم الأقدمين وأنه قد انسلخ عن تراثه لينساق مع اغراءات الشيطان الغربى من هنا قرروا أن يجعلوا الاسلام فى حصن لا نوافذ له ولا أبواب ولا حتى فتحات مطلة على السماء ، وأن يدافعوا بشكل كلى عن التراث دون أن يطهروا الفكر الاسلامى من الشوائب والترسبات التي اغرقته فى أحيان كثيرة بتأثير ما جلبته اليه المجتمعات المختلفة التى دخل فيها •

وقد ظهرت تيارات تعصيبية عرفتها جميع الأديان وهى التى قيامت على عدم التمييز بين الأشكال الثقافية والأشكال التنظيمية التى آمنت بها خلال تاريخها الطويل وصار كل فريق من المتعصبين يختار من الماضى الفترة التى تبرر تصرفاته الحالية على أكمل وجه •

ويؤكد جارودي حقيقة هي أن الاسلام لا يعرف التعصب قائلا:

« ان القرآن الكريم وحي الله تعالى الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم يكرر في أماكن عديدة أن الله قد أرسل لكل أمة نبيا بحيث تتمكن كل أمة من فهم الرسالة السماوية على طريقتها • وعلى الرغم من أن محمدا هو خاتم النبيين ، يتضح من تفسيرات الخلفاء الرأشدين ، أولئك الذين كانوا من صحابة النبي الأول • وكذلك من جاء بعدهم من مختلف المذاهب الشرعية أن الكلام المنزل على النبي رغم كونه آخر رساله الهية مشرعة فانه لا يستبعد مطلقا الاجتهاد الضروري لحل القضايا الجديدة التي تطرح خلال انتشار الاسلام في مجتمعات مختلفة عن أمة المدينة •

وعندما يعلن أحد رجال الدين في ايران: « ان الاسلام يكفي في ذاته » ، فانذ نفهم تماما أنه يرفض كلية أدوات وشذوذ العالم الغربي ، ولكن هذا الاكتفاء هو على نقيض التعليم الاسلامي اذا كان يعنى أنه ليس عليه أن يتعلم أي شيء من غيره في حين أن عظمة الاسلام منذ

منشئه وفي قمته ناشئة عن كونه عرف كيف يستوعب في حضارته الأشكال الحضارية السابقة وكذلك أفضل ما في الثقافات العظيمة من تراث ليشكل منها تركيبا لم يعرف له مثيه ويسمو بها ١١

يقول الشاعر الانجليزى ت اليوت: « ان من أكبر أخطاء الغرب الثنائية » • • وعلى هذا هل هناك از دواجية أسوأ من أن ندعى أننا نحافظ فى المجتمع ذاته على دين بشكله المتزمت الشديد فى العلاقات الخاصة ؟ وندخل فى الحياة الاجتماعية كل أدوات الغرب بدء! من طرائق استهلاكه الجنونية وحتى أشغال تقسيم العمل وتوزيع الطبقات والفردية المتوحشة التى تفكك المجتمع المدنى والمجتمع السياسى ؟ • • فالتسامى والأمة لا يمكن الفصل بينهما فى الاسلام •

فهل نحن بهذا الشكل على طريق استخلاص تركيب ؟ أو على العكس على طريق مجاورة كل ما هو سيى، في حداثة البعض وتقليد البعض الآخر ؟ وكان المؤرخ الانجليزى « توينبي » يقول : « أن قضية الشرق هي قبل كل شيء قضية الغرب » • فعندما نذكر موجة التعصب الحالية في بعض البلدان العربية الاسلامية يجدر أن لا يغيب عن ناظرنا مسؤولية الغرب ، خلال فترة الاستعمار والانتداب كلها • وكذلك في يومنا هذا أيضًا عن طريق مشاريع حواضر البلدان الأصلية القديمة والأمم المتعددة + فقد أصبحت وما تزال مراكز اتخاذ القرار والسلطة بمعظمها في الخارج ٠ ان رد الفعل الدفاعي الأول هو الانفصال عن الخارج ١٤ والانطواء على النفس ، السبب الثاني الأكثر وضوحا خلال السنوات العشر الأخيرة هو افلاس التقدم المزيف على الطريقة الغربية العقيم ، ليس فقط عن اعطاء معنى وغاية للحياة وانما عن انقاص الفروق في العالم وضمن كل بلد على حدة • ومن هنا يمكننا استيعاب رد الفعل في رفض هذا الأمل باكتشاف طريق اسلامي خاص لا يمت بصلة لا الى فوضى الرأسمالية الفارغة من كل روح . ولا الشيوعية السوفيتية . لقد فشلت حلول الغرب ، الفارغة مما جعل هذا الفشل دليلا قاطعا على كل أشكال التعصب ونموها . فاذا لم يرفع انصدا المتراكم عبر عصور السيطرة والاضطهاد عن ايمان

البعض واذا لم تع تكنوقراطية البعض الآخر الفساد الجوهرى فى نظام لا يطرح أبدا قضية مغزاه الانسانى وهدفه فان الحوار قد حكم عليه بالسير فى طريق مسدود •

ويقرر جارودى أن الأمة الاسلامية _ أمة قائمة على التسلمى والايمان _ فيقول:

لقد حان الوقت لنعيش ضمن رؤية موحدة التاريخ كان ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام يشكلون فترات يقظة فيه ، وأن نلتقى بالاسلام كما فعل الأب « لولوبخ » عندما فكر بتعاون مشترك مؤكدا : « ربما لم يكن الفصل بين مسيحيين ومسلمين وانما بين مؤمنين تقليديين – فى كلا الأمتين) متسكين بصياغة ثابتة لحقائق الوحى من جهة ومؤمنين باحثين همهم فراءة الكتب المقدسة والتوفيق بينها وبين الحياة » •

بهذا الشكل فقط ، وبعض النظر عن كافة المساكل المقيقية :
والاختلافات العقائدية ، يمكن أن نتطرق معا الى المساكل المقيقية :
الايمان والسياسية ، لأن هذه هى المساكل المقيقية في
عصرنا هذا وأننا نكتفى بتعدادها في خلاصتنا هذه لأننا بينا
في هذا التأمل في الاسلام الحي ما هي المساهمات التي يمكن أن يقدمها
لحلها ، فهل بمكن نأسيس مجتمع على علاقات القوة بين الأفراد
أو المجموعات التي تشكله بحيث يؤدى الى أعمال عنف مأجورة
والى توازن ارهابي وأعمال ردع ليست سوى تسمية أخرى للابتزاز
أو بمجرد ابرام عقد ؟ أو أن المجتمع لا يكون انسانيا بحق ، أى أن ما هو
الهي بكمن فيه ، الا بفعل ايمان مشترك بأهداف تتجاوز المالح الخاصة ،
وحتى العامة ، فتحقيق نظام لا يكون انسانيا الالأنه لا يتجاهل الانسان ،

ثم يتساءل جارودي عما يجب أن يتعامه الغرب من الاسلام : فيقول :

فى ميدان الثقافة ماذا نستطيع أن نفيد من الاسلام ؟ كما فى أى ميدان آخر • قبل كل شىء علينا أن نشارك فى الاسلام نفسه ، فى ايمانه الذى

يلهم ويحيى ويوحد هذه الثقافة و وقبل كل شيء علينا أن نعرفها وهذا يحتم علينا أن نتخلى عنعصرنا الوسيط الذي كان يعتبر الاسلام نقيضا المسيحية وأن نتخلى أيضا عن وسادتنا العلموية والوضعية المستقاة من عصر النهضة الذي حرم الواقع والفكر المتسامي من بعدها _ اذى رأى في الاسلام وفي كل نوع من أنواع الايمان وجها من وجوه الظلام! هذه التحفظات من قبل المسيحية أو غير المسيحية تجاه الاسلام لا يمكن أن تكون مبررا لعدم الافادة من المنهج الاسلامي ولان هذه التحفظات لا وجود لها في الأصل ، أى في القرآن الذي ورد فيه ذكر المسيح ومريم باحترام عظيم:

(وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة و آتبناه الانجبل فيه هدى ونور) « المائدة : ٤٦ » •

(انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه) « النساء : ١٧١ »

ان المسيحية التي ينتقدها أحيانا النبي صلى الله عليه وسلم .. هي المسيحية التي كانت سائدة في عصره .. ويبين الأب ميشيل حايك بقوله: « ان نظرة تاريخية على وضع المسيحيين السوريين العرب بدءا من مجمع «أفسوس» بشكل خاص يفسر موقف نبى الاسلام ويبرئه من الأقوال التي ينسبها اليه أحفاد المسيحيين في عصره » • هذا التذكير لا يتضمن أية فكرة اندماجية أو تعصب ديني • لا شيء أكثر ضررا لحوار متبادل مخصب في الوقت الحاضر الا حلم بعض دبلوماسي الغرب والشرق الخاطيء . بدمج كافة الديانات في ايمان واحد •

ليس علينا أن نحجب ونخفى الفروق التى هى عميقة فى الواقع ، فالاسلام يرفض فكرة الصليب ، وبالنسبة للمسيحى نشكل هذه الفكرة ثورة فى نظرته الى الله ، فالاسلام الذى يرى من حيث المبدأ أنه لا يجوز أن يعلو أى حب على حب الله ، يختلف عن المسيحية التى تعتمد فكرة التثليث عقيدة أساسية فيها . ويرفض الاسلام فكرة التجسيد ندى المسيحية ففى تأكيده المطلق على المتسامى لا يمكن أن يقبل بفكرة « أبن الله » ولا بفكرة « أم الله » رغم أن القرآن يعترف بعذرية مريم رضى الله عنها •

ويرفض الاسلام الثالوث • وحتى اذا صبح أن الصياغات المتأثرة بالاغريق لهذه العقيدة تفسر هذا الرفض هانه يظل فوق مستوى الصياغة والشكل • فهناك فرق في المضمون • فقد تضمنت الأسماء الحسني أسماء تؤكد الرحمة والعفو والاحسان والمغفرة ولهذا فان الله تعالى هو الرحمن الرحيم العزيز الودود العنى الواهب الكريم ••••

ثم يهتف جارودى من أعماقه _ الله أكبر _ ويقول:

هذه الفروق العميقة الجذرية مع كل ما تتضمنه في طريقه وجود الله في حياتنا لا يمكن مع ذلك أن نخفي ما يمكن أن يكون مفيدا حقا في روح لاسلام الحية: فالتوحيد الذي استبعد باسمه كل شرك المحتبر المسلم الشرك أول الآتام وآخرها و لا اله الا الله وو هذا التأكيد الجوهري في الشهادة الاسلامية بقصي كل ما يمت الى الأصنام التي تكثر في مجتمعاتنا: كصنم النمو والتطور وصنم التقنية العلموية المومنم الفردية وصنم المقومية وصنم قوة السلاح والجيش وكل منها يحمل محرماته ورموه المقدسة وطقوسه ويؤكد الاسلام رفضه لهذه الأصنام وانتحرير في هذا التأكيد على الايمان التي جعلت الجيوش العسديدة وانتحرير في هذا التأكيد على الايمان التي جعلت الجيوش العسديدة وبشكل خاص آصنام الأسلحة والقوميات الفاتكة التي تميل كتائسنا الى وبشكل خاص آصنام الأسلحة والقوميات الفاتكة التي تميل كتائسنا الى

ان الحوار مع الاسلام يمكنه أن يحيى من جديد جوهر ايماننا الذي يستطيع أن ينفل الجبال من أماكنها • وفي علاقة الانسان بالطبيعة يمكننا أن نتعلم من الاسلام • أن نعكس موقفنا الذي ، منذ عصر النهضة ، يجعلنا : تعامل مع الطبيعة بروح عدائية غازية • هدفها الوصول الى فرض علاقات بيننا وبينها كمالك ومملوك ، سيد وعبد : مالك عشع لا يشبع من رغبته في استثمار ملكيته دون حدود وسيد ظالم وغير مبال في آن واحد • • تقوده نظرته المحدودة الى عدم التردد في قتل عبده من جراء المهام التي يلقيها على عاتقه • ان التعاليم القرآنية مختلفة تماما : اذ أنه يمكننا من أن نكتشف في الانسان بعده الكوني • فالانسان حسب الاسلام يحمل في ذاته كل درجات وجود الكون ، وهذا العالم الصغير فقط هو الذي قبل المسؤولية القصوى مسؤولية الوعي والايمان :

(ان عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنه! وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا) •

« سورة الأحزاب : آية ٧٧ »

ولهذا حتى حين بدا « ظلوما جهولا » فقد تولى منصب « خليفة الله على الأرض » مسؤولا ومكلفا بالحداظ على توازن العالم • وربط كل كائن بمنبعه الأصلى وبعايته ضمن طبيعة كل حقيقة جزئية فيها رمز لوجود الواحد أى الله •

من الناهية العملية هذا التفكير المسترك يسمح لنا مثلا أن نطرح مشاكل الطاقة بتعابير تنم عن الحضارة والمعنى الذين نصبو اليهما مندلا من استهلاك اهتياطات الطاقة الجوغية بشكل عشوائي • دون أن نصب حساب للأجيال اللاهقة ولا للأهداف الانسانية الشاملة ، يعلمنا هذا التفكير أن نعود الى نبع الطاقة الذى لا ينضب ، المتمثل في المياه والبحار والشمس والأرض والرياح •

ان معنى الوحدة هذا: وحدة الحكمة والعلوم ، وحدة التفكير في الغايات وتنظيم الوسائل يمكن أن يعلمنا من جديد استخداما كاملا للعقل من أجل

مرحلة جديدة في المحياة ومن أجل الانسان الذي يفكر فيها • أن نستخدم العقل استخداما كاملا في مرحلة حياة جديدة وانسان جديد يبنى هذه الحباة • ولا ينتقل من سبب الى سبب ومن شرط الى شرط وانما من غاية الي غاية ، مر غاية دنيا الى غايات أسمى حتى يصل الى ذلك الصعود الذي يجعله يعى أنه غير متناه وأن لا شيء يعفى الانسان من مسؤوليته المرهقة وحريته الدافعة الى السمو في اختيار هدفه الأسمى • لأن الله في الاسلام لا يكشف نفسه وانما كلامه فقط • وللانسان كامل الحرية في رفض هذا الكلام أو في جعله مبدأ مبدعا لعمله •

وفى مجال الفنون ، ألا يتجه الشعر الأسلامى الحالى الى ملاقاة أولئك الذين يعيشون على أمل ابداع فن يحمل الى الصورة الانسانية شيئًا جديدا في فرنسا وفي الغرب؟

ولكى نتغلب على كافة العقبات التى تتعارض مع الحب والابداع والايمان ، هذه العقبات التى نشأت من طريقتنا الغربية فى السعى وراء النمو ومن التقافة الوصفية والتقنية التى تدعمها ، يستطيع هذا اللقاء مع الروح التبؤية أن يحيى ايمانا جديدا فى الابداع والحب لأن أعظم شاعر مسلم فى عصرنا هذا « محمد اقبال » قد قال : « ان هدف القرآن الأساسى هو أن يحيى فى الانسان وعيا أسمى لعلاقاته العديدة مع الله والعالم » •

وهكذا أكد جارودى لعالمه الغربي أن مستقبل الحضارة مرهون بالأسلام دين الأمس واليوم والمستقبل ٠

البابالسابع

من الشك الى سكينة الايمان

يقول الامام محمد عبده في رسالة التوحيد :

« جاء القرآن الكريم فانتهج بالدين منهجا لم يقم عليه ما سبقه من الكتب المقدسة ، منهجا يمكن لأهل الزمن الذي أنزل فيه ، ولن يأتي بعدهم أن يقوموا عليه « فترك الاستدلال على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ، بما عهد الاستدلال به على النبوات السابقة ، وحصر الدليل في حال النبي ، مع نزول الكتاب عليه في شأن من البلاغة يعجز البلغاء عن محاكاته فيه ، ولو في أقصر سورة منه ، وتناول. من مقام الألوهية ما أذن الله لنا وما أوجب علينا أن معلم •

لكن لم يطلب التسليم به لمجرد أنه جاء بحكايته ، ادعى وبرهن ، وحكى مذاهب المخالفين ، وكر عليها بالمجة ، وخاطب العقل ، واستنهض الفكر ، وعرض نظام الأكوان وما فيها من الأحكام والاتقان على أنظار العقول ، وطائبها بالامعان فيها ، لتصل بذلك الى اليقين بصحة ما قاله ودعا اليه ، حتى أنه في سياق أحوال السابقين كان يقرر أن للخليقة سنة لا تتغير وقاعدة لا تتبدل فقال :

(سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) • « الفتح : ٢٣ »

وصرح: (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) • « الرعد: ١١ » واعتضد بالدليل حتى في باب الأدب ، فقال : (جارودى) (ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) . « ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) .

وقد تآخى العقل والدين لأولمرة فى كتاب مقدس على لسان بي مرسل بتصريح لا يقبل التأويل عوتقرر بين المسلمين كافة _ الا من لا ثقة بعقله ولا بدينه _ ان من قضايا الدين ما لا يمكن الاعتقاد به الا عن طريق العقل ، كالعلم بوجود الله وبقدرته على ارسال الرسل ، وعلمه بما يوحى به اليهم ، وارادته لاختصاصهم برسالته وما يتبع ذلك مما يتوقف عليه فهم معنى الرسالة ، وكالتصديق بالرسالة نفسها ، كما أجمعوا على أن الدين أن جاء بشىء قد يعلو على الفهم فلا يمكن أن يأتى بما يستحيل عند العقل » (۱) •

وليس من شك في أن الاسلام هو الدين الوحيد الذي نادى بسلطان العقل ، وجاهر بسيادة العلم ، فسمع الناس لأول مرة في تاريخ الأديان كلمات : تفكير ، و « نظر » و « برهان » و « تبعة شخصية » و « بطلان للتقليد » • وكان الناس قد اعتادوا بعد طول مقام على الاعتقد للا برهان ، والتقليد لعير معصوم ، للدخول في دور الرشد والاستقلال الذاتي عن الأوصياء والقادة والمتحكمين في دور نفسياتهم وعقلياتهم ، فأرسل الله محمدا بالاسلام لافتتاح هذا العهد الكريم ، والنداء بالدين العام الخالد ، فكان أول شيء وجه اليه عنايته تحطيم القواعد التي يقوم عليها التدين في مرحلة الجهل وهي التقليد الأعمى ، واهمال النظر الشخصي واغفال التفكير الحر ، ومنابذة العلم ، الا ما كان منه موافقا للدين في نظرهم ، ومؤيدا لسلطان المتحكمين في ارادات الناس وعقولهم ، فأهاب نظرهم ، ومؤيدا لسلطان المتحكمين في ارادات الناس وعقولهم ، فأهاب والتفكير ، وتطلب البرهان ، واشتد في هذه الدعوة الي حد أنه لو أحصى ما جاء في انقران الكريم من قوله تعالى : (أفلا تعقلون) (لعلهم ما جاء في انقران الكريم من قوله تعالى : (أفلا تعقلون) (إفلا تذكرون) • • الخ ، لتعدت العشرات • ولو أضيفت اليها بينفكرون) (أفلا تذكرون) • • الخ ، لتعدت العشرات • ولو أضيفت اليها بينفكرون) (أفلا تذكرون) • • الخ ، لتعدت العشرات • ولو أضيفت اليها بينفكرون) (أفلا تذكرون) • • الخ ، لتعدت العشرات • ولو أضيفت اليها بينا به المناه المناه به المناه المن

⁽١) محمد عده : رسالة التوحيد ، ص ١٩ ٠

الآيات التى تطالب الناس متنبيه قواهم العقلية ، ورفض ما لا يعززه برهان ، وترك كل نا لا يؤيده علم ، ونبذ التقليد للآباء (الخ) لبلغت فان القرآن كله قائم على هذه الأصول ويدعو لها ع حتى ليتجلى لن يتلوه أنه ازاء دعوة للعقل والتفكير لا شبيه لها في تاريخ القرون الماضية ، بقصد أحداث بناء جديد يوافق العقل والعلم (١) .

وفى العصر الحديث انتصر المنهج السلفي على يد الامام محمد بن عبد الوهاب ، للاجتهاد ، حيث ذهب الى أن باب الاجتهاد مفتوح لن كملت له العدة ، ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فوض بعض صحبه في أن يجتهد في حضوره أو غيابه ، وحث على الاجتهاد حيث قال : « اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، واذا اجتهد وأخطأ فله أجر » : أي وعد المجتهد بالثواب سواء أأخطأ أم أصاب ! والامام محمد بن عبد الوهاب يرى بنب الاجتهاد مفتوحا على الدوام ، فالامام أحمد يستدل على ذلك بقوله : صنى الله عليه وسلم : « لا تزال طائفة من أمتى على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك» ، ولئن فهم التقليد قبل بلوغ الحجة ـ لن يفهم التقليد ممن بلغته ، لأنه عندئذ يكون ممن قال تعالى فيهم في سورة التوبة : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباب من دون الله) .

والامام محمد بن عبد الوهاب يصنع صنيع ابن تيمية ويأخذ بمذهب ابن حنبل لا فاذا لم يقتنع بحث مى غيره من مذاهب أهل السنة وأخذ بما يسعفه الدليل و وان كانت سعة المذهب الحنبلى تسعفه حتى فيما قال النه رجع فيه الى عموم الأدلة (٢) و واذلك يذهب الدارسون الى أن المنتج السلفى أعاد الفكر الاسلامى الى صفاته من تخليط الحشويين المنتج السلفى أعاد الفكر الاسلامى الى صفاته من تخليط الحشويين وهدم الأفكار الباطنية والدعاوى الغيبية والخرافات الدينية والانحرافات التي تصيب الفكر بالشلل والمجتمع بالتخبط والارادة الفردية بالغيبوبة

⁽۱) محمد غريد وجدى : الاسلام دين الهداية والاصلاح ، ص ٣٠٠ . (٢) عبد الحليم الجندى : الامام محمد بن عبد الوهاب أو انتصار المنهج السلفى ، ص ١٣٦٠ .

الكاملة أو الناقصة • كما واجه المنهج السلفى تحديات العصر بمنهج علمي يحارب عدوين للأمة (١):

الأول: عدو لها من نفسها هو انعدام ااثقة في نفسها والاستكانة أمام الطغاة ، والتراكل في انتظار السماء أن تمطر الذهب والفضية ، أو أن يسقط عليها لأولياء والشفعاء أو الشياطين النعمة أو النقمة أو اللقمة .

والآخر: عدو لها من خارجها _ تردها جيوشه ، كلما رفعت رأسها الى مجتمع الخرافات والغيبيات ، وتفرض عليها الشحناء والشقاق كهيئة ما فرض هذا العدو نفسه بالسلاح تعاطى الأفيون على شعوب الصين .

ولذلك غدت أقرب سير السلف في تجديد الفكر الاسلامي هي سيرة ، ابن تيمية وابى القيم وابن عبد الوهاب ، واجماعهم على ايجاب الاجتهاد وذم التقليد ، والتفكير بحرية مبتدئين بالقرآن والسنة ، ومنتهين اليهما ، وما هو الا منهج السلف الصالح ، اذ يأخذ العلم من مصادره وينتفع بنعمة العقل الذي ميزنا الله به ، وأمرنا باستعماله ، والاعتبار بواقع الكون وعجائبه التي أمكننا الله منها وأظهرنا عليها ، وأمرنا بالنظر فيها بحرية واستخلاص الدلالة منها بأمانة تقطع بوجوده سبحانه وتعالى • وعلى هذه القواعد _ النزاهة والواقعية والأخذ بما هو محسوس وارتباط المعلول بالعلة _ يجرى الاستخلاص في سائر العلوم _ وهذا هو المنهج العلمي الذي أمر به القرآن وعلمته السنة •

يقول الشافعى فى « رسالة الأصول »: « وليس لأحد أبدا أن يقول فى شىء حل ولا حرم الا من جهة العلم • وجهة العلم الخبر فى الكتاب أو السنة أو الاجماع أو القياس » •

وفريضة التفكير في القرآن انكريم تشمل العقل الانساني بكل ما احتواه من هذه الوظائف بجميع خصائصها ومداولاتها • فهو يخاطب

⁽١) نفس المرجع ، ص ٢٠٠٠ .

العقل الوازع والعقل المدرك والعقل الحكيم والعقل الرشيد ، ولا يذكر العقل عرضا مقتضبا بل يذكره مقصودا مفصلا على نحو لا نظير له فى كتاب من كتب الأديان •

فمن خطابه الى العقل عامة _ ومنه ما ينطوى على العقل الوازع _ قوله تعالى في سورة البقرة : الآية ١٦٤ :

(أن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) •

ومنه في سورة المؤمنون : الآية ٨٠ :

(وهو الذي يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون) ٠

ومنه في سورة الروم : الآيات من ٢٥ الى ٢٨ :

(ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم انا دعاكم دعوة من الأرض اذا أنتم تخرجون وله من في السموات والأرض كل له قانتون وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المشل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم وضرب ليم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الأيات لقوم يعقلون) •

ومنه في سورة العنكبوت : الآية ٤٣ :

(وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) •

ومنه ما بخاطب المعقل وبالذات المعقل الوازع كقوله تعالى في سورة الملك : الآية ١٠ :

(وقالوا أو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) •

وغي سورة الأنعام : الآية ١٥١ :

(ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون) •

ومنه بعد بيان حق المطلقات في سورة البقرة : الآية ٢٤٢ :

(كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون » •

ومنه في سورة يوسف : الآية ١٠٩ :

(وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى أغلم يسبروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم والدار الآخرة خير للذين اتقوا أغلا تعقلون) •

ومنه في سورة الحشر الآية ١٤ ، بيانا لأسباب الشقاق والتدابر بين الأمم:

(تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى بأنهم قوم لا يعقلون) •

وهذا عدا الآيات الكثيرة التي تبتدىء بالزجر وتنتهى الى التذكير بالعقل ، لأنه خير مرجع للهداية في ضمير الانسان ، كقوله تعالى في سورة البقرة : الآية ٤٤ •

(أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) •

ان المزية الواضحة من مزايا القرآن الكتيرة _ كما يقول العقاد _ هى التنويه بالعقل والتعويل عنيه في أمر العقيدة وأمر التبعة والتكليف • • ففى كتب الأديان الكبرى اشارات صريحة أو مضمونة الى العقل أو اللي

التمبيز ، ولكتها تأتى عرضا غير مقصودة وقد يلمح فيها القارىء بعض الأحابين شيئا من الزراية بالعقل أو التحذير منه ، ، لأنه مزلة العقائد وباب من أبواب الدعوى والانكار ، ولكن القرآن الكريم لا يذكر العقل الا في مقام التعظيم والتنبيه الى وجوب العمل به والرجوع اليه ولا تأتى الاثمارة اليه عارضة ولا مقتضبة في سينق الآية ، بل هي تأتى في كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة ، وتتكرر في كل معرض من معارض الأمر والنهي التي يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله أو يلام فيها المنكر على اهمال عقله وقبول الحجر عليه ، ولا يأتى تكرار الاشارة الى العقل بمعنى واحد من معانيه التي يشرحها النفسانيون من أصحاب الى العقل بمعنى واحد من معانيه التي يشرحها النفسانيون من أصحاب العلم الحديثة ، بل هي تشمل وظائف الانسان العقلية على اختلف الوازع أعمالها وخصائصها وتتعمد التفرقة بين هذه الوظائف والخصائص في مواطن الخطاب ومناسباته فلا ينحصر خطاب العقل في العقل الوازع ولا في العقل الذي يناط به التأمل الصادق والحكم ولا في العقل الذي يناط به التأمل الصادق والحكم الصحيح ع بل يعم الخطاب في الآيات القرآنية كل ما يتسم له الذهن الانساني من خاصة أو وظيفة » (۱) ،

ويمثل جارودى عبقرية الفكر الاسلامى خير تمثيل ، متمثلا خطاب القرآن الكريم الى ذوى الألباب _ أصحاب العقل المدرك الفاهم ، معدن الادراك والفهم فى دهن الانسان كما يدل عليه اسمه باللغة العربية ٠٠

(والراسفون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الألباب) .

« سورة آل عمران ٧ »

(قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولى الألباب لعلكم تفلحون) •

« سورة المائدة : ١٠٠ »

⁽١) العدّاد : التفكير فريضة اسلامية ، ص ٦ ٠

(الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) •

« سورة الزمر : ۱۸ »

(قد كان في قصصهم عبرة لأولى الأاباب) .

« سورة يوسف : ۱۱۱ »

(يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا أولوا الألباب) •

« سورة البقرة ٢٦٩ »

(وتزودو! غان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب) • «سورة البقرة ١٩٧ »

(ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون) • « سورة البقرة ١٧٩ »

ومن هذه الآيات نتبين كما يقول العقاد « أن اللب الذى يخاطبه القرآن الكريم وظيفته عقلية تحيط بالعقل الوازع والعقل المدرك والعقل الذى يتلقى الحكمة ويتعظ بالذكر والذكرى ، وخطابه خطاب لأناس من العفلاء لهم نصيب من الفهم والوعى أوفر من نصيب العقل الذى يكف صاحبه عن المسوء ولا يرتقى الى منزلة المرسوخ فى العلم والتمييز بين الطيب والخبيث والتمييز بين المسن والأحسن فى القول ٠٠

أما العقل الذى بفكر ويستخلص من تنكيره زبدة الرأى والروية . فالقرآن الكريم يعبر عنه بكلمات متعددة تشترك في المعنى أحيانا وينفرد بعضها بمعناه على حسب السياق في أحيان أخرى • فهو الفكر والنظر والبصر والتدبر والاعتبار والذكر والعلم وسائر هذه الملكات الذهنية التي

تتفق أحيانا في المدلول ولكنها لا تستفاد من كلمة واحدة تغنى عن سائر الكلمات الأخرى » (١) •

(ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) •

« سورة البقرة ٢١٩ »

(الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعنى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض) •

« سورة آل عمران ۱۹۱ »

(قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون) • «سورة الأنعام ٥٠ »

(ينبت لكم به الزرع والزيتون والاغيل والأعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون) •

«سور النحل ۱۱»

(أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق) •

« سورة الروم ۸ »

(أنظر كيف نصرف الآيام لعلهم يفقهون) • «سورة الأنعام ٥٠»

(أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء) * « سورة الأعراف ١٨٥ »

⁽١) العقاد: المرجع السابق ، ص ١١ ٠

(قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) •

« سورة يونس ۱۰۱ »

(أغلم ينظروا الى السماء غوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من غروج) ٠

« سورة ق ۲ »

(أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) .

« سورة الغاشية ١٧ »

(من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون) • « سورة القصص ٧٢ »

(أو لم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكلنا منه أنعامهم وانفسهم أفلا يبصرون) •

« سورة السجدة ۹۷ »

(والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لأولى الأبصار) •

« سبورة آل عمران ۱۳ »

(أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين) •

« سورة المؤمنون ٦٨ »

(كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته) .

« سورة ص ۲۹ »

﴿ أَمْلًا يَتَدْبِرُونَ القرآنِ أَمْ عَلَى قَلُوبِ أَقْفَالُهَا ﴾ •

لا سورة محمد ٢٤ ٧

(فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار) • « سورة الحشر ٢ »

(ويبين آباته للناس لعلهم يتذكرون) • « سورة البقرة ٢٢١ »

(وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون) • « سورة الأنعام ١٢٦ »

(أنمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى انما يتذكر أولوا الألباب) •

« سورة الرعد ١٩ »

(وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه ان في ذلك لآية لقوم يذكرون) • « سورة النحل ١٣ »

(أو يذكر فتنفعه الذكرى) •

« سورة عبس ٤ ١

(غاساً لوا أهل الذكر ان كتتم لا تعلمون) • « سورة النحل ٤٣ »

(ولقد آتبنا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر الناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون) •

« سورة القصص ٤٣ »

(ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) • سورة البقرة ١٥١ » (قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال أن الله اصطفاء عليكم وزاده بسطة في العلم) • « سورة البقرة ٢٤٧ »

(وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون » •

« سورة الأنعام ٩٧ »

(قل هل يستوى الذين يعلمون والذبن لا يعلمون) • « سورة الزمر ٩ »

(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) •

« سورة المجادلة ١١ »

(هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون) ٠٠

« سورة يونس ٥ »

(قال له موسى هل اتبعث على أن تعلمن مما علمت رشدا » • (قال له موسى هل اتبعث على أن تعلمن مما علمت رشدا » •

(خلق الانسان علمه البيان) •

« سورة الرحمن ٢ »

(الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم) . « سورة العلق ٥ »

(وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الألباب) •

« سورة آل عمران ٧ »

بهذه الآيات وما جرى مجراها تقررت ولا جرم كما يقول العقاد : لا فريضة التفكير في الاسلام الاوتبين منها أن العقل الذي يخاطبه الاسلام هو العقل الذي يعصم الضمير ويدرك الحقائق ويميز بين الأمور ويوازن بين الأضداد وبتبصر ويتدبر ويحسن الاذكار والرواية ، وانه هو العقل الذي يقابله الجمود والعنت والضلال وليس بالعقل الذي قصاراه من الادراك انه يقابل الجنون ، فإن الجنون يسقط التكليف في جميع الأديان والشرائع وفي كل عرف وسنة ، ولكن الجمود والعنت والضلال غير مسقطة للتكليف في الاسلام ، وليس لأحد أن يعتذر بها كما يعتذر للمجنون بجنونه ، فإنها لا تدفع الملامة ولا تمنع المؤاخذة بالتقصير . و التمنع المؤاخذة بالتقصير . و المناه المنون على المناه الله المناه ولا تمنع المؤاخذة بالتقصير . و المناه ولا تمنع المؤاخذة بالتقرير و المناه ولا تمنع المؤاخذة بالتقرير و المناه ولا تمنع المؤاخذة بالتوريد و المناه و ا

ويندب الاسلام من يدين به الى مرتبة فى التفكير أعلى من هذه المرتبة التى تدفع عنه الملامة أو تمنع عنه المؤاخذة و فيستحب له أن يبلغه بحكمته ورشده ، ويبدو فضل الحكمة والرشد على مجرد التعقل والفهم من آيات متعددة فى الكتاب الكريم يدل عليها قوله تعالى:

(ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا) . ﴿ البقرة ٢٦٩ ﴾

ويدل علبها أن الأنبياء يطلبون الرشد ويبتغون علما به من عباد الله الصالحين ، كما جاء في قصة موسى وأستاذه عليهما السلام ٠٠

والذى ينبغى أن نثوب اليه مرة بعد مرة أن التنويه بالعقل على اختلاف خصائصه لم يأت فى القرآن عرضا ولا نردد فيه كثيرا من قبيل التكرار المعاد • بل كان هذا التنويه بالعقل نتيجة منتظرة يستلزمها لباب الدين وجوهره ويترقبها من هذا الدين كل من عرف كنهه وعرف كنه الانسان فى تقديره • •

غالدين الاسلامي دين لا يعرف الكهانة ولا يتوسط فيه السدنة

والأحبار بين المظوق والخالق ، ولا يفرض على الانسان قربانا يسعى به الى المحراب بشفاعة من ولى متسلط أو صاحب قداسة مطاعة ، فلا ترجمان فيه بين الله وعباده يملك التحريم والتحليل ويقضى بالحرمان أو بالنجاة ، فليس في هذا الدين اذن من أمر يتجه الي الانسان من طريق الكهان ، ولن يتجه المخطاب اذن الا الى عقل الانسان حرا طليقا من سلطان الهياكل ولن يتجه المخطاب اذن الا الى عقل الانسان حرا طليقا من سلطان الهياكل ولدريب أو سلطان كهانها المحكمين فيها بامر الاله المعبود فيما يدين به أصحاب العبادات الأخرى ٥٠٠ (١) ٠

﴿ فَأَيْنُمَا نُولُوا فَتُمْ وَجِهُ اللهُ ﴾ :

وبهذه الفريضة الاسلامية _ فريضة التفكير _ اهتدى جارودى الى الاسلام ، الذى يقول عنه انه « هذا الدين الذى عرف بالتفرد والنوحيد » ذلك أن نظرية المعرفة الاسلامية _ كما يقول جارودى : « لا تفصل بين انتامل والعمل ولا تفصل بين ذات انفرد من الداخل أو الخارج » •

ويقترب جارودى فى منهجه الاسلامى فى التفكير من منهج محمد القبال عديث يؤكد جارودى على خاصية التوازن « بين الجهاد الأكبر بهاد النفس الداخلى الذى يناهض كل الغرائز والشرور والرغبات التى تنحرف بالانسان عن طريقه المستقيم والجهاد الأصغر ، من حيث العمل الدائب من أجل وحدة الأمة الاسلامية وصلابتها » • •

ويذهب جارودى المى أن الأزمة المقيقة التى تواجه التاريخ تكمن فى أن الغرب صنع السدود ، دون فهم ودراسة أسس وتعاليم الدين الاسلامى »دلك أن الغرب — كما يقول جارودى قد توقف عند المسيحيه ورفض أن يسير مع منطق التاريخ حتى من انناحية العملية والعلمية ، فهاجم الغربيين الاسلام ، وحاول علماء الغرب أن يتستروا بستار الكلمات البراقة والخداعة مثل : حرية البحث ٠٠ قداسة العلم ، مكانة المناهج العلمية ٠٠ وذنك على الرغم من أن القرآن الكريم قد أكد فى اكثر من موضع أن المنه سبحانه وتعالى قد أرسل اكل أمة رسولا ٠٠ قال تعالى :

⁽١) العقاد: المرجع السابق ، ص ١٦ .

(وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فأحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) •

« سورة المائدة : ٤٨ ١

ويوضح جارودى منهج الهداية الى الله في العالم الأوربي بخاصة : حين يقول :

« يجب أن ندرس كل الأديان أولا : ثم من خلال التجارب والشهود نتعرف على وجهات النظر والأسس المناسبة لكل عصر » ثم يخلص من هذا المنهج الى أن « الدين الاسلامى ، هو دين الايمان ، دين التوحيد ، دين الأمة الذي احتوى على أنجح الحلول لعصرنا هذا » •

وحينما يذهب جارودى الى ذلك ، فانما يذهب اليه بعد استقراء علمى المضارات ، انتهى منه الى أن « أهم ما تتصف به حضارتنا اليوم ، هو المتباسها للأسلوب الغربى العقيم ، ذى الثقافة المنبتة ، التى تدفع بالفرد الى الانفصال والانفصام عن المجتمع ، و لقد ضاعت من الغرب عقيدة انتوحيد ، والفرد الغربى الآن يعيش من غير روابط تصله بالله ، ومن غير وشائح تربطه بالمجتمع أو الطبيعة التي يعيش فيها ، لقد اعتقد الانسان الغربى بثقافته الناقصة أنه يمتلك الطبيعة ويسيطر على زمامها ، وأن هذه الطبيعة هى المفزن الماص به الذى يستهلك منه ما يريد لصالح فرديته ، وسابيته التي يعيش في سياجها ، ومن ثم أصبحت الطبيعة اليوم مجرد صندوق قمامة للفرد ، وبل ان المسيحية الأولى بمبادئها وأخلاقها والثنائية اليونانية وتتجه نحو النظم الرأسمالية الاستعمارية ، ولم تساعد والثنائية اليونانية وتتجه نحو النظم الرأسمالية الاستعمارية ، ولم تساعد الفرد في ذلك الحين وحتى يومنا هذا على فهم الطبيعة والتناغم معها ، الم تساعد الفرد على فهم مشكلاته وايجاد الحلول اللازمة لها ، ولمواجهة

الطبيعة التى يعيش فيها ١٠ نقد ضاع الحب كما ضاعت (المحبة » المسيحية التى نادى بها المسيح عليه السلام عند ظهوره ، وحلت محلها أنظمة بالية تحكمها انفردية الأنانية ، وغرق الناس فى بحر من أوهام البحوث العلمية التى تحطم الطبيعة التى خلقها الله تعالى للانسان لكى يحافظ عليها وايس ليهدمها ويجعلها صندوتا لاقمامة ٠٠ » ٠

بهذا المنهج النقدى في الاهتداء الى الله ، يواصل جارودى « نقد » الحضارة المعاصرة وما تضمنته من « بدائل » مبتورة تحاول بها تعويض ما تفتقده من روح الايمان الحقيقي •

يقول جارودى في كتابه القيم حول تحليل الاسلام ، أنه ليس هناك أمة تحمل كلمة الله بصدق الا الأمة الاسلامية ، وليس هناك كتاب يمثل كلمة الله الا أغرآن الكريم ، لأن الكتب التي سبقته ضاعت وحرفت ولم يبق سوى انترآن الذي يمثل كلمة الله مع فالقرآن دين ودنيا مع لقد وجد الحلول اشاكل الانسان ، حلولا اقتصادية قانونية وتشريعية مع أيضا وضع الأسس الأولى للسياسة العالمية .

في المجال الاقتصادى: قرر الدين الاسلامى العمل ١٠ البحث ١٠ التجارة والزراعة ١٠ وأتاح لكل فرد حرية الكسب والعمل ١٠ ولكن بجانب ذلك يجب على الفرد آلا ينسى أنه لا يملك شيئا امتلاكا مطلقا ، فالملك لله وحده ١٠ ومن هنا عثر ف ركن هام من أركان الاسلام الخمسة وهو الزكاة ١٠ الذى يفرض على الفرد أن يسدد نسبة من دخله سواء للدولة أو لمن يستحق هذا القدر المحدد من المال ١٠ نسبة حددها الاسلام ليست فقط على الربح وانما على رأس المال أيضا ، ويؤكد الفيلسوف الفرنسى المسلم أن الزكاة هى الأصل ونواة فكرة نظام « التأمين الاجتماعى » الذى يعرف الدين الاسلامى فكرة الاحتكار أو النظام الاحتكارى وسوء استخدام يعرف الدين الاسلامى فكرة الاحتكار أو النظام الاحتكارى وسوء استخدام حق الامتلاك انذى عرف بصورة متطرفة في الحضارتين الرومانية والفارسية ١٠ فالاسلام بالرغم من أنه اعترف بأحقية الملكية الفردية الا أنه

إغتبرها في نفس الوقت « عملا اجتماعيا » منظما وليس أنانية وحبا للذات و تخريبا في اعتصاد الأمة •

الاسلام عرف أيضا من خلال فتوحانه الشهيرة ومعاركه بأنه ليس له أي أغراض استعمارية توسعية واستغلالية ٥٠ فقد كان الغرض من الفتوحات الاسلامية ارساء وتعميق العقيدة الاسلامية ونشر رسالة الله وليس استغلال هذه الأراضى والسيطرة أو الاستيلاء عليها ٠

وكما أن ألملك الله وحده — في الدين الاسلامي — فالله هو المشرع الأول وصاحب القانون العام الخالد ٥٠ والاسلام كدين ودنيا وضع الأسس الأولى للتشريعات المناسبة لكل أمة ٥٠ فالفرد في الاسلام له حقوق وعليه واجبات وللفرد في الاسلام الحق في الحرية والمساواة ٥٠ هذه المبادئ التي تحاول الآن أوربا أن تطبقها في قوانينها الدنيوية و والدليل على ذلك أن المرأة في الاسلام ، حصلت على المساواة الاجتماعية ٥٠ الميراث ٥٠ الملكية الشخصية وأيضا لها — مثل الرجل تماما — الحق في طلب الطلاق ألمكية الشخصية وأيضا لها — مثل الرجل تماما الموربية والعربية بصفة عامة ، سواء عن طريق القوانين الوضعية أو من خلال الديانات السابقة ٥٠ فالمرأة المسلمة امرأة مستقلة ماديا عن الرجل ولا فرق بينهما الا بالتقوى ٥٠ فالمرأة المسلمة امرأة مستقلة ماديا عن الرجل ولا فرق بينهما الا بالتقوى ٥٠

وكما أتاح الدين الاسلامي تعدد الزوجات أباح الطلاق ، سواء من جانب المرأة أو من جانب الرجل ، لأنه لا حياة بين زوجين لا يربطهما التوافق والتفاهم والود والاحترام ، وان كان « أبغض الحلال عند ألله الطلاق » هذا الحق الذي منحه الدين الاسلامي للمرأة المسلمة ما زالت الأوربية تعانى من عدم تطبيقه في أي قانون مدنى أو شرعى ، لذلك نتجه اتجاهات أخرى لا يرضى بها أي دين سماوي ، ويدلل جارودي على هذا الانحلال والانحراف السائد في العرب بأنه ينعكس في الأدب الغربي منذ العصور الوسطى الذي يدور حول فكرة الارتباط والعواطف غير الشرعية التي تربط بين أبطال هذه القصص الأدبية العالمية والتي ينتشر بصورة رهيبة في المجتمعات الغربية ،

وفى كتابه الشهير « وعود الاسلام » يقرر جارودى فى المقدمة أن « الغرب ليس سوى حدث طارى ، معافته شاذة ، مثقافة ناقصة ، مبتورة ، و لا جوهر ولا أسس _ فمنذ قرون طويلة يدعى الغرب أن تاريخه وثقافته مستمدة أو موروثة عن المضارتين اليونانية والرومانية وعن حضارتى اليهودية والسيحية » ،

ويلخص جارودى منى موقفه النقدى من الأرث الأوربى ، مراحل الصراع الفكرى التى مضت على التفكير الأوربي منذ القرن الرابع عشر الى الآن ، وهي المراحل التي شهدت اتجاهات عقلية مختلفة تدور حول « تبرير » مصادر المعرفة التي عرفتها البشرية في تاريخها حتى الوقت الماضر ، وهي الدين والعقل ، والمس ، أو الواقع ، وفي كل مرحلة من هذه المراحل ينشأ سؤال عن « قيمة أي واحد من هذه الثلاثة - كمصدر المعرفة المؤكنة أو اليقينية ، ثم يكون الجواب على هذا السؤال ايجابا أو سلبا • ومن السؤال وما يدور • • حوله من جدل وأخذ ورد تكونت المذاهب الفلسفية التي تعبر عن قيمة المصدر الذي وضع للاختبار والتقرير • ويذهب جارودي في نقد الارث الأوربي ، الى أن « أسطورة المعجزة اليونانية ، قد ظهرت وعرفت على الرغم من انشقاقها عن الحضارات الكبرى ٥٠ لقد انفصلت تماما وجذريا عن الحضارات الشرقية التي عرفت في آسيا الصغرى ٠٠ بلاد فارس ١٠ الحضارة الهندية ١٠ كما رفضت هذه الأسطورة اليونانية الانتماء الى الحضارة الممية القديمة التى عرفت بتقدمها العلمى الكبير ورؤياها العميقة التى سحرت ألباب فيثاغورس وأفلاطون وغيرهم من أساطين الفكر اليوناني » ثم يضيف جارودي قائلا:

« لقد ولدت الثقافة مرة أخرى في الاسكندرية ٥٠ في نفس الوقت الذي المتفت في روما العاصمة الرومانية ٥٠ ذلك أن معظم تيارات الفكر جاءت من المشرق والتقت في الاسكندرية وولدت علوم الفلك والرياضيات ٥ فالثقافة اليونانية ، ثقافة ناقصة ، منبتة عن حضارات الشرق ، ولذلك تأخرت الثقافية اليونانية وأصبحت شاذة وفردية نتيجة لجهلها بالثقافات

الشرقية • • هذا الرفض الجاهل توارثته الأجيال من بعد ذلك ولم تبحث عن الجوهر والمضمون السليم » (١) •

ويضيف جارودى الى ذلك الثقافة البهودية ، فيقول بتعبيره هو أيضا :

« نفس الاتجاه والجهل بالحضارات العريقة انتهجته الثقافة اليهودية و التي أصبحت بدورها ثقافة ناقصة منبتة كذلك و لقد تجاهلت هي الأخرى الحضارة المصرية القديمة الخصبة ولم تحمل في أعطافها ترياق المثقافة أو العلم الموروث من عصر المصريين القدماء و عنى فكرة « التوحيد » التي نادى بها « اختاتون » في عصره لم يلتفت اليها في الثقافة اليهودية » و

ويذهب جارودى الى أن « المسيحية التي لم تولد هي الأخرى في أوربا _ القارة الوحيدة التي لم ينبع منها أى دين من الأديان السماوية الكبرى _ تناست أن بذور الحضارات وأصولها الثابتة نبعت من الشرق • • لقد نزلت الأديان السماوية الثلاثة الكبرى في آسيا وأفريقيا • • المنابع الشرقية • • وعلى الرغم من ذلك تجاهلت المسيحية الأوربية هذه المنابع وأصبحت ثقاهتها وحضارتها ناقصة منبتة الجذور » •

ويؤكد جرودى أن لا المسيحية الأوربية أرادت أن يكون الذهب الكاثوليكي هو المذهب العالمي ، لذلك ابتعدت قدر الامكان عن كل حضارة شرقية تتضمن في أعطافها الأصول الثقافية ، فارتبطت المسيحية الأوربية فقط بالثقافة اليونانية الرومانية ، عنى الرغم من ثراء الثقافة الافريقية على سبيل المثال _ ثراء خصبا كان من المكن أن يعمل على تعميق الثقافة المسيحية الأوربية ونقويتها ، ولكن المسيحية لأوربية وفضت هذه الثقافة الشرقية على الرغم من أن الكثيرين من الرهبان المسيحيين _ منذ القرن المادي عشر الميلادى _ تعرفوا في سوريا على الفلسفة الاسلامية والفكر الاسلامي .

⁽۱) جارودی: وعود الاسلام.

ويهذه الرؤيا النقدية عيكشف لنا جارودى عن حقيقة الفكر الأوربى المنبت ، حيث أراد هذا الفكر من المسجية : « الكثاكة » التى تعبر بدورها عن « البابوية » • والبابورية نظام كنسى ركز السلطة العليا باسم الله في يد البابا ، وقصر حق تفسير « الكتاب المقدس » على البابا وأعضاء مجلسه من الطبقة الروحية الكبرى حتى يظل الفكر بعيدا عن أى تيارات شرقية عوحتى يسوى الاعتبار بين نص الكتاب المقدس ومفاهيم الكنيسة الكاثوليكية ، فجعل عقيدة « التثليث » عقيدة أصيلة في المسيحية ، كما جعل « الاعتراف بالخطأ » و « ممكوك الغفران » من رسوم العبادة • • وغير ذلك مما يتصل بالكاثوليكية كمذهب وكنظام لاهوتى •

ويذهب جارودى الى أن هذه الثقافة المسيحية الأوروبية قد « تجاهلت كل ما بتعلق بالثقافات الأخرى النابعة من غيرها من القارات وبمنتهى ضيق الأفق تحولت السياسة العامة للكنيسة الى حروب قتالية صليبية دامية احاصرت منطقة البحر الأبيض المتوسط بمعارك طاحنة لمدة قرنين من الزمان في فلسطين • ومعارك قاتلة في الأندلس استمرت سبعة قرون من الزمان ، وهي البلاد التي استقبلت الفتوحات الاسلامية في أسبائيا واعتبرتها فتوحات التحرير ، وأصبحت بعدها المصدر الثقافي المشرق لأوربا كلها » (١) •

ولقد لعب اليهود دور كبيرا في الحروب الصليبية ، كما لعبت الكنيسة الانجليزية والغرب دورا كبيرا في اقامة اسرائيل ، ويؤكد جارودي — أن اليهود كانوا من وراء الصلبيين وكانوا من الأسباب الخفية التي دفعت بالصليبيين لغزو البلاد المقدسة وقد اتخذ اليهود المال وسسيلة لهم ، فأخفوا مشاءرهم الدينية والوطنية خلف المال ، اذ كانوا يمثلون أغنى مراكز التجارة على الساحل الشمالي للبحر المتوسط فساعدوا الصليبين ليقوموا بهذه المؤامرات باسم الصليب ، ولكن الشعار اليهودي كان في المحقيقة أقوى من الصليب وأقوى من المال ، وأما الدور الذي لعبته الكنيسة الانجليزية في خدمة اليهود فيوضحه وايزمان في مذكراته بقوله :

⁽۱) جارودى: للرجع السابق .

« والقارىء أن يسأل ما هى أسباب حماسة الانجليز لمساعدة اليهود وشدة عطفهم على أمانى اليهود فى فلسطين ؟ والجواب عن ذلك أن الانجليز لا سبما من كان منهم من المدرسة القديمة ــ هم أشد الناس تأثرا بالتوراة وهذا هو الذى دفع الانجليز ليساعدونا فى تحقيق آمالنا: وقد قدمت الكنيسة الانجليزية فى هذه الناحية أكبر المساعدات » •

أما الدور الذي بعبه الغرب في الحائنين فهو دور واضح تماما ، ذلك أن ملوك الغرب أنفسهم اشتركوا في الصراع والعدوان ضد المسلمين وبعضهم قاد المحروب الصليبية على الرغم من الكنيسة ، مما نقل الحرب الى عدوان مسلح لا صلة للدين به بل كان موقف الكنيسة موقفا مضادا للملوك في بعض الأحيان ، وكما ساعد الغرب الصليبيين فانه ساعد البهود مساعدة واضحة ليقيم لهم دولة بفلسطين (۱) •

ان الحروب الصليبية ــ كما يقول المؤرخون ــ تمثل فصلا متوسطا من فصول تلك القصة الطويلة ، قصة الخلاف بين الشرق والغرب ، مبتدأة بحروب طرواده وفارس في الأزمنة الغابرة ، ومنتهية بالتوسيع الاستعماري الأوربي في العصر الحديث ، فهذه الحروب حلقة من هذه السلسة ، وقد شنتها أوربا في هذه الجولة ليس على سوريا وآسيا الصغري فحسب ، بل على أسبانيا وصقلية أيضا .

ويذهب المؤرخون الى أن العداء الأوربى للاسلام من بين دوافع المروب الصليبية ، ذلك أن المسيحية تمد ترعرعت فى أوروبا وانتشرت من كنائسها وجامعاتها مع أن الشرق كان المهد المحقيقى لهذا الدين ، وكانت هناك أديان أخرى سبقت المسيحية أو عاصرتها أو جاعت بعدها ، وذلك مثل اليهودية والاسلام ، ولكن الاسلام كان الدين الوحيد الذى زحف بقوة جارفة حطمت الاستعمار الأوربى فى سوريا ومصر وشمالى أفريقيا ، ولم يكتف الاسلام بهذا بل اقتحم على أوربا أبوابها من الغرب عن طريق ولم يكتف الاسلام بهذا بل اقتحم على أوربا أبوابها من الغرب عن طريق الأندلس التي اعتبرها جارودى كما تقدم « المصدر الثقافي المشرق

⁽۱) د. احمد شلبي: الحروب الصلبية : ص ٠٠٠٠٠

لأوربا جميعها » ومن الشرق عن طريق القسطنطينية التي دق المسلمون أبوابها منذ انعهد الأموى ، وكان الاسلام غي الحالتين متجها نحو قلب أوربا ومتخذا حول البحر المتوسط حركة تشبه ما يسمى في الحرب الحديثة « بحركة الكماشية » (١) •

يقول جارودى :

« لقد رفض الغرب _ منذ ١٣ قرنا _ الارث الثالث: وهو « الميراث النعربى الاستلامى » الذى لم يكن سيرتفع فقط بثقافة الغرب الى ما هو أسمى من مستويات الثقافات الأخرى ، بل كان سيساعد هذه الثقافة الناقصة والمبتورة في التعرف على الأبعاد الالهية والانسانية التى فقدت من المغرب أثباء مراحل سيطرته الارادية على الطبيعة والانسان •

ولكن « لقد حان الوقت ٥٠ وناقوس الخطر يدق أجراسه ٥٠ لقد حان الوقت وأصبح الحوار بين الحضارات ضرورة مؤكدة وسريعة ٠

« والجدال الرئيسي والأساسي لن يكون الاختيار بين الرأسسمالية أو الاشتراكية • و لأن الرأسمالية هي مولد الاستعمار والحروب والأزمات المفتعلة ، والاشتراكية صورة أخرى من توسع الغرب ، توسع من نوع جديد أو استعمار استغلالي مثل الاشتراكية السوفيتية التي تحاول أن تفرض • و سيطرتها على دول العالم الثالث بصفة خاصة وتستغل ثرواته • فالنظامان الرأسمالية والاشتراكية ليسا سوى نوع من أنواع السباق في التسلح والسيطرة ونشر الخوف والفناء • •

انما الجدال الرئيسى أو البحث اللازم ... في عصرنا هذا ... هو الذي يضع الحلول الفعالة للاسطورة الانتحارية التي يفرضها الغرب بفكرتى « التقدم » و « النمو » ، هذه الأيديولوجيات التي تتصف بالانشقاق بين العلوم و الفنون من ناحية وبين الحكم من ناحية أخرى • • ان الفكر الغربي فصل بين مؤسسات الوسيلة والقوى من ناحية وبين التفكير العميق في

⁽١) نفسه ، ص ٨ ،

النهاية ومعنى الحياة التى نحياها ٥٠ هذا الأسلوب الانتحارى يجب أن نتفوق عليه ومتخلص منه ، ليحل مكانه أسلوب آخر يجمع بين فكرة لا التفوق » وفكرة لا الأمة » أى أن يعرف كل فرد منا أنه مسئول مسئولية كاملة عن المستقبل وكل فرد آخر غيره ٥٠ وأن يسخر عمله وكل الوسائل العلمية والفنية والاقتصادية والسياسية والثقافية لكل امرأة ورجل وطفل وأن يعطى كل الثروات الانسانية المبدعة التى بداخله بسخاء ودون تردد:

« بعيدا عن الفرص الضائعة خلال التاريخ الماضى ٥٠ بعيدا عن أبعاد الرجل الغربى الضائع ، يأتى واجبنا الذى يفرض اعادة الربط بين حضارات الشرق بالغرب واعادة الحوار بين هاتين الحضارتين لوضع نهاية حتمية لهذا الأسلوب الفردى والانتحارى الذى فرضه الغرب لعدة قرون مما جعل هناك عدة مآسى ٠ تكبر وتنمو مع تقدم الوقت ، مآساة مادية تعانى منها دول العالم الثالث ومآساة روحانية تعانى منها الدول الغربية لهذا يجب أن يبدأ حوار الحضارات حتى لا تتسع الهوة أكثر من ذلك ٠٠ يجب أن يعلم الغرب أن الوقت قد حان للاعتراف بحضارات أخرى غير الحضارة الغربية الناقصة والمبتورة ٠ ولا جدال أن الحضارة الاسلامية اليوم هى الطريق الوحيد المفتوح بعيدا عن هاوية الموت والفناء ٠٠

لا ولابد أن نعترف بالاسلام ونرد إله الجميل ٥٠ انه ليس فقط جزءا من التاريخ ٥٠ ان الاسلام ليس هواية معينة ٥٠ أو حلما ٥٠ أو مفارقة من من المفارقات ٥٠ ان الاسلام دين وعمل وجهاد ٥٠ فيه يكمن مستقبل الانسانية ٠

لقد أنقذ الأسلام من قبل تفتت وتدمير بعض الامبراطوريات القديمة في القرن السابع الميلادي وهو اليوم الدواء والعلاج الفعال للقلق الذي يسود العالم • • انه الاجابة السليمة والحقيقية على الأسئلة المطروحة من الحضارات انغربية والتي في طريقها الى الفناء والموت » •

هذا هو المضمون الذي تدور حوله كتب جارودي الاسلامية : الاسلام دين المستقبل ، حوار الحضارات ، وعود الاسلام ، وهو المضمون الذي

يقدم فيه جارودى من الاسلام الحلول انناجعة لمشكلات الغرب المعاصر والدول التى تدور فى فلكه ٠٠ وقد لاحظنا من خلال دراساتنا لهذه الكتب أن هناك أفكارا رئيسية تتكرر فيها ٠ ذك لأنه كمفكر يدور حول أفكار محورية فى الفكر الاسلامى ٠٠ يعالجها فى هذا الكتاب أو ذاك ليؤكد ما يريد أن يصل اليه من نتائج بالغة الأهمية سواء بالقياس للفكر الاسلامى أو لشكلات الانسان فى العالم بعامة والانسان الغربى بخاصة ، ومن هذه الأفكار التى يؤكد عليها ما يتضح فيما يلى ٠٠

□ « الاسلام هو بدون أدنى ثبك « دين » و « أمة » • • الاسلام عقيدة عميقة وأسلوب للحياة المثالية » •

□ «أن ظهور الاسلام وتوسعه من الجزيرة العربية بصفة عامة ومن مكة والمدينة بصفة خاصة • يطرح تساؤلا هاما عن اختيار هذا المكان • • من العبث أن تكون راجعة الى أن هذه المنطقة ملتقى الطرق التجارية عبر الشرق والغرب والشمال والجنوب ، لأن هذه الاجابة تقوى من الدين الاسلامي ولا تضعفه ، فاذا كان الاسلام هذا الدين أو الرسالة صعيفا كما يدعى الرغب لما كان قد فرض نفسه وهو في منطقة تلاقى العديد والكثير من الحضارات المارة والآتية من الشرق والغرب والشمال والجنوب • • لقد خرج الاسلام من مكة والمدينة من شبه الجزيرة العربية التي كانت في ذلك الوقت _ لا تضم الا الصحراء وبعض الواحات ليطل بنوره وشعاعه الديني والدنيوي على ثلاث قارات من الهند الى أسبانيا ومن السيا الوسطى الى قنب أفريقيا ، هذا الشعاع لم ينطقيء خلال قرون وحتى بومنا هذا • • مما يدل على أنه ايمان عميق • • وعقيدة خالدة ولدت منها بومنا هذا • • مما يدل على أنه ايمان عميق • • وعقيدة خالدة ولدت منها بومنا هذا • • مما يدل على أنه ايمان عميق • • وعقيدة خالدة ولدت منها بقافة خصبة مجددة للثقافات الأخرى •

هذا الانتشار والتوسع الاسلامي يختلف تماما عن التوسعات الأخرى التي سبقته أو جاءت من بعده • • التوسع الاسلامي يختلف تماما عن الهجرة من « آسيا » ويختلف عن هجرة الأوربيين الى أمريكا • • وأفريقيا ، هذه التوسعات التي فرضت نفسها بقوة السلاح والحروب الدامية ،

ان شبه الجزيرة العربية _ وقت ظهور الاسلام _ لم تكن محصنة بالأسلحة والفنون الحربية التي تفرض من خلالها مبدأ أو عقيدة ، مثل الامبراطوريات التي سبقت الاسلام أو جاءت من بعده ١٠٠ لقد انتشر الاسلام لأنه رسالة قوية وعقيدة راسخة وايمان بأن الله وحده هو مالك الكون وخالقه ، هذه الرسالة الدينية التي جاءت على لسان « محمد » عليه الصلاة والسلام احتوت في نفس الوقت على مضمون معنى « الأمة ، الواحدة التي تعيش في ظل راية الاسلام .

« اذا افترضنا أن هذه الرسالة أو الفكرة أو الدين ــ الكلمة أو اللفظ المناسب ــ لم تكن قوية في أصولها ومضمونها ، لما كانت قد انتشرت في قارات بعيدة عنها حتى بقوة السلاح ، كم من دول قامت وشدت امبراطوريات بقوتها القتالية وحاولت أن تستمر وتبقى على مدى العمر ، ولكن هذه الدول أو المبادىء انهارت ولم يبق منها سوى أطلال أو مجرد ذكرى عبر قصص التاريخ ٠٠ أما الاسلام فهو بختلف تماما عن باقى العقائد أو المبادىء ، لقد ذكرته الكتب السماوية التي سبقته وأكدت هذه الأدبان ظهور الأسلام وانتشاره ، أن الاسلام نبع للحياة ودين راسخ ، مستمر ، خالد ودائم أبد الدهر ،

ان الدين الاسلامى ، دين كل العصور وكل الأزمنة ، لأنه دين ودنيا • • والنبى محمد عليه الصلاة والسلام لم يأت بدين جديد انه استمرار للرسائل السماوية التى سبقته ، استمرار وتثبيت للعقيدة المخالدة التى عرفها ابراهيم عليه السلام • • فالاسلام امتداد لدين ابراهيم الذى نادى بأن لا اله الا الله •

الرسالة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في مكة بداية القرن السابع الميلادي _ وكان بمكة اذ ذاك نظامان أو صورتان من صور الشمل الاجتماعي: الأول حياة الصحراء حيث تعيش القبائل في الواحات وحول منابع المياه _ والثاني حياة الدينة حيث تتحول هذه القبائل الى بدنات تسكن المباني المشيدة من الأحجار •

« وكانت القبائل ـ قبل ظهور الاسلام ـ تقوم على روابط ووحدة الدم للمائلة ولا يربطها نظام حضرى يعتمد على وحدة الأرض أو التكامل المهنى • وكانت فكرة التضامن ضرورة لمواجهة حياة الصحراء ولم تكن هذه القبائل تعرف فكرة « الأمة » الواحدة • • بل كانت تقوم على شخصية كل قبيلة وقوتها وسط هذه الصحراء القاحلة • • وأكبر دليل على ذلك مجموعة القصائد الشعرية التي عرفت في العصر الجاهلي وكانت أحداثها تدور حول الأطلال • • الحبيبة الغائبة • • الحنين الى الوطن أيضا التحدث عن صفات وفضائل أفراد هذه القبائل ، سواء من ناحية الشجاعة ، الكرم • • حسن الأخلاق والتضامن ضد الأعداء وتقلب المناخ الصحراوي على سكانها • •

« من ناحية أخرى كانت هناك حياة أو صورة اجتماعية أخرى عوفت بحياة الحضر أو الحياة في الواحات وهي تختلف تماما عن حياة قبائل الصحراء ١٠٠ انها مدن تعيش على الزراعة ، التجارة والملكية الخاصة ١٠٠ هذه الظروف خلقت نوعا آخر من أساليب الحياة أو الارتباط ١٤ مثلك تقسيم العمل ١٤ والتكامل ، وخلقت أنواعا جديدة من العلاقات الجيدة والسيئة في نفس الوقت مثل الرغبة في الامتلاك ــ النتافس ١٠٠ عدم الساواة بين الطبقات ١٠٠ الرغاهية عند البعض وحب السيطرة عند طبقات أخرى ١٠٠

هذه النظم أو الصور الاجتماعية ، نظام الحياة في الصحراء • • والحياة في المدن • • تداخلت واختلطت عن طريق اختلاف الأنشطة التجارية واحتياج كل فئة للأخرى • •

« من ناحية أخرى فى جنوب شبه الجزيرة العربية ، حيث الطبيعة الجبلية وتساقط المطر والتقاء الطرق ، والاتصال بالثقافات الهندية • • الأفريقية • • السورية • • وأجزاء من آسيا الصغرى ، مع ازدهار الزراعة والتجارة والمناعة ، هذه العوامل مجتمعة أدت الى انتعاش سكان هذه المناطق • هؤلاء السكان الذى أطلق عليهم أسم « العرب السحداء »

أصبحوا فئة ثالثة أو نوعية ثالثة من سكان منطقة شبه الجزيرة العربية • • هذه الفئات الثلاث: سكان الصحراء _ البدو _ سكان المدن ، والعرب في الجنوب أصبحت جماعات متنافرة الطباع ، في الظروف والقيم • وبالرغم من ذلك كانت هناك علاقات تجمعهم ، مثل استخدام الرجال البدو في حراسة المدن والدفاع عن أمنها •

لا هذا الاختلاف والتنافر جعل هناك نظما متعددة ومتنافرة أيضا فى أنواع العبادات والأديان التى تتبعها كل فئة أو نوعية من السكان مما أدى الى انتشار عبادة الأصنام والشرك بالله ، فكان لكل ممجوعة اله خاص بهم ، يتعبدون له وضاعت فكرة التوحيد ٥٠ هذا الضياع والتفك الاجتماعى والعقائدى وتعدد الآلهة وعبادة الأصنام جعل هناك ضرورة لظهور دين حديد أو رسالة جديدة لا تعيد الرشد ، انها مجرد تذكرة فقط بأن الله واحد ، تذكرة بدين ابراهيم عليه السلام ٠

« بجانب هذا الاتجاه المحد ٥٠ العابد للأصنام في منطقة شعه المجزيرة العربية ، كان الدين اليهودي من جانب آخر قد جفت طقوسه ، ٥٠ والدين المسيحي أصبح رمزا للتعصب الأعمى ، هذه البدع والأيديولوجيات المتطرفة جعلت من الضروري ظهور رسول جديد ودين آخر يعود بالبشر الى المحقيقة ، الى ملك الملك ، الى الله ٥٠ لقد جاء « محمد » عليه الصلاة والسلام ، وجاء معه نوع جديد من الايمان والعقيدة ، ايمان بسيط وقوى في نفس الوقت ٥٠ رسالة سماوية احتوت في مضمونها على قيام روح لأمة حديدة ٠

« في بداية الأمر لم يؤسس محمد دينا جديدا ، بل طالب البشر أن يسيروا تحت كلمات الله والعودة الى الدين الحنيف ٠٠ بمعنى الابتعاد عن الشرك بالله وعبادة الأصنام والاعتراف بأن الله واحد لا اله الاهو ٠٠

الله أكبر ١٠٠ الله أكبر من كل الملوك ١٠٠ انه القادر ١٠٠ المهيمن ١٠٠ واليه ترجع كل الأمور ١٠٠ لا تعبدوا الا الله وحده ، انه الله الأحد

الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحدا ١٠٠ لا وساطة بين الفرد وربه ، (ادعوني استجب لكم) ١٠٠ لم يتجاهل محمد صلى الله عليه وسلم في رسالته الأديان السماوية الأخرى ١٠٠ انه دعا الى الايمان الحق بالله الواحد وأكبر دليل على ذلك أن الرسول محمد عليه الصلاة والسلام في خطبة الوداع «أكد أن لا تفرقة بين ألبشر ، والكل واحد أمام الله بدون تفرقة بين غنى وفقير ، أو سلالة أو أخرى وهذا الحديث مؤكد أيضا مي القرآن الكريم حيث قال الله تعالى (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) (١) و ولم يأت القرآن قائلا أن أفضل الناس عنده من اتقى وبه ولم يحدد سلالة أو دما أو قبيلة أو فئة خاصة من الأغنياء أو الفقراء وبه ولم يحدد سلالة أو دما أو قبيلة أو فئة خاصة من الأغنياء أو الفقراء و

« أنه اعتراف ضمني وشكلى ٥٠ يؤكد أن الدين الاسلامي امتداد لدين ابراهيم من ناحية قوة الايمان ٥٠ والاعتراف بالاله الواحد ١٠ أن الدبن الاسلامي بصفة عامة ، وفي الظاهر والمضمون ١٠ دين ودنيا ، رسالة طالبت بالتفوق والعظمة الله من جانب ٠ ومن جانب آخر دين أمة واحدة متحدة تحت لواء الاسلام ودين أن لا الله الا الله وأن محمدا رسول الله ٠

□ لا الله الا الله • • انه ليس الاله الواحد فقظ ، بل الحقيقة الواحدة ولا حقيقة غير وجود الله والمدليل على ذلك قول الله تعالى : (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين اهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) • «سورة فصلت الآية ٥٣» •

ان كلمة « الاسلام » لها معنى واحد وهى أن معتنق هذا الدين وهذه الرسالة السماوية تجعله دائما خاضعا للارادة الالهية فكلمة اسلام يعنى أن يسلم الفرد كل ما عنده الله وحده ، سواء فى عمله • • صحته • • حساته وأسلوبه فى الحياة ، فالاسلام هذا الدين عميق الايمان بالله ، يجعل صاحبه ومعتنقه رجلا أو امرأة دائما تحت رعاية الله وفى رحابه ، وهذا

⁽١) الحجرات ١٣. ه

أشد وأعمق أنواع الايمان التي عرفتها الأديان السماوية الكبرى •• أن كل شيء يرجع لله وأقوى صور الايمان أن يكون صاحبه « مسلما » أي يسلم كل أموره الله وحده •

□ لم يجبر محمد عليه الصلاه والسلام البشر على اعتناق أو دخون الدين الاسلامي ، فمن شروط الدين الاسلامي وأسسه أن يكون بمحض اختيار الفرد ولا يدخل فيه تحت تهديد أو سيطرة وأن تكون الرسالة بالمجادلة الحسنة والدليل على ذلك قول الله تعالى : (وجادلهم بالتي هي أحسن) وفي حالة اعتناق الدين الاسلامي يصبح صاحبه مسئولا مسئولية كاملة عن قواعد هذا الدين القويم لأنه اختار قبل أن يعلن أو يشهر اسلامه .

□ واذا كان الاسلام استطاع أن ينتشر عبر القارات ـ بعد ذلك ـ من الشرق الى الغرب ومن الشمال حتى الجنوب ، فهذا أكبر دليل على قوته وبساطته في بفس الوقت ، لقد أعطى معاني جديدة للحياة التي كانت مفككة ومنهارة قبل ظهور الاسلام ٠٠ انه نظام ديني ودنيوى ، جمع بين عرفي الحضارة المتكاملة ، عنى الايمان العميق النابع من النفس الضافية ، أيضا احتوى على الأسلوب الأمثل لبناء أمة اسلامية موحدة تحت راية أن لا الله الا الله وأن محمدا رسول الله ٠٠

البشر ، بالرسائل السماوية التى سبقته ، لقد اعترف برسالة موسى وعيسى البشر ، بالرسائل السماوية التى سبقته ، لقد اعترف برسالة موسى وعيسى والدليل على ذلك قول الله تعالى : (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم واحد ونحن له مسلمون) • « سورة العنكبوت الآية ٤٦ ، والاهنا والاهكم واحد ونحن له مسلمون) • « سورة العنكبوت الآية ٤٦ ،

قال الله تعالى:

(قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل

واسحاق ويعقرب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) •

« سورة البقرة الآية ١٣٦ » ·

الدين الاسلامى ، هو الدين الوحيد الذى ألغى فكرة « الوساطة » بمعنى أنه لا رهبان فى الدين الاسلامى • ولا توجد أى حواجز • • أو موانع أو وسيط بين العبد والله • الطريق الله مفتوح لكل من يريده • • أيضا لا يوجد ممثل الله على الأرض • • لأن كل شىء على الأرض يدل على وجود الله فى كل زمان ومكان • •

□ الدين الاسلامى ، دين الايمان القوى الذى يربط الفرد بأصله ، ونشأته • • انه الدين الذى احتوى معانى الحياة من خلال أركانه الأساسية الخمسة (أعمدة الاسلام الخمسة) وهى :

- الله الا الله وأن محمدا رسول الله هذه الشهادة هي الركن الأول في الاسلام والتي ترجع كل شيء في الكون الي المطلق بمعنى أن كل شيء في الكون يدل على وجود الله سبحانه وتعالى الطبيعة والانسان وكل مخلوق على الأرض يعكس وجود الله والدليل على ذلك قوله تعالى : (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا) « سورة الاسراء ، الآية ٤٤) •
- الصلاة ٥٠ وهي عبارة عن فعل ارادي يقوم به الفرد ليسبح الله ويقف بين يديه ١٠ ان الصلاة تربط بين الخالق والمخلوق ١٠ والصلاة في الاسلام لها مدلول آخر غير التواجد بين يدى الرحمن ١٠ فهي تقام في أوقات معينة وساعات محددة ، يتجه فيها كل مسلم تجأه القبلة (الكعبة) ليقف مصليا الى الله ١٠ هذا التجمع الكبير في وقت شبه موحد سواء في الشرق أو الغرب يدل على فكرة الاتحاد في أمة واحدة والتجمع تحت راية الاسلام وأن لا اله الا الله وأن

محمدا رسول الله • • قبل الصلاة يقوم كل مسلم بعملية « الوضوء » وهي نوع من الطهارة والاغتسال التي تزيل من الفرد شوائب الحياة بحيث يصبح انسانا طاهر البدن والقلب ليقف بعد ذلك أمام الله في أجمل مورة •

- س الصيام • وهو الامتناع الارادى عن ايقاع الحياة • مما يؤكد حرية الفرد تجاه نفسه وتجاه غرائزه ، أن الصيام الاسلامى هو الامتناع عن كل ملذات الحياة من طعام وشراب وأفعال غرائزية ، هذا الامتناع عن كل شيء لفترة محددة ، يذكر الفرد أيضا بالجوع الذي يعانى منه الفقراء مما يدفعه الى مساعدة هؤلاء الذين يعيشون في مأساة الفقر والجوع المؤديين الى الموت •
- السزكاة •• وهى ليست صدقة أو منحة شخصية •• انها عدالة اجتماعية يقوم بها الفرد تجاه المجتمع الذى يعيش فيه ، انها واجب انسانى يؤدى الى فكرة التضامن الاجتماعى فى الوقت نفسه فهى تساعد انفرد فى التغلب على صفات الأنانية والبخل وحب الذات ولأن كل شىء فى الكون ملك لله وحده ، فالفرد يجب عليه أن يخصص جزءا من ماله للفقراء •• فالزكاة فى الاسلام تشعر الفرد دائما بأنه عضو فى أمة واحدة •
- الحج ١٠ الى الكعبة المشرفة بيت الله الحرام في مكة المكرمة ١ هذا الركن من أركان الاسلام الخمسة له معنى آخر غير فكرة الأمة الواحدة وتجمعها في رحاب الله ١٠ أن الحج رحلة داخل الفرد يدعم بها أيمانه ويطهر بها نفسه وبزكى بها روحه ١٠

ان الفكرة الرئيسية للاسلام تدور حول أن الفرد المسلم يعيش فى عملية مد وجزر مع الله والدليل على ذلك الآية الكريمة (انا الله وانا اليه راجعون) • « سورة البقرة ، الآية رقم ١٥٦ » •

ن الاسلام بتعاليمه الدينية والدنيوية أنشأ أسلوبا جديدا لحياة

اجتماعية و فكرة «الأمة» الواحدة التي أسسها محمد عليه الصلاة والسلام و مده الأمة لا تشبه الحياة القبلية ، أو حياة المدن ولا يربطها رباط الدم أو الأرض الواحدة وأيضا لا يجمع بينها نظام وضعى و وانما الوحدة في هذه الأمة ترجع الى الايمان بأن الله واحد وهو المالك والمشرع العظيم و هذه « الأمة » الواحدة أرقى أنواع الصور الاجتماعية وو

لقد انطلقت من فكرة « الأمة » مجموعة من أساليب الحكم المثالية و من أساليب الحكم المثالية و من أساليب الحكم الله و من الاسلامي جعل الحكم الله وجده وأن كل شيء مرجعه الله و أيضا أقام الدين الاسلامي نظام الشوري في الحكم وهذا النظام استبعد تماما فكرة الوساطة أو الشفاعة _ والشوري في الحكم الاسلامي تختلف تماما عن النظم الغربية المتبعة الآن ، مثل الديمقراطية أو الاشتراكية ، أو الفردية و النسانية وأمنها المنشود في كل العصور و والحرية هي مطمح الانسانية وأمنها المنشود في كل العصور و

وبهذه المريضة الاسلامية مريضة التفكير يذهب جارودى الى آن الاسلام هو الدين الحق الذى أنزل للناس كامة مى كل مكان وزمان وأن عقيدة التوحيد هى العقيدة المثلى التى لا يصل اليها الباطل ولا يستطيع النيل منها مهما حاول _ وأن مستقبل العالم يقطن مى الاسلام ويسكن اليه _ نم أكد آن الحلول الاسلامية هى وحدها القادرة على انقاذ المجتمع الانساني من المشكلات العويصة التى تأخذ بخناقه والأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى تتقاذمه بضراوة _ وأن المنهج الاسلامى هو المنهج القويم الذى يتحتم على الانسانية أن تنهجه وأن تسير على هديه لتحقق اعلها فى الحياة الكريمة الآمنة القائمة على العدل والسلام ،

لقد اهتم جارودي بالقضايا الانسانية وكان في يل منها صاحب موقف .

وكان موقفه ينبثق دائماً عن عقيدة _ ومن أهم وأبرز مواقفه دفاعه عن انسانية الاسسان ومهاجمته للعنصرية بكافة صورها _ القديمة والحديثة _ ومطالبته بالمساواة بين البشر وتحقيق العدل _ ولقد سمج يوما أن

الاسلام لا يعرق بين عربي او عجمى الا مالتقوى وأن المسلمين يتمايزون مالحمل الصالح ، فاتجه الى دراسة الاسلام ٠٠

ومنذ عام ١٩٤٧ وهو يدرس ويبحث ويحال تعاليم الاسلام وغلسفته وأهكامه به أنه توفر على دراسة الاسلام تاريخا واجتماعا وآهكاما وفروضا وفنونا ثم آخذ يقارن بينه وبين غيره من الديانات والأيديولوجيات ثم اقتنع به اقتناعا كاملا جعله يصدر كتابه (وعود الاسلام) الذي طبع عام ١٩٨١ وغيه يتحدث جارودي عن حضارة الاسلام ويقارن بينها وبين المضارات الأخرى ويبين كيف استفاد الغرب بهذه الحضارة في اقامة حضارته ... ثم أصدر كتابه الثاني عن الاسلام بعنوان « مستقبل العالم يقطن في الاسلام » •

وهكذا يؤكد لنا جارودى فى رحلته الى الله ، أن الاسلام وحده هو القادر على انقاذ البشرية في حاضرها ومستقبلها مما يحيق بها من أخطار ، وأن الاسلام هو وحده الذى يقدم للانسانية المنهج انقويم فى الابداع المادى والروحى ، ثم يؤكد فى نهاية الأمر للانسانية جميعا أن رحلته فى الطريق الى الايمان ، هى خطوة فى الطريق الطويل للانسانية نحو الهداية ، وأن الناس جميعا عائدون الى الله ، والى المنهج الاسلامى القويم فى النظر والفعل على السواء ، يقول جارودى (١) :

« ان الأمر يتعلق بمستقبلنا » مستقبل البشرية الذى يتعرض مصيره المضطر • الاسلام كقوة حية ، ليس كام ا فقط في ماضيه انما في كَلُ ما يمكن أن يقدمه لصنع المستقبل » •

⁽۱) جارودی: الاسلام دین المستقبل ، ص ۲۱ .

خاتم___ة

٠٠ والمصور: هو الانسان

تبين لنا مما تقدم أن جارودى فى رحاته الفكرية التى بدأت بالشك وانتهت الى سكينة الايمان ، كان قد عرف فى أول حياته بميوله الماركسية وبعضويته فى المكتب السياسى للحزب الشيوعى الفرنسى ، وما لبث منذ عام ١٩٥٦ يجرى حوارا فكريا مع الماركسية الجامدة التى تحجرت فى قوالب بعينها منعتها من الاستجابة لروح العصر ، ولهذا وجدناه فى ذلك العام نفسه يمتنع عن اعادة نشر رسالته للدكتوراه وهى « النظرية المادية فى المحرفة (١) » ، ومن ثم وجدناه ينقد الماركسية المتقولبة ، على نحو ما يتضح فى كتابيه « ماركسية القرن العشرين » و « نظرات حول الانسان » ، ثم ينقضها نقضا تاما بعد ذلك ، الأمر الذى أدى الى فصله من عضوية الحزب الشيوعى ،

وخلال هذه الرحلة الطويلة الخصبة من الشك الى سكينة اليقين إوجدنا جارودى يوظف منهجه النقدى في الدراسات المقارنة للحضارات المختلفة إبحثا عن « الانسان » مكانته وماهيته ودوره فيها إلى فيجرى «حوار الحضارات » إويبحر عبر المذاهب والتيارات الفلسفية المختلفة عيث يبحث عن « الانسان » في الفلسفة الوجودية المحدة ، عن « الانسان في الفلسفة الكاثوليكية » » » الانسان في الفلسفة الوجودية المؤمنة أو في السخراطية الجديدة المسيحية » ، الانسان في « الفسسفة الشخصانية » ، الانسان في « فينومينوجية الطبيعة عند الأب تيياردى ساردان » ، « الانسان في الفلسفة النيوية » — الانسان في « الفسان في « المنسان في « الفسان في « الفسادة النيوية » — الانسان في « الفسادة » ، الانسان في « الفسادة » ، الانسان في الفلسفة النيوية » — الانسان في الفلسفة النيوية » — الانسان في الفلسفة النيوية » — الانسان في الفلسفة النيوية » .

⁽۱) د. يحيى هويدى : مقدمة : نظرات حول الانسان تأليف جارودى ؛ الطبعة المترجمة .

حاول جارودى فى رحلة الابحار هذه أن يستخلص من التحليل النقدى لهذه المذاهب والتيارات الفكرية معرفة « الانسان الكلى ، تأسيسا على أن « الحياة » _ كما يقول _ « تضع المشكلات ، والفلسفة تقدم الاجابات لها » ، وهذه المشكلات التى تركز حولها التحليل النقدى فى رحلة جارودى الفكرية كما يقول · « نتلخص فى نوعين من المشكلات :

ــ المشكلات التي تثبرها أزمات وثورات العصر •

- والمشكلات التى تضعها أمام الانسان قدراته التى زودته بها العلوم والتكنولوجيا ، وكلها مرتبطة بالانسان » • وهذه المسكلات بنوعيها - قدمت لنا - كما يقول « مصدرين حيين للفلسفة المعاصرة • • • وأصبحت العودة الى النبع أمرا ضروريا » •

هذا النبع ــ لم يجده جارودى ــ بعد رحلته الطويلة المضنية الا فى الاسلام ، الدين الذى يقف من مشكلات الحضارة موقفا ايجابيا ، فى الوقت الذى يحذر الانسان من انخداعه بمتع الحياة ، ومن أن تصبح له فتنة ، ويصبح مفتونا بها « يركز نظرته فى الحياة اليها وحدها ، ويقصر نشاطه وسعيه على تحصيلها ، تاركا الهدف الأساسى فى الحياة كلها . والوجود كله ، وهو الايمان بالله سبحانه وتعالى ، وهذه المتع ــ لذلك ــ ان كانت زينة الحياة الدنيا ، فانها من جانب آخر موضوع لاختبار المتعين بها فى تصرفهم ازاءها وفى الايمان بالله سعد ذلك (١) » يقول الله تعالى :

(انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا) • (٢) فالاسلام يريد أن تبقى زينة الحياة لن يباشرها » ويتمتع بها ، ولكنه يمنع من أن تتحول الى مصدر للاهلاك والشقاء فتخرج عن طبيعتها • ولذلك يقر الاسلام الدعامة التى تقوم عليها الحضارة الحديثة ، وهى دعامة العلم والمعرفة ، ويؤكد في النصح بشأنها • ويشدد النكير على من ينفر الانسبان منها ، ويدفعه على الوقوف ضدها • يقول الله سبحانه وتعالى :

⁽۱) د. محمد البهى: الاسلام في حياة المسلم ، ص ٧٨١ .

⁽٢) سورة سبا الآية ١٠

(قل من حرم زينة الله التي أخرج أمباده والطيبات من الرزق؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) • « الأعراف ٣٢ » • فالله جل شأنه هنا ، يؤكد أن مباهج الحباة ومنافع الحضارة للمؤمنين خالصة ، بمعنى أن ليس على المؤمنين من شائبة نقص اذا استخدموها ، وسعوا اليها • ثم يزيد على ذلك فيذكر أن من يحرمها ليس من جنس عقلاء البشر (١) •

والاسلام لم يتجنب مسائل الاجتماع « لأن اجتنابها ليس من طبيعة الدين ، ولكنه عنى بهذه المسائل كما ينبغى أن تدركها عقيدة الانسان فى الجماعة البشرية ، ووكل الى عقيدته أن توفق بينها وبين الصلاح الاجتماعى كما يقتضيه زمانه وتستوحيه الجماعة كلها من ضروراتها ومن قواعد دينها ، ولا غارق فى النهاية بين المسلحة كما تهتدى اليها الجماعة والمصلحة كما بوجبها الدين (٢) » •

والمذاهب الاجتماعية ـ كما يقول العقد ـ شيء واقع معروف المبادىء والمغايات في العصر الحاضر ، فعلاقة الاسلام بها كذلك شيء واقعى لا حاجة به الى الخوض في النظريات والفروض الذهنية ، لأن مواضع الوئام أو النزاع بين جميع هذه المذاهب وبين نصوص الدين الاسلامي مسطورة معلومة لمن يريدها وقد كشفت عنها تجارب العمل كما كشفت عنها بحوث الباحثين ٠٠ هذه المذاهب الاجتماعية ، ومعها المذاهب الفكرية ، كثيرة تتفرع على أصونها الكبرى ٠

واذا كان جارودى في رحلته الفسكرية عبر المذاهب الفلسسفية والاجتماعية كان يركز على مشكلة الانسان ، فانه عند شاطىء اليقين ، أدرك أن انسان القرآن الكريم هو الهدف المنشود من وراء رحلته الفكرية ، ذلك أن جارودى هو ابن القرن العشرين ، وهو القسرن الذي « جمع الأسئلة ، فلم يدع سؤالا عن نسب الانسان لم يطلب جوابه ، على نذير

⁽۱) نفسه ، ص ۷۷ ،

⁽٢) عباس محمود المقاد : التفكير مريضة اسلامية ، ص ١٣٧ .

بالهلاك لن جهل الجواب، وقد يكون هلاكا للجسد والروح ١٠٠ ما مكان الانسان من الكون كله ؟ ١٠٠ ما مكانه من هذه السيارة الأرضية بين خلائقها الأحياء ؟ ١٠٠ ما مكانه بين أبناء نوعه البشرى ؟ وما مكانه بين كل جماعة من هذا النوع الواحد، أو هذا النوع الذى يتألف من جملة أنواع يضمها عنوان الانسان ؟ وهي أسئلة _ كما يقول العقاد _ لا جواب لها في غير « عقيدة دينية » تجمع للانسان صفوة عرفانه بدنياه وصفوة ايمانه بغيبها المجهول ! ١٠٠ تجمع له زبدة الثقة بعقله : وزبدة الثقة بالحياة ! ١٠٠ حياته وحياة سائر الأحياء والأكوان ١٠٠ أن القرن العشرين كان حقيقا أن يسمى بعصر « الأيديولوجية » أو عصر الحياة « على مبدأ وعقيدة » . لأنه كلما ألقى على الانسان سؤالا من أسئنته تلك لم يعفه من جوابه ١٠وام بسلمه الى جزاء أهون من جزاء الحيرة عند السكوت عليه ١٠٠ قان يكن سكوتا عن الأجوبة جميعا فهو الهلا كالمحدق بالأبدان والعقول • وليس أكثر من « المبادى والعتائد » التي نسمع عنها في هذا القرن ، ويسمونها بالذاهب و « الأيديولوجيات » •

ولكن أجوبة القرن العشرين : مهما يكن من شأنها ، فهى أجوبة العصر الذي يحل المشكلة الزمنية ولا يتعداها الى مشكلة الأبد : مشكلة ما مضى وما أتى من الدهر وما يأتى الى غير نهاية . ولا جواب لهذه المشكلة الا فى العقيدة الدينية التى تؤمن بها الانسانية ، فلا يعنى فيها ايمان فرد واحد بينه وبين ضمبره ، أو جواب سؤال واحد لمن يقول : من أنت ؟ وماذا تعرف من نفسك بين عامة النفوس " قصاراك أنك واحد منها بين ألوف الألوف ، عاشوا ويعيشون وسيعيشون ، لا يسكتون عن تنك الأسئلة عامة ، ولا أمان لهم ولا لك ان سكتوا عليها م

هذه العقيدة الدينية توجد كما ينبغى أن توجد ، وانما الضلالة فيمن يريدها على غير سوائها الذى تستقيم على سواه (١) » •

⁽۱) عباس محمود العقاد: الانسان في القرآن الكريم ، ص ١١ .

وتأسيسا عنى هذا المفهم ؛ نتابع في هذه الصفحات شوطا من أشواط الرحلة الجارودية عبر المذاهب الفكرية والفلسفية بحثا عن « الانسان » المنشود ؛ والذي لم يجده الا في الاسلام ، فقد خلص جارودي الى أن المشكلات التي تضعها الحياة « مشتركة بين الجميع ، ولكن الحلول التي تقدمها المذاهب الفكرية والفلسفية على العكس من ذلك ، تتصادم (١) » ،

ومن ذلك مثلا « المسكلة الواقعية العماية التى وضعتها فلسفات الوجود لنفسها وامام الانسانية هي أن تعطى للوجود الانساني معنى وقيمة ، وأن تقرر ما اذا كان هذا الوجود يستحق الاستمرار أم اذا كان واجبنا أن نضع حدا لاستمراره ، ووجودنا يتوقف على القرار الذي نتخذه في هذا الشأن (٢) » .

وهنا يذهب جارودى الى اننا عندما نتحدث عن « وجودنا فاننا نقصد به وجود النوع • وذلك لأن الأمر هنا ليس انتحارا فرديا • والمسكلة ليست تلك الني أثارها كبريلوف في قصة « دستوفسكي » المسماة : « الذين أصابهم مس من الجن » • فلم يعد اليوم مصير الانسان أو مصير مجموعة من الناس هو الذي نضعه في الميزان ، وانما مصير الانسانية جمعاء • ووجود الانسانية يتوقف على القرار الذي نتخذه في هذا الشأن (٣) » •

يقول « سارتر »: اذا كانت « الاسانية كلها ستستمر في الحياة فلن يكون ذلك لأنها كانت قد ولدت ، بل لأنها كانت قد قررت لحياتها الاستمرار ، وذلك لأنه لم يعد هناك وجود « للنوع الانساني » ، اذ أن المجتمع الانساني الذي جعل من نفسه حارسا للقنبلة الذرية سيكون أعلى قيمة من أي مستوى عرقي طبيعي خضع له فيما مضى » لأنه مسئول عن حياته وعن موته ، وأصبح لزاما عليه كل يوم بل وكل دقيقة أن يقرر موافقته على الحياة ، وهذا هو ما نشعر به اليوم في حسرة (٤) » ،

⁽۱) جارودی: نظرات حول الانسان ، ترجمة د. يحيي هويدل ، ص ٧ ٠

⁽٢) نفسه - ص ۱۱ ۰

⁽٣) نفسه ، ص ۱۱ ،

⁽٤) جان بول سارتر : مجلة الازمئة الحديثة العدد رقم ١ ب التمهيد .

وفي الرحلة انجارودية نجد توقفا بازاء مشكلات العصر ۽ فلم تعد هناك ثقة بالعلم والتكتولوجيا « لأن الحياة الانسانية أصبحت بحاجة الى تبرير • وأصبحت امكانية الانسان نطرح مشكلات كبرى مثل مشكلة الاختيار ؛ ومشكلة الحرية ، ومشكلة الأهداف » • وهى المشكلات التي لم يجد لها علاجا في أي من الذاهب الاجتماعية والفكرية ۽ الى أن هداه الله الى شاطىء اليقين ۽ فوجد في الاسلام الطول الناجعة لشكلات البشرية •

وهى المشكلات التى ترتبط بالتطور المضارى للانسان الذى أصبح - كما كان بأمل ديكارت - سبد الطبيعة ، ولكن - كما يقول جارودى - « الى المد الذى أصبح يستطيع منذ الآن اما أن يمحو كل أثر الحياة ويخلف وراء ظهره سعير كوكب يحتضر ، أو أن يخلق انفسه ولكل الناس فيه مأوى ، بل انه الآن على وشك أن يضع بده على اكتشافات ستفتح أمامه طريقا آخر أو طرقا لا نهاية لها ستجدد له صور الحياة تجديدا لا حدود له . وذلك عن طريق الرحلات من كوكب الى آخر وعن طريق الأمل فى الهجرة خارج حدود الأرض ، لم يعد شىء من هذا يبدو على انه فى نطاق خارج حدود الأرض ، لم يعد شىء من هذا يبدو على انه فى نطاق الأحلام ، فامكانية سيادة الانسان عنى الطبيعة وتملكها تماما جعلته يشعر بأنه لن يقنع بهذه السيادة ، وبأن أطماعه لن تقف عند حدود السيطرة على عالم أصبح يملك الحرية فى أن يمحوه وأن يتجاوزه الى غيره من العوالم (١) » *

ثم يذهب جارودى تأسيسا على ذلك الى أن التقدم التكنولوجى قد وضع أمام الانسان تلك المسكلة التى أوجدتها امكانياته ذاتها الهمى وضع أمام الانسان يعتمد على القرار الذى يتخذه هو وفشات الفلسفات المعاصرة في تحديد ماهية هذا القرار الافتقارها الى المعاية الأساسية وفشلت في ذلك الفلسفة الوجودية كما فشلت الماركسية في مواجهة العالم الذى نعيشه «عالم واحد ٥٠ لكنه عالم ممزق ٥٠ هو عالم واحد — كما يقول جارودى — لأن تطور التكنولوجيا والانتاج أنشأ سوقا عالمية الوأنشأ

⁽۱) جارودى: المرجع السابق ، ص ۱۲ .

اقتصادیات مترابطة أصبح مصیر كل انسان فیها معلقا بمصیر كل الناس الآخرین و واصبحت الحیاة الیومیة لكل انسان تتأثر اقتصادیا وسیاسیا و أخلاقیا بأكثر الأحداث بعدا عنه: انخفاض فی أسعار بورصة نیویورك ، تظاهر فی طوكیو ، تخطیط اقتصادی فی موسكو ، هزة أرضیة فی أفریقیا أو آسیا و أصبحت الأزمات والحروب أیضا ذات صبغة عالمیة و

لكن هذا التلاحم الدولى لا يعنى تآخيا دوليا ، اذ أنه قائم على التناقضات والصراعات ، وانتعبير الواقعى عن التلاحم الدولي لا يظهر من الآن فصاعدا الا في صورة تلك الصراطات التي عمّّت حتى أمست تعالج على الستوى الدولي كله: الصراع بين الطبقات ، الصراعات الوطنية أو القومية ، الصراعات الأيديولوجية ،

ليس ثمة صراع الآن له طابع معلى • ولا توجد مسئولية ذات صبغة محددة • ولا معنى للحرية المنعزلة • حقا ، لقد أصبعنا جميعا مشاركين في الخصومات الدولية الكبرى • هكذا اراد لنا التاريخ ، ونحن نواجه هذا الموقف ولا حيلة لنا في دفعه • وهي مسئولية كل فرد منا ، ولا يستطيع أحد أن يتخاى عنها (١) » •

هذه « انسئولية » التي فشلت الذاهب الفكرية والاجتماعية في تحديدها ، وتاهت وسط تناقضات عصرنا ، ولم تصل الي مضرج منها ، أو الي وسيلة للتغلب عليها ، هي التي تجعلنا نذهب الي أن العصر الحديث « قد عرض العقيدة بعد العقيدة على الانسان وعلى الانسانية ، ولا نعام انه عرض عليها حتى اليوم قديما معادا أو جديدا مبتدعا أوفق من عقيدة القرآن الكريم ، وأوفق ما فيها أنها غنيت عن الاختراع والامتحان ، وأنها على شرط العقيدة الدينية من بنية حية ، شملت ملايين الضلق وثبتت معهم رحدها في كل معترك عصيب ، يوم خذلتهم كل قوة يعتصم بها الناس (٢) » ،

⁽۱) نفسه ، ص ۱۳ ه

⁽٢) عباس محمود العقاد: المرجع السابق ، ص ١٢ .

ولذلك نرى أن جارودى بعد طواغه الطويل فى المذاهب الاجتماعية والفكرية ، قد وصل عن اقتناع الى شاطىء اليقين ، ليعلن للانسانية أن القرن العشرين سبنتهى بما استحدث من مذاهب وأيدلوجيات ، ولا بنتهى ما تتعلمه الانسانية من القرآن الكريم .

« وفد استمع الناس الى المادية التاريخية ، فقالت لهم ان الانسان عملة « اقتصادبة » في سوق الصناعة والتجارة » تعلو وتهبط في طبقاتها بمعيار العرض والطلب وصفقات الرواج والكساد ، أما الانسانية فقد أنصتت الى المادية التاريخية ، فقالت لها انها شيء لا وجود له مع طوائفها التي تخلقها الأسعار والأجور ، واستمع الناس الي الفاشية فقالت لهم أن الانسان واحد من عنصر سيد أو عنصر مسود ، وأن أبناء الانسانية جميعا عبيد للمنصر السيد ، والعنصر السيد قبل ذلك عبد السيد المختار ، بغير اختيار ، واستمع الناس الى « العقلية » فقال لهم قائل منها أن بغير اختيار ، واستمع الناس الى « العقلية » فقال لهم قائل منها أن الموجود حقا هو الفرد الواحد ! ، وبرهان وجوده حقا أن يفعل ما استطاع من نفسع أو أذى ، كلما أمن المغبة من سائر الأفراد و الأحداث ، والأحداث ، و والأحداث ، و المؤلف والفرد الواحد المؤلف المؤلف والفرد الواحد المؤلف المؤلف المؤلف المؤلف والفرد الواحد المؤلف المؤلف المؤلف المؤلف والفرد الواحد المؤلف المؤلف

وغير جديد ما أسمعوه من أهل العقائد الكتابية عن مكان هذا الانسان من الأرض والسماء ، ومكانه من الموته في آدم وحواء ٠٠ سمعوا أنه روح وجسد ، ودنيا وآخرة ، ينجو شطرد بمقدار ما يهاك شطره ، ويصح له الوجود بمقدار ما صحح له من عقبي الفناء ٠٠ وسمعوا أنه انسانان ٠٠ ١٠ انسان صحيح مقبول واسان زائف مدخول ٠٠ صحيح مقبول كل من اجتباه مولاه على هواه ، وزائف مدخول كل من خلقه ونفاه ، أو لعله لم يخلقه ودعاه اليه من دعاه وسمعوا أن الانسان يولد بذنب غيره ، ويموت بذنب غيره ، ويموت بذنب غيره ، ويبرأ من الذنب بكفارة غيره ، ويمضى بين النعمة واللعنة بقدر من الأقدار ، لا نصيب له فيه من عصيان أو طاعة ، ومن اباء أو اختيار ،

« وسمعوا من القرآن الكريم غير ذلك ، فهم متدبرون يستمعون الى العقل كما يستمعون الى الايمان اذ! اطمأنوا اليه وثبتوا على اطمئنانهم اليه • فالانسان في عقيدة القرآن الكريم هو المخلوق المسئول بين جميع ما خلق الله • د يدين بعقله فيما رأى وسمع لا ويدين بوجدانه فيما طواء الغيب ، فلا تدركه الأبصار والأسماع • و « الانسانية » من أسلافها الى أعقابها أسرة واحدة لها نسب واحد واله واحد ، أفضلها من عمل حسنا ، واتقى سيئا ، وصدق النية فيما أحسنه واتقاه (١) » •

فالاسلام اذن هو الذي في مقدوره وحده أن يعالج تناقضات العصر به التي فشلت في معالجتها المذاهب الاجتماعية والفلسفية به وهي التناقضات التي يرى جارودي أن نقطة البدء فيها كانت الأزمة الكبرى: أزمة عام ١٩٢٩م • فقد هبط الانتاج العالمي في الفترة بين عامي ١٩٢٩م ، ١٩٣٩م بمقدار ٤٠٪ عن معدله ، وهبطت التجارة العالمية ٢٠٪ • وكانت النتيجة بطائة ثلاثين مليونا من العمال • وتحطمت حياة أناس كثيرين ، وأصبحت بلا هدف لا وظهرت مآسي عالم في مأزق • لا تناقضات دفينة بين متنافسين ، ببن طبقات متصارعة ، بين أمم تتسابق • والرخاء الذي بدا حينذاك على أنه رخاء وقتى مصطنع ، وضع موضع البحث وأثيرت شكوك حول وجوده ووجود نظم وأشياء مشروعة لم يكن أحد يناقشها حتى ذلك الوغت ، وعم الشعور بأن النقافات والحضارات من المكن حتى ذلك الوغت ، وعم الشعور بأن النقافات والحضارات من المكن

« وقد أدى هذا الاحتدام بين كل هذه التناقضات ، وهذا الاستقطاب للقوى البشرية الى ميلاد الفاشية بتعصبها العنصرى المطلق ، بوقوفها الى جانب العنف والطغيان والحرب ، بادعاءاتها فى انكار قيم الفرد والشخص وفى انكارها لوجوده نفسه لحساب مفهوم للدولة المتسلطة التى تحكم مى غير مشاركة لوعى الناس ، بتمجيدها لارادة القوة ،

⁽۱) نفسه ، ص ۱۶ .

بتفخيمها القرول بوجود جس مختر ، وبقلسفتها في الياس

وهناك في شرق أوربا أدت الاشتراكية الى زيادة حدة التناقضات الاقتصادية والسياسية والفكرية ، على حد تعبير جارودى ، الذى يقول أيضا أن « وجودها قد حمل هجوما ماديا على المتاليات والمذاهب الروحية » •

وتأسيسا على هذا الفهم ، يذهب جارودى الى أن الفلسفة المعاصرة . والتى فشلت فى مواجهة هذه التناقضات ، قد نشأت منها أساسا ، ومن الأحداث التى ترتبت على المواجهات الانسانية الكبرى : الجبهة الشعبية عام ١٩٣٦م ، حرب أسبانيا ، ميونيخ ، الحرب والهزيمة ، الاحتلال النازى لفرنسا والمقاومة ، ومن أحداث أخرى أكثر شمولا ، مثل انقسام العالم الى قسمين ، واليقظة الكبرى لشعوب آسيا وأفريقيا « تلك اليقظة التى ألقت على كل شيء أضواء غامضة نا التهديد الذرى الذى سد الأفق ، لكن ظل هذا الأفق بالرغم من ذلك مفتوحا أمام المغامرات الكونية الذى يقوم بها الانسان (٢) » •

ويستعرض جارودى هذه التيارات الفاسفية ومواجهاتها لهدفه التناقضات ، فيذكر أن « ميرلو بونتى » مثلا قد قال عن الصفات الرئيسية للتيار الفينومينولوجى والوجودى : « يقال ان هذه الفلسفة هى التعبير عن عالم متفسخ ، وهذا حقيقى ، بل وهو ما يعبر عن سر وجودها الحقيقى ، فالسألة كلها قائمة ، فيما اذا كنا نأخذ صراعاتنا وانقساماتنا مأخذ الجد ، وفي معرفة ما اذا كانت داءنا أم دواعنا » ويوضح « ميرلوبونتى » في كتابه « النزعة الانسانية والرعب » أن الحوادث منذ عام ١٩٣٩م قد كشفت عن أن « المساواة تقوم على أسس غير ثابتة » وأنها « وضنعت موضع السؤال أشياء ما كنا نناقشها » وكتب أيضا في

⁽۱) جارودی: السابق ، ص ۱۶ .

[·] ١٥ سه ٤ ص ١٥ ٠

« معقول ولا معقول » انه يشعر أكثر من أى وقت مضى باهتزاز المستقبل وبعدم قيام حرية الانسان على أسس ثابتة • انه يشعر بأنه أصبح بعيدا عن عصور الايمان التي كان الانسان يعتقد فيها أنه واجد في الأشياء صورة لمصير مرسوم (١) •

وهكذا يصور لنا جارودى التناقضات التى واجهتها ونبعث عنها الفلسفة المعاصرة ، وهى التناقضات التى تمثات فى عالم ملى الفوضى والآمال ، ومظاهر العنف والانحراف ، والتطلع نحو المستقبل ، وكان على جارودى ، كما كان على فلاسفة العصر – أن يواجهوا هذه التحديات ، وأن يحاولوا الاجابة عليها ، وفى الوقت الذى ضلت فيه الفلسفة المعاصرة ، كان جارودى قد اهتدى الى الاسلام الذى قال الكلمة السواء فى كل العصور ،

في حين بفي زملاؤه من فلاسقة العصر في مرحلة تشخيص أمراض المضارة ، دون أن يهتدوا لاجابة واحدة نهديهم الي العلاج ، فهذا جبريل مارسيل في بعض ما كتبه من كتابات فاسفية حول سيرته الذاتية يقول بعنوان « نظرة الى الوراء » : « لا أعتقد أن أحدا منا يشك في تفاهة وضياع هذه الحضارة ، ٠٠٠ التي بدا لنا أن قرونا كثيرة أسهمت في ارساء أساس صلب لها ، كنا نظن أن من الخرق ، بل ومن عدم التقوى ، أن نشك في قيمتها ، ٠٠٠ وفيما يتصل بي ، يبدو لي أن الوهم الذي كنا نعيش فيه قبل حلول الطوفان لم يتصح لي الا انجاز الجراء التمهيدي من بحوثي ، وهو الجزء الجاف منها ، وفي القسم الثاني من اليوميات تغيرت اللهجة وتغير أسلوب تسجيل اليوميات ، وكان هذا التغيير مرجعه في الجزء الأكبر منه الى الهزة التي أحدثتها الحرب في نفسي (٢) ».

ویشیر جارودی الی عنوان مسرحیة جبریل مارسیل : « عالم به شرخ » لیصور « الکتل التی فقدت صوابها وقسمت عالما متهاویا » علی

⁽۱) نفسه ، ص ۱۵ .

⁽۲) جارودی : السابق ، ص ۱۲ .

حد تعبير مارسيل نفسه ، واذلك يتجاوز جارودى فلسفات الوجود : الوجودية الملحدة ، الفلسفات المسيحية ، والماركسية ، ولا يجد فيها « اليقين » الذى وجده فيما بعد فى الاسلام ٥٠ ذلك أن فلسفات الوجود تلك قد « حامت الشكوك حولها » كما يقول ، وقد تهاوت « أوهام كثيرة ، وهم رخاء الرأسمالية الذى لا حدود له ، وهم الديمقراطية التى كان يتصورها الناس على أنها « جمهورية انذوات الواعية » ، وتصوروا وجودها يسمو على مصالح الأفراد والجماعات ، الأوهام التى قدمها الرئيس ولسون فى قيام جمهورية من الشعوب تحقق فى الواقع وجود « هبئة الأمم » وأوهام فلسفية أخرى تقابل تلك الأوهام التاريخية ٥٠ كما حدث فى الوجودية التى انتهت الى جعل الانسان يشعر بمسئوليته كما حدث فى الوجودية التى انتهت الى جعل الانسان يشعر بمسئوليته الشخصية وبحريته وسط عالم كله أشلاء ٠٠

وكان لشيوع الاضطراب والكارثة بعد هزيمة المانيا عام ١٩١٨م ، وفرنسا بعد هزيمة ١٩١٠م ، أثره في نشأة أسلوب جديد ذي طابع درامي في الفلسفة المعاصرة ، في ألمانيا من هيدجر حتى ياسبرز ، وفي فرنسا من سارتر حتى جبريل مارسيل .

واضطرت الفلسفات القديمة الى ادخال تجديدات يائسة على فكرها استجابة لمتطلبات العالم الجديد ١٠٠ وكان على الفلاسفة الكاثوليك أن يجيبوا على الأسئلة التي أثارتها الوجودية الروسية على يد شستوف وبردييف ٤ وفلسفة الظاهرات لهوسرل ، والوجودية الألمانية عند هيدجر وياسبرز ، والوجودية الفرنسية عند سارتر (١) ٠

وفشلت هذه الفلسفات جميعا في الاجابة عن تناقضات العصر ؛ ولم يجد فيها جارودي اجابة مقنعة عن التساؤلات التي طرحها عصره ، ودخل جارودي مع هذه الفلسفات في حوار تحول الى ضرب من « المباراة المقيقية » على حد تعبيره ، وقام بدراستها في حركتها وفي محاولتها لتطوير نفسها ، ولكنه وجد فيها تناقضات ذاتية تشهد على عدم اتساق

⁽۱) نفسه ٤ ص ١٩ ٠

المذاهب من جهة ، وبرغبة الفيلسوف في أن ينقل حياة مذهبه الخاص الى المتاريخ وأن يلقح مذهبه بالديالكتيك المعقد للتاريخ •

ويخلص جارودى من هذه الدراسة او الحوار الى أن الأساس فى « نشأة التفكير المعاصر كان افلاسا مزدوجا : لاتجاه تزمتى له جناحان : افلاس لتزمت مسيحى وأفلاس لتزمت عامى (١) • وانتهى من دراسة هذا الافلاس المزدوج الى ضرورة البحث عن « طريق ثالث » لم يجده الا فى الاسلام ، الذى يمثل « الحل الوحيد » كما تقدم فى فصول هذا الكتاب •

ومن أجل ذنك رفض الحركة الوضعية الجديدة ، والمذاهب الفلسفية التى سادت الجامعات الفرنسية حتى عشية الحرب العالمية الثانية ، ذلك أن أى « مذهب من هذه المذاهب لم يقدم لنا الأدوات العقلية الضرورية الصالحة للتفكير في الواقع الجديد الذي فرض نفسه على المفكر الفلسفى : واقع العصر وواقع التاريخ ، واقع الفعل أو واقع الذات الفردية •

كان هيجل قد قدم منهجا لتعقيل الواقع الزمانى ، وهو الديالكتيك ، تماما كقيام العقل الديكارتى بتعقيل المكان الميكانيكى الآلى • وبرجسون لم يحاول أن يحصر نفسه فى وجود الديمومة الا لأنه قد ضحى بالمعقول لحساب اللامعقول ، وضحى بزمان العلم لحساب الديمومة السيكلولوجية • وهملان أقام دياللكتيكا لم يكن بينه وبين الديالكتيك الهيجلى ادنى وجه شبه لأنه قام على احتقار العلم • ولهذا غبدلا من أن يكون هذا الديالكتيك النبض الحى للتاريخ أصبح يجرى بعيدا عن التاريخ الواقعى (٢) » •

وفى جميع الأحوال ، سواء كنا مع « فلسفة هملان أو برجسون فأن ما يعوز كل هذه الفلسفات هو « الحياة الواقعية للانسان » لا سواء نظرنا الى الانسان في واقعه الاجتماعي الذي يمدنا به

⁽۱) جارودى: المرجع السابق ، ص ۲۰ .

⁽٢) نفسه ، ص ۲۱ ،

تاريخه أو في واقعه الشخصى الذي تطلعنا عليه حياته الذاتية الخاصة (١) » • على حد تعبير جارودي كذلك •

ويخلص جارودى من هذه الرحلة انفاسفية الى أن « الوضعية لم تنجح فى تجنب المشكلات ، وأن المثالية قد أخفقت فى حلها » كذلك ، وكما قال جارودى فيما تقدم ، فإن « منشأ هذه المشكلات كان يتمثل فى افسلاس مزدوج للنزعة التزمتية : سسواء كانت تزمتية مسيحية أو علمية (٢) » ،

ويذهب جارودى الى أن « الحل التنبيقى الذى قدمته الوضعية فى محاولتها المفنوقة ، مع اللا أدرية لفتح طريق ثالث بين المثالية والمادية ولتوفر تعايشا سلميا بين العلم والسيحية بوضع حاجز فاصل بينهما لا يمكن عبوره ، لم يقبله هؤلاء الذين لم يسمحوا بقيام هذه الرقع ذات الحواجز فى قلب الوجود فعلف عدم الاعتداء اللا ارادىكان مؤسسا على تفتيت مزدوج لحياة الانسان : ألقى فيه بالدين المسيحى خارج الحياة الواقعية والشخصية للانسان ، وقذف بانعلم الذى استحال الى نزعة علمية متطرفة ومقفلة للانسان ، وقذف بالذي كثيرا ما قام فيه الانسان بعمل مبدع فى غزواته للعالم (٣) » •

ويتلخص موقف جارودى من الوجودية ، في التعبير الذى كتبه « جون كانابا » في كتابه المعروف بأسم « الوجودية ليست فلسفة انسانية » ؛ حين قال : « ان الوجودية رائعة اذا شوهدت عن بعد غير أنها تبدو على مقيقتها حين نقترب منها فنكتشف أنها ليست الا بناء من ورق » •

فيذهب جارودى الى أن الخطوتين اللتين اتضدتهما الفلسفة الوجودية تكمل احداهما الأخرى ، ذلك أنها قامت في الخطوة الأولى

۲۲ سه ۱ مس ۲۲ ۰

⁽۲) نفسه ، صر ۲۲ ،

[·] ۲۲ مس ۲۲ ،

يرفض العالم لكى تبتعد عنه ، وفى الثانية ، وكنتيجة لهذا التملص أو لهذه الهوة الأنطولوجية أو لهذه القطيعة التى أقامتها بين الانسان والعالم أقدمت على انفعل لتمارس به قدرتنا المطلقة على الاختيار ومسئوليتنا الكاملة ، وقد عبر كيركجورد عن هذا الموقف المستغلق بقوله : « ليس الأمر أمر اختيار تقوم به الارادة بين الخير والشر بقدر ما هو اختيار للارادة نفسها (١) » •

ويرى جارودى أن « هذه الصيغة تعبر تعبيرا دقيقا عن استغلاق الموجودية و وذلك لأن اللحظة الهامة في حياة الانسان كالمحظة حريته ولا تمثل عندهم لحظة مليئة بالفعل والاقبال عليه بل تدل على العكس من ذلك ، على المتقار وغياب وثقب في قلب الوجود و وبهذا يصبح العدم الشخصية الرئيسية في الماساة الوجودة : لأن الوجود الواقعي للانسان عندهم ليس الا وجودا غائبا و

والانسانية كلها تهوى الي قرار هذه الهوة ويهتز الوجودكله بسببها • « ان وجودى يتغلغل فى وجود العالم حتى أقصى أطرافه » ووجوده يتغلغل فى وجودى حتى أعمق أعماقى (٢) » •

وهكذا يخلص جارودى إلى أن الوجودية قد فشلت فى الاجابة عن تتاقضات العصر ، ومواجهة مشكلة الانسان • • وهى الاجابة التى وجدها فى الاسلام ، حيث الانسان هو « المخلوق المسئول » عن عمله ... فردا وجماعة ... لا يؤخذ واحد بوزر واحد ، ولا أمة بوزر أمة •

« فالانسال خليق آلا يدين أسلطان غير سلطان الضمير ، لأنه يحاسب على أعماله ونياته ولا يغنى عنه أمر الجماعة ولا أمر ذوى السلطان ، وذاك هو حق العقل في الاسلام ، بل هو فيه واجب العقل لا يغنيه ان يعتذر منه بطاعة السلف أو طاعة الجماعة أو طاعة الرؤساء والأحبار ، وقد وصل العقل الانساني الى هذا الحق ، وهذا الواجب ، بفضل العقيدة

⁽۱) نفسه ، ص ۷۸ -

۲۸ نفسه ۵ ص ۷۸ .

الاسلامية قبل أن يصل اليه من طريق الجدل العقيم في التفرقة بين وجود الذوات ووجود الماهيات (١) » •

وهكذا تؤخد ننا الرحلة المجارودية من الشك الى اليقين ، أن المذاهب الفخرية ينبغى أن ترعى للدين حرمته ، وأن تنهل من ينابيع الفكر الاسلامي ، ذلك أن المذاهب تذهب والاسلام باق ، الاسلام الذي عال الكلمة السواء في كل العصور ،

و لا ليس أتم من التوافق بين تمييز الانسان بالتكليف وبين خطاب العقل في القران الكريم ، بكل وصف من أوصاف العقل الوكل وظيفه من وظائفه في الحياة الانسانية و وظائفه في الحياة الانسانية و وظائفه أن يتول العقاد _ أن يتنبه الى هذه الفضيلة التي تحسب لأول وهله كأنها شيء من ألواقع البديهي لا يمتاج إلى التنبيه ولكن حاجته الى التنبيه انما تظهر عند المقارنة بين القرآن الكريم وبين جملة من الكتب الدينية الكبرى ، في فضيلة انتبليغ المقصود ، الذي يراد ويتناسب فيه البيان على حسب الأحكام والأرقام (٢) » •

وهذا ما قام به جارودى فى رحلته المكرية نحو الاسلام ، حيث قام بدراسة الأديان ، والكتب الدينية الكبرى ، دراسة الناقد البصير ، علي نحو ما نجد فى كتابه الشهير « حوار الحضارات » وفى كتابه « نداء الى الأحياء » • وفى الأخير يقول جارودى : « أن الانسان فى الاسلام هو الانسان الكامل ، الذى يوقظ فيه دينه الوعى الأسمى بصلاته مع الله ومع الانسان ومع الكون (٣) » •

ويذهب جارودى الى أن الاسلام هو أنحل الوحيد لتناقضات المضارة المعاصرة ، وانتناقضات حضارة الستقبل ، كما كان في الماضي مسانع المضارة الانسانية •

⁽۱) العقاد: التفكير فريضة اسلامية ، ص ١٤٥ .

⁽٢) المقاد: الانسان في القرآن الكريم ، ص ٢٢ .

⁽٣) جارودى: نداء الى الاحياء ، ص ٢١٢ .

فالاسلام ينشىء في العقل والقلب آثارا متفردة ، لا ينشئها مذهب آخر من مذاهب الفكر ، ولا تنشئها ديانة من الديانات ، كما أن الاسلام ينشىء في الحياة الانسانية مثل هذه الآثار العظيمة ، انه ينشىء في القلب والعقل حالة من « التوازن » لا تتأرجح معها الصور » ولا تهتز معها القيم ، كما أن الاسلام يكفل تجمع الشخصية والطاقة في كيان السلم الفرد والجماعة ، وينفى التمزق والانفصام والتبدد » التي تسببها العقائد والتصورات ألأخرى (١) ،

فالكينونة الانسانية ـ التى هى وحدة في أصل خلقها ـ تواجه عقيدة التوحيد التى تتعامل معها في كل نشاط لها ، اعتقادا وشعورا ، عبادة واتجاها ، تشريعا ، ونظاما ٠٠ وتتعامل معها في الدنيا والآخرة ثم ان الاسلام ينشىء في ضمير المسلم وفي حياته ، وفي كيان المجتمع الاسلامي وفي نشاطه بخاصية التوحيد التي يتضمنها ويقوم عليها ، أثرا متفردا ٠٠ هو : تحرير الانسان ٠ يقول الله تعالى :

(ان الحكم الا الله • أمر ألا تعبدوا الا اياء • ذلك الدين القيم) • (ان الحكم الا الله • أمر ألا تعبدوا الا اياء • ذلك الدين القيم) •

- (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) - (الم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله)

_ (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأوائك هم الكافرون) • (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأوائك هم الكافرون) •

(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) •

« 70: elimil »

⁽١) سيد قطعب : خصائص التصور الاسلامي ص ١٩٥٠

فالاسلام _ وحده _ يرد أمر التشريع والحاكمية الله وحده _ هو الذي يخرج الناس من عبادة العباد الى عبادة الله وحده و وهذا هو « تحرير الانسان » _ على حد تعبير سيد قطب (١) _ الذي يقول أن هذا « التحرير للانسان » هو الهدية التي يملك أصحاب عقيدة التوحيد أن يهدوها _ بدورهم _ للانسانية كلها و وهو النعمة التي يملكون أن يفيضوا منها على الناس عبعد أن يفيضوها على أنفسهم ، ويرضوا منها ما رضيه الله لهم و وأن هذا هو الجديد الذي يملك أصحاب عقيدة التوحيد أن يتقدموا به للبشرية أنيوم ، كما تقدم به أسلافهم بالأمس فتلقته البشرية يومها كما تتلقى الجديد ولم تستطع أن تقاوم جاذبيته لأنه يمنحها ما لا تملك بالفعل ، فلا يعف لجاذبيته اباؤها العنيد وو واليوم يمنحها ما لا يملك ، فهو شيء آخر غير كل ما لديها من تصورات وعقائد ،

لقد قال ربعى بن عامر رسول جيش المسلمين الى رستم قائد الفرس ، وهو يسأله : ما الذى جاء بكم ؟ ٠٠٠

_ « الله ابتعثنا ، لنخرج من شاء ، من عبادة العباد الى عبادة الله وحده • ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والآخرة • ومن جور الأديان الى عدل الاسلام » •

ان اسلام جارودى اليوم ، وحمله راية التوحيد في العالم الغربي ، واتجاهه الى الدعوة الاسلامية ، يجعلنا نذهب الى أنه يريد أن يقول للعالم ما قاله « ربعى بن عامر » » « ليخرج من شاء الله من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ٥٠ ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والآخرة • ومن جور الأديان والعقائد والفلسفات الملحدة الى عدل الاسلام وسماحته . وبذلك يقدم هذا المفكر المسلم لعالمه هدية الاسلام في « تحرير الانسان » ،

⁽۱) تفسه ، ص ۱۹۸ .

⁽٢) نفسه ، ص ۱۹۹ .

وهي الهدية التي طالما بحث عنها في رحلته المصبة العميقة ، والهنقدها في جميع المناهج والمذاهب والأنظمة بلا استثناء ، وهذه هي النعمة الكبرى الله بها على عباده ، وسبحانه وتعالى يقول :

(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا) ٠

« صدق الله العظيم »

« تم بحمد الله تعالى »

محتومايت الكتاب

	الصفحة
لاهـــدآء ٠٠٠	(1)
تقــديم: بقلم حضرة صاحب الفضيلة الشيخ: أحمد حسن الباقوري	(ب)
لقدمة المؤلفين • • • • • •	(*)
البـــاب الأول:	
الفكر الأوربي وعبقرية الاسلام • • • •	11 - 0 + +
البـــاب الثانى:	
جارودى: الماركسية ونقد الماركسية • • •	AV - 10 · ·
البـــاب الثالث:	
جارودي والحقيقة كلها ٠٠٠٠٠٠	1.y - yy
البـــاب الرابع:	
جارودِي يكشف أضاليل الصهيونية · · ·	108 - 1.9
البـــاب الخامس :	
الاسلام هو الحل الوحيد ، ، ، ، ،	147 - 100

الصفحة

.

. .

.

الاسلام ومستقبل الحضارة ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ١٨٣ ــ ٢٧٢	
المراجع والمستوان المستوان الم	
البــــاب الســابع: من الشك الى ســكينة الايمان ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٢٧٣ ــ ٣٠٥	
خاتمــــة: •• والمحور هو الانسان • • • • • • • • ٣٠٢ ــ ٣٢٤	

دار مصر للطباعة ۲۷ شارع كامل صد ق سعيد جودة السحار وشركاه

رقم الايداع ۱۲۲۴/۸۶ الترقيم الدولي ۳ ـ ۱۱۰ - ۱۱ ـ ۹۷۷ مكت بترمص مركب ٣ شايع كاسل مسكر تي - القِمَالا

> دار مصر للطباعة سعيد جودة السعار وشركاه

To: www.al-mostafa.com